وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945م قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

محاضرات في مادة
تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

مذكرة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة تاريخ عام

إعداد الدكتور: عبد الكريم قرين

السنة الجامعية: 2020– 2021م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945م قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

محاضرات في مادة
تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

مذكرة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة تاريخ عام.

إعداد الدكتور: عبد الكريم قرين

السنة الجامعية 2020-2021

التعريف بالمادة:

الوحدة التعليمية استكشافية

اسم المادة: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

السداسي: الخامس

الرصيد: 01

المعامل: 02

الحجم الساعي الأسبوعي: ساعة ونصف

محاور الاساسية لمادة:

ـ تحديد الموقع والسكان (المجال الجغرافي والبشري لإفريقيا جنوب الصحراء واقسامها السكانية).

- **ممالك السودان الغربي (غانة، التكرور مالي، سنغاي)**
- **ممالك السودان الاوسط (كانم بورنو، ممالك الهوسا)**
- **ممالك السودان الشرقي (النوبة، الفونج، دارفور، اكسوم في الحبشة)**
- **انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء (دور التجار الفقهاء، دور الهجرة، دور الطرق الصوفية، الحركات الاسلامية الحديثة)**

مقدمة

حظيت الدراسات الافريقية باهتمام متزايد من الباحثين خلال العقود الثلاثة الماضية، وكان ذلك إثر موجة التحرر التي شهدتها القارة الافريقية للفكاك من نير الاستعماري الاوروبي الذي استعمار الانسان والارض معا، وظل جاثما على صدرها مئات السنوات. وكان الأفارقة أنفسهم أول من نادى بضرورة الاهتمام بالدراسات الافريقية بصفة عامة وبالتاريخ الافريقي خاصة، وذلك بقصد تنقيته مما لحق به من عرض وتشويه منظم على يد الكتاب الأوروبيين، لتمكين سيطرة الغرب على الشعوب الافريقية جمعا. ومن ثم جاءت الدعوة للإعادة كتابة التاريخ الافريقي، او اعادة صياغته بأقلام محلية ووضعه في اطاره المنهجي الصحيح.

وفوق الجهود الفردية التي لازمت نشأة الجامعات الافريقية المختلفة وافرادها حيزا معتبرا للدراسات الافريقية بقصد تأصيلها ونشرها على الملأ، فان الدول الافريقية المستقلة حديثا وجهت في اول مؤتمر لها في اكرا سنة 1958م بضرورة بذل عناية أكبر في حقل الدراسات الافريقية.

وكان اول صدى لهذا التوجيه قيام مؤتمر دولي للدراسات تعقد جلساته مرة كل خمس سنوات في احدى العواصم الافريقية، وكانت دراسة التاريخ الافريقي واحدة من شواغل ذلك المؤتمر في دوراته المختلفة.

وقد عهدت منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة للأمم المتحدة (اليونسكو) وباشراك كبار المؤرخين للإعداد موسوعة تاريخية افريقية عامة مكونة من ثمانية اجزاء تبدأ من ظهور الانسان الافريقي القديم الى تاريخنا المعاصر وهي موجودة اليوم باللغتين الانجليزية والفرنسية وحتى انها مترجمة ايضا باللغة العربية والسواحلية والهوساوية.

وقد خلف بعض العلماء الافارقة ممن تمثلوا الثقافة العربية الاسلامية انتاجا رفيعا مازال موضع اعتزاز العرب والافارقة على حد سواء، وقد ألف بعضهم باللغة العربية بينما ألف اخرون بلغاتهم الوطنية، ولكنهم كتبوا بحروف عربية من امثال محمود كعت التمبكتي، واحمد بابا التمبكتي، وعبد الرحمان السعدي، وعثمان دان فودي، وابنه محمد بيلو، وغيرهم كثيرون.

ورغم جهود كل هؤلاء سواء كانوا عرب او أفارقة لا زلنا نعيش في قوالب اكاديمية مفرضة وطينتها الدراسات الغربية والتي انتهت دراستها الى تقسيمات جعلت افريقيا شطرين عربي مسلم شمال الصحراء، ووثني مسيحي زنجي جنوب الصحراء.

وكان نتاج هذا التقسيم ان ازادت العداوة والتنافر بين الثقافتين العربية والافريقية، واهمال عناصر التوافق والانسجام، وكلها من صنيع تلك الدراسات الاجنبية. لذلك كان وجوب علينا تدريس مقياس او مادة تاريخ افريقيا جنوب الصحراء لسنة الثالثة تاريخ لتعرف الطلاب على البعد الحضاري والثقافي والديني والعلاقات التجارية التي كانت بين شعوب افريقيا السوداء. كما أطلق عليها المؤرخون الغربيون او افريقيا جنوب الصحراء او السودان الغربي، ودول شمال القارة الافريقية، وكذلك التاريخ العريق لتلك الممالك الافريقية سواء الاسلامية او الوثنية والتي ستناول بعضها في هذه المحاضرات.

المحور الاول: المجال الجغرافي والبشري لإفريقيا جنوب الصحراء واقسامها السكانية:

لا يمكن كتابة تاريخ افريقيا دون ان نلم بلمحة جغرافية لطبيعة المنطقة، لما لها من تأثيرات واضحة على سير الاحداث خلال فترة التاريخ الحديث بصفة خاصة، فلا يمكن على سبيل المثال تجاهل تأثير الصحراء في سير هذا التاريخ. وذلك للعلاقة الدائمة بين اهالي الصحراء الكبرى و شعوب السودان الغربي.[1]

(1) ذهني محمد علي الهام، **جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1914م)**، دار المريخ، الرياض، السعودية، ط1988،1م،ص،19,

اولا: بلاد السودان بين الدلالة التاريخية والفضاء الجغرافي:

يطلق جغرافيو الغرب الاسلامي بعد القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي على الرقعة الممتدة من المحيط الاطلسي الى بحيرة تشاد شمال خط الاستواء وجنوب الصحراء، يطلقون عليها بلاد السودان. وهذه المنطقة تمثل المجال الموازي لبلاد المغرب، تفصلهما الصحراء الكبرى.

وتداولهم للمصطلح يقوم اساسا على الاعتبارات الاثنية، وخاصة الجغرافية، بيد ان جغرافي المشرق الاسلامي قبل القرن الرابع الهجري وبعده يستعملون نفس المصطلح اي بلاد السودان، لكن للدلالة على كل المنطقة الممتدة من المحيط الاطلسي الى النيل المصري او البحر الاحمر. وهم يراعون في ذلك العامل الجغرافي وكذلك العامل الاثني، اذ انهم يطلقون اسم السودان على كل القبائل المنتشرة في ذلك المجال، من ثمة تأثر الاصطلاح الجغرافي لديهم بالبعد الاثني اكثر من اي بعد اخر.[1]

والعامل المشترك في تميز الفضاء الجغرافي لبلاد السودان سواء عند المشارقة او المغاربة، يتمثل فيس عنصر لون البشرة، ذلك ان المصادر العربية بما فيها السودانية، تستعمل مصطلح بلاد السودان لدلالة على المنطقة التي يقطنها السودان وهي بذلك تميزها من منطقة الصحراء حيث مجال البربر " البيضان" او " البيض"

وتتداول المصادر العربية اصلاحا اخر وهو بلاد التكرور او اهل التكرور ومرة اخرى نجد ان الشهادات المشرقية و المغربية تختلف في المدلول، حيث لا تتفق في التوطين، وكما لاحظ يوسف كيوك، فان المصادر المغاربية و السودانية بعد البكري، كانت توظف تعبير "بلاد التكرور" كمقابل لمفهومها عن بلاد السودان، بينما نجد المصنفات المشرقية فيها بعض نصوص ابن خلدون واحمد بابا التنبكتي، تتحدث عن التكرور كأحد طوائف السودان و توطنهم بين نهر النيجر ونهر النيل المصري اي المنطقة التي تعرف في الدراسات التاريخية الافريقية بالسودان الاوسط.[2]

وهكذا، يبدو واضحا ان الشهادات المصدرية في توظيفها لتعبير "بلاد السودان " او" بلاد التكرور" فإنها لا تتفق حول الموقع، كما انها لا تعين لنا حدود واضحة ومتفقا عليها.

وحتى لا نجتر ذلك الاختلاف الموجود في المصادر سواء المغربية او المشرقية حول بلاد السودان او بلاد التكرور، فإننا سنوظفهما لدلالة على المجال الممتدة فيما بين المحيط الاطلسي غربا الى بحيرة تشاد شرقا شمال نطاق الغابات الاستوائية وجنوب الصحراء.

وهذه الرقعة الجغرافية هي التي تعني موضوع دراستنا، والتي اصطلحت الدراسات التاريخية الافريقية على تسميتها "بلاد السودان" او" السودان الغربي" او" افريقيا الغربية" و المنحصرة فيما بين خط عرض 11 و17 شمالا يوافق هذا الشريط المجال الذي تعاقبت الممالك السودانية الوسيطية غانا، مالي، و سنغاي."[3]

---

(1) الشكري احمد، **الاسلام و المجتمع السوداني امبراطورية مالي(1230-1430م)**، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، ط1، 1990م، ص،58.

(1) Cuoq, J, **Recueil des sources Arabes concernant L'AF Occidentale** du VIIIe (Bilàd Al-Sudan) ed, de C.N.R.S 2e Paris,1985, P,31-33.وانظر احمد بن علي بن احمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار** الكتب العلمية ب يروت1987م، ص،95

(3) الشكري احمد، **الاسلام و المجتمع السوداني امبراطورية مالي(1230-1430م)، المرجع السابق،ص،59.**

وخلاصة القول ان السودان الغربي او افريقيا الغربية تقه اراضيها ما بين خطي عرض 4° و16° شمال خط الاستواء في الجنوب وخط الطول 13° و17° غرب خط غرينتش وتحدها من الشمال الصحراء الكبرى، ومن الشرق الكاميرون وبحيرة تشاد، ومن الجنوب خليج غينيا ومن الغرب المحيط الاطلسي انظر الخريطة في الملحق رقم1 اما التعريف السياسي الحالي لغرب افريقيا فهي الاجزاء الواقعة ما بين حافة الصحراء الكبرى الشمال، وحدود تشاد في الشرق، ومحور جبال الكاميرون في الجنوب الشرقي في

وانطلاقا من هذه المفاهيم، لمنطقة السودان الغربي يمكن تقسيمه إلى ثلاثة مناطق جغرافية.

ثانيا: اقاليم السودان الغربي (افريقيا الغربية)

. السودان الغربي: وهي المنطقة التي تقع جنوب الصحراء وتمتد من المحيط الأطلسي في الغرب حتى بحيرة تشاد في وسط إفريقيا، وتقع بين المناطق الصحراوية في الشمال وبين نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب.

ويجري بالسودان الغربي نهران: هما نهر السنغال ونهر النيجر، كما نميز منطقتين بالسودان الغربي هما:

1ـ المنطقة السنغامبية الساحلية : وهي منطقة صحراوية تقع شمال موريتانيا تعرف بتساقط الأمطار، وتغطي السنغال حاليا، منطقة رطبة تسودها غابات كثيفة، وغطاء نباتي متنوع، بها نهر السنغال وغامبيا، بالإضافة إلى المنطقة الساحلية المطلة على المحيط الأطلسي.

2. السودان النيجيري: ويشمل كل المناطق المجاورة لنهر النيجر ورافده وهو الأجزاء الأكبر من السودان الغربي ماعدا المنطقة السنغامبية السالفة الذكر، وقد أورد الحسن الوزان أن نهر النيل يقصد به نهر النيجر، الذي يشق ارض السودان، وان أجمل ارض السودان امتدادها على طول نهر النيجر.[1]

. السودان الأوسط: وهو يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

ـ السودان الشرقي: وهو يشمل مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة، وهذا القسم الأخير قد ساد عند العرب ما بين القرن التاسع عشر و القرن الثاني عشر واسم بلاد الزنج إلا أن كلمة السودان شملته أيضا.[2]

ثالثا: الخصائص الطبيعية في بلاد السودان الغربي:

إذا اخذنا مبدا ان خط الاستواء يقسم القارة الافريقية الى قسمين ومن ثم فهناك ثلاثة اقاليم طبيعية كبرى في اي من القسمين، وبما ان دراسة متعلقة بالقسم الشمالي فان اقسامه على النحو التالي:

1- الصحراء الكبرى:

الصحراء الكبرى وهي اكبر صحراء في العالم، وليس فيها سلسلة جبلية غير سلسلة جبال الاطلس في شمال القارة، ولكن توجد بعض المرتفعات مثل هضبة اهير و مرتفعات احجار وهضبة بوتش وهضبة تادميت، وهضبة فوتا جالون في الجنوب الغربي، وبين هذه الهضاب وعلى سفوح المرتفعات نجد كثيرا من

---

(1)الحسن الوزان بن محمد المسمى ليون الإفريقي **وصف إفريقيا**،2ج محمد حجي،ومحمد الخضر دار العرب الإسلامي، ط2، بيروت،1983م،ص،30.

(2) عبد القادر زبادية " السودان الغربي وممالكه الإسلامية الكبرى"(نظرة عامة)، **مجلة التاريخ**، النصف الثاني من سنة 1980م،الجزائر،1980م،ص،57.

الوديان و الواحات التي اتصل بعضها ببعض عن طريق القوافل التجارية مثل غدامس ومرزق والجغبوب وغات وتمنراست وعين صالح وغيرها.[1]

ولا شك في ان الصحراء شكلت القنطرة الفعالة التي وصلت بلاد السودان بالعالم الخارجي طوال العصر الوسيط، فمن خلالها وعبرها كانت تمر السلع والافكار ولأهمية دورها يستحيل علينا فهم تاريخ المنطقة دون ربطها بها. هذه وحينما تسجل الدراسات التاريخية هذه المعطيات و الملاحظات، نتوصل الى نتيجة ان الصحراء الكبرى لم تكل تشكل عائقا في تواصل بلاد السودان ببلاد المغرب ومصر.[2]

وبهذا تدحض الآراء التي كانت تقول ان هذه الصحراء مجردة من المزروعات ومن الاهمية التاريخية. وتاريخ افريقيا في العصور الوسطى يثبت ان الصحراء الكبرى لم تكن حاجزا وليست مانعا من انتقال الشعوب عبر القارة من غربها الى البحر الاحمر شرقا للوصول الى الاراضي المقدسة، ولم تقف حاجزا من تنقل التجارة خلال الصحراء من الشمال الى الجنوب، فقد تيسر التنقل عبرها كثيرا منذ سنة 300م بواسطة الجمال، وكانت طرق القوافل التجارية معروفة تربط الصحراء جنوبا وشمالا ، ويسرت هذه الطرق عمل التجار و الدعاة المسلمون وعن وطريق تلك الطرق وعلى القوافل التجارية رحل الرحالة، مثل حسن الوزان ووارنجتون، ودوفبيريه، وبارث، وغيرهم.[3]

وقد اثبت ابن حوقل في كتابه صورة الارض ان الصحراء ليست حاجزا وذلك بقوله: " وعن يسار طريق فاس الى سجلماسة اقليم اغمات وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة الى سجلماسة وغيرها ومن سجلماسة الى اغمات نحو ثمان مراحل ومثلها الى فاس"[4]

ويذكر البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب بقوله:

" ان الماء متوفر في الصحراء ويوجد على مسيرة يومين او ثلاثة من وادي درعه الى وادي تارجا ومن جبل ادرار مجابة ماؤها على ثمانية ايام وهي المجابة الكبرى....."([5]) وكذلك ذكرها حسن الوزان في كتابه وصف افريقيا في صفحة 82 و" حيث يقول " وبعد جبال الاطلس تقع سهول نوميديا ينمو النخيل وهنا تكون بلاد رملية برمتها. وبعد نوميديا تقع صحاري ليبيا التي تكون بدورها رملية حتى بلاد السودان، وتوجد جبال كثيرة في هذه الصحاري ولكن التجار لا يخترقونها في الطريق الذي يسلكونه، اذ تجد بين هذه الجبال ممرات عديدة وعريضة ومتبسطة، وتقع بلاد السودان بعد صحاري ليبيا، ويكون القسم الاعظم منها عبارة عن سهل رمل باستثناء ضفاف النيجر.[6]

نسجل بدءا ان الدراسات التاريخية ومنذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وهي في الاساس اوروبية المنبع كانت تعتقد في عكس الاستنتاج المتقدم.وذلك ان المستعمرين في اثناء تمهيدهم للصحراء، أحسوا بخطورة الصعوبات المناخية والطبيعة للمنطقة، ومن ثمة تولد لدى الباحثين المنتمين للإدارة الاستعمارية

---

(1) دياب إبراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، دار المريخ، الرياض، ط1، 1981م، ص،32.
(2) الشكري احمد، **الاسلام و المجتمع السوداني امبراطورية مالي(1230-1430م)**، المرجع السابق،ص،62.
(3) دياب ابراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الافريقي الحديث**، المرجع السابق، ص، 32.
(4) ابو القاسم النصيبي ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص،90
(5) أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، مكتبة المثنى، 1966م،ص،163
(6) الحسن الوزان بن محمد المسمى ليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**،2ج، المصدر السابق، ص، 82.

اذاك، قناعة بصعوبة اجتياز الصحراء. بيد انهم وعند الاطلاع على المصادر العربية والافريقية، وجدوها تتحدث عن التجارة القافلية فيما بين ضفتي الصحراء.

وهكذا اخذت قناعة الباحثين تتجه تدريجيا الى الراي المعاكس الى ان اتضح لهم في منتصف القرن العشرين الراي القائل بان الصحراء لم تعرقل بشكل خطير مثلما تصوروه في بداية امرهم.[1]

2: التضاريس:

تتشكل افريقيا الغربية من هضبة قديمة عملت العوامل الطبيعية في تغير قشرتها الخارجية، ففيها الصحاري الواسعة والاودية الخصبة والسهول المنبتة وتضاريسها تمتد من تشاد الى الاطلسي وهي تنقسم من الشمال الى الجنوب الى الاقسام التالية:

أ- المنطقة الشمالية:

اطرافها تصل الى الصحراء الكبرى شمالا والى وادي النيجر الاوسط جنوبا، وتتضمن هذه المنطقة الهضاب التالية التبستي شرقا ثم الايفوراس و الاهير في الوسط، وهضاب موريتانيا غربا، لهذا فان هذه المنطقة صحراوية في اغلب مساحتها تتخللها بعض الوديان و الواحات و العيون.[2]

- ب المنطقة الوسطى: حدودها بحيرة التشاد شرقا والفوتاثورو في السنغال غربا، وترتفع في وسطها هضاب النيجر، وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مراع خصبة.

-ج المنطقة الجنوبية: وهي المنطقة المشرفة على خليج غينيا وتضم الكتلة الجبلية التالية الفوتا دجالون، والهضاب الليبرية، فجبال التوكو فهضاب نيجيريا الشمالية واخيرا الاطراف الغربية من سلسلة الاداماوا في الكاميرون.

- د الجبال:

تكاد الجبال تنحصر في المنطقة الغربية والشرقية من غرب افريقيا و تعتبر الفوتا جالون اهم المناطق الجبلية وهي تقع في الغرب من جمهورية غنينا وفي غرب جمهورية ليبريا، وتصل اطرافها الى شمال السيراليون وتعتبر هذه الكتلة خزانا ضخم للمياه في افريقيا الغربية، ويعتبر جبل نيمباNimba 1752م على الحدود الليبرية الغينية اعلى قمم هذه الكتلة التي تزيد ارتفاعها الوسطي في وسط غينيا على اكثر1000م بينما يبلغ الارتفاع الوسطي في الشمال قرب حدود السنغال نحو 1500م اما الجبال الوسطى في هذه المنطقة فإنها تقوم في التوكو ومتوسط ارتفاعها900م بينما يصل الارتفاع في نيجيريا الى 1700م ويزيد في الاداماوا في الكاميرون حوالي2000م.[3]

---

(5) Maurice Delafosse, **« L es Relation du Maroc avec le soudan à travers les Ages »** Hesperis, T, IV,1924, p153.

(2) نعيم قداح ، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، مراجعة عمر الحكيم ،الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط ، 1975م، ص،2,

(3) نفسه، ص،3-4.

-هـ الانهار:

فيما يتعلق بأنهار غرب افريقيا فقد لعبت دورا هام في تاريخ المنطقة كلا من نهر السنغال، ونهر النيجر، وغامبيا الى جانب وجود مجموعة اخرى من الانهار مثل نهر الكازامارس Casamance، وانهار الجنوب ونهر فولتا وانهار داهومي.

يعتبر نهر النيجر ثالث انهار افريقيا بعد نهر النيل و نهر الكونغو، وهو يمتد في غرب القارة الافريقية على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي، وينتهي عند مصب بدلتا كثيرة الفروع و يتصل به عند مسافة قصيرة من المصب بنهر بنوى Benoué وقد اطلق المستعمرون الاوائل على مجموعة الانهار المتصلة بنهر النيجر اسم انهار الزيت Rivers Oilلان هذه المنطقة اشتهرت بإنتاج اجود انواع الزيوت.[1]

وينبع نهر النيجر من المنحدرات الداخلية لهضبة فوتاجالون ويتكون عند بدايته في جنوب باماكو من عدة من المجارى التي تنتشر في مساحا واسعة من الارض مكونة ما يسمى بالدلتا الداخلية لنهر النيجر، حيث تتحول هذه الدلتا الى بحيرة عظيمة في موسم الفيضان، ويسير النهر بعد ذلك على هذه الصورة حتى يصل الى مدينة تمبكتو Tombouctou وبعدها تتحد مجاريه ويصنع ثنية عظيمة يتجه بعدها نحو الجنوب ليصب في المحيط الاطلنطي.[2]

وتمثل منطقة ثنية النيجر جزء مهما في افريقيا الغربية الفرنسيةA.O.F، فقد تقاسم هذه المنطقة كل من ساحل العاج، و غينيا الفرنسية، وداهومي، كما يعتبر نهر النيجر الذي يبلغ طوله اربعة الاف كيلو متر شريانا مهما من شرايين الحياة الاقتصادية في السودان الغربي سواء من ناحية نمط العمران وكذلك في ربط شبكة المواصلات ولا يفصله عن الانهار الاخرى كالنهر السنغال او نهر شارى مرتفعات كبيرة سهلت على الفرنسيين التوغل في المنطقة.[3]

وقد تضاربت الاقوال بخصوص منابع نهر النيجر واتجاهه، وخلط الرحالة بين النيجر والسنغال، وأخطأ البعض منهم في تحديد مساره ففي القرن السادس عشر قام الحسن بن الوزان الزياني برحلة بدأها من فاس عابرا صحراء سجلماسة وتغارة حتى وصل تمبكتو وجنى ومالي، واكد بان النهر يسير نحو الغرب.

وظلت مشكلة نهر النيجر قائمة حتى القرن الثامن عشر، فقد اهتمت الجمعية البريطانية باستجلاء حقيقة هذا النهر، وكانت شركة افريقيا الغربية الفرنسية لها بعض المراكز قرب نهر غمبيا على الساحل الغربي لإفريقيا، ولذا فقد اتجهت الانظار لاتخاذ هذه المنطقة كنقطة انطلاق نحو الداخل.[4]

ومع اواخر القرن الثامن عشر ازدادت المحاولات للوصول الى مصب هذا النهر ففي عام 1827م وصل مستكشف فرنسي يدعى رنيه كاييهRené Caillé الى مدينة تمبكتو قادما من غنيا الفرنسية، ونجح

---

(1)الجمل شوقي عطا الله، **تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها**، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة،ط1971،1م،ص،92-93.
(2) نجم الدين احمد فليحة ، **افريقية دراسة عامة واقليمية لا قطارها غير العربية**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دط،1978م، ص،144-145.
(3)ذهني محمد علي الهام، **جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، المرجع السابق، ص،21.
(4) الجمل شوقي عطا الله، **تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها**، المرجع السابق، ص،93.

هذا الاخير في اختراق الصحراء و الوصول الى مراكش، فحققت رحلته نصرا للجمعية الجغرافية الفرنسية الناشئة.[1] وعلى الرغم من اكتشاف مصب نهر النيجر الا ان المحاولات ظلت مستمرة ، ولذلك لتعرف على المناطق التي تمر بها جماعات السكان المقيمة حوله.

ففي عام 1854م قام ليرد laird بتكليف من القنصل البريطاني بيكروفت Beecroft بمحاولة لاكتشاف منطقة النيجر الادنى، وارد ليرد التأكد من ان نهر بنوى هو اقوى واهم فروع نهر النيجر ، وانه صالح للملاحة و التجارة و طريق للمناطق الداخلية.[2]

وفي الوقت الذي اهتم فيه البريطانيون بتدعيم سيطرتهم في النيجر الادنى لم يهملوا الكشف عن نهر النيجر من جهته الشمالية، فقد أرسلوا اربعة من المستكشفين في الجهات الشمالية من النهر، ولكنهم تعرضوا لهجوم من بعض القبائل المجاورة لنهر.

وفي الفترة الممتدة ما بين 1852–1854م استطاع المستكشف هنريك بارث Henrich barth اكتشاف المناطق الداخلية من نهر النيجر، فوصل الى بلاد الهوسا وبنوى و تمبكتو،[3] وقد تنكر بإرث في زي تاجر عربي، وتجول في السودان النيجيري لمدة خمس سنوات زار خلالها المناطق الواقعة بين باجرمي و تميكتو، وقدم معلومات قيمة عن المدن وشاهدها و الثروات الطبيعة التي تزخر بها المنطقة، واثبت هذه المعلومات في خريطة رائعة.[4]

تابعت انجلترا جهودها لاكتشاف المناطق المحيطة بنهر النيجر، فأرسلت سنة 1857م بعثة للاتصال بالممالك الاسلامية الواقعة شمال مملكة سكوتو فقد ارادت من خلال ذلك تدعيم علاقتها تمهيد لبسط نفوذها عليها.

وتوالت البعثات لاكتشاف المناطق الداخلية، وقد زودتنا هذه البعثات بمعلومات قيمة حول النظم الاجتماعية و السياسية التي كانت سائدة في المنطقة، فقد قضى بعض المستكشفين ثلاث سنوات او اكثر في المناطق الداخلية من افريقيا، وانقطعت صلاتهم بالعالم الخارجي، وعاشوا في خلال هذه المدة مع الأفارقة فدونوا كل ما شاهدوه من عادات و تقاليد مما ساعد بعد ذلك على استعمار تلك المنطقة.[5]

واذا كان نهر النيجر و الكشف عنه له اهمية كبيرة في غرب افريقيا، فان نهر السنغال ايضا لعب دور هام في تاريخ المنطقة، وينبع هذا النهر من نفس المنطقة التي ينبع منها نهر النيجر اي من هضبة فوتا جالون وبعدها وبعده يتجه شمالا ثم غربا نحو المحيط الاطلنطي ويمتاز هذا النهر بانحدار مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق اذ لا يتجاوز عمقه ثلاث امتر لمسافة تبلغ 350/ كلم من المصب.

---

(1) Deschamps,H,**Histoire Générale de L'Afrique Noire**,Paris,1971,TomeII,p,12.

(5) De Lanoye**, F, Niger et les explorations de L'Afrique Centrale depuis Mungo-Park Jusqu' au docteur Barth**, Paris,1860, pp,573-581.

(3) كانم جوزفين، **المستكشفون في افريقيا**، تر، السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1982م، ص، 183-184-185.

(4) Robinson,Ronald ,**Africa and the Victorians,**(N Y,1961,P,37.

(5) Zerbo Joseph, Histoire **de L'Afrique Noire D Hier à demain,** paris,1972, p,402.

اما بخصوص التسمية، لفظ أطلقها عليه الاوروبيون على اعتبار ان العرب كانون يدعونه بالنيل السوداني او النيل الكبير، اما السودانيون أنفسهم فاكنوا يدعون بروافده فكانت كل منطقة تسميه بسم الرافد الذي يمر بأرضها وعندما اكتشف البرتغاليون نهر السنيغال لأول مرة أطلقوا عليه سينا sena او ساناغا sanaga نسبة الى امير اسود اقتم معه البرتغاليون علاقات معينة.

ومنذ ذلك الوقت أصبح يسمى "سينغا" ثم تحول الى سنغال.

وعموما فان هذا النهر كانت له اهمية لكونه مصدر هام للماء والحياة، وما يوفره للمنطقة من سبل الرب والزراعة والرعي او عامل ازدهار التجارة عن طريق الملاحة النهرية فقط انما تتعدى اهميته ذلك إذا ما علمنا بانه يعد خزانا لمعدن الاصفر بما تحتويه اراضيه من ذهب ضاع صيته في أطراف الدنيا وشغل ملوك المشرق والمغرب في العصور الوسطى. كما ان هذا النهر قوام تلك الممالك والامبراطوريات التي قامت على ضفافه على مر العصور وخاصة في ارض ونقارة التي تحيط بروافد نهر السنغال من كل جهة الى حد ان المصادر العربية وصفتها بالجزيرة.[1]

اما نهر غامبيا، فيعتبر طريقا مهما للمواصلات، فهو صالح للملاحة لمسافة '465كم، وتقع القرى بعيد مجرى النهر، وذلك بسب وجود المستنقعات والغابات على ضفافه ويتكون سطح غامبيا من وادى النهر و المناطق المحيطة به وهي سهول خصبة تستغل في زراعة الفول السوداني.[2]

ويعتبر هذا النهر من اصلح الانهار للملاحة، فهو مدخل السودان الغربي، وهو يخترق منطقة السافانا اكثر منطقة افريقيا ارتيادا، وقد كونت انجلترا مستعمرة غامبيا، وكانت اصغر مستعمراتها في غرب القارة، وهي تتكون من منطقة ضيقة ذات شكل شاذ على طول الجزء الصالح للملاحة من نهر غامبيا، وقد شطرت هذه المستعمرة البريطانية السنغال الفرنسي الى قسمين بحيث اصبح القسم الجنوبي فيها و الذي يسمى كاساما منعزلا عن قلب المستعمرة الرئيس وهو القسم الشمالي وعن مواصلاته وميناءه الرئيسي.[3]

اما في منطقة خليج غينا فقد وجد ساحل العاج عدة انهار وهي بانداما، كافالى، وكوموية، وهي جمعيها تصب في خليج غينيا اما نهر فولتا فيشبه في اتجاهه وخصائصه نهر النيجر وكانت منطقة فولتا قد وضعت تحت ادارة ساحل العاج باعتبارها تمثل الاراضي الداخلية. ويعيب المجاري المائية في ساحل غينيا انها كلها تقريبا ضحلة تسود مصباتها الكثبان الرملية بالإضافة الى كثرة الحواجز الصخرية في المنطقة.[4]

---

(1) ابو عبد الله الشريف الادريسي،**القارة الافريقية وجزيرة الاندلس جزء مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، تحقيق وتقديم وتعليق، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجزائر، الطبعة 1، 1982، ص،39.

(2) نجم الدين احمد فليحة، **افريقية دراسة عامة وإقليمية لأقطارها غير العربية**، المرجع السابق، ص، 148.

(3) ذهني محمد علي الهام، **جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، المرجع السابق، ص،24

(4) الجمل شوقي ، **تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها**،المرجع السابق ، ص،10

- المناخ:

تمتد افريقيا الغربية بين خط الاستواء جنوبا ومدار السرطان شمالا وعلى هذا فإقليمها عموما، شبه استوائي يتميز بارتفاع عام في درجة الحرارة وزيادة في الرطوبة وكذلك بثبات عام في الاحوال الجوية وفي الفروق الحرورية، وتهب على افريقيا الغربية الرياح التالية:

-أ الرياح التجارية، وهي رياح قادمة من منطقة الضغط العالي في حزر اصور، وهي رياح باردة مشبعة ببخار الماء، يصل تأثيرها الى السنغال.

- ب الرياح الموسمية، وهي تهب من المحيط الاطلسي دافئة مشبعة بالرطوبة يصل تأثيرها الى الداخل، ويدوم هبوبها طوال فصل الامطار وتسبب الاعاصير الممطرة.

- ج الرياح السودانية (الصحراوية)، وهي رياح جافة تهب من الشمال والشمال الشرقي، وتكون محملة احيانا بالرمال وعندما تصطدم بالرياح الموسمية تحدث امطارا عاصفية. ويمكننا بعد ذلك ان نميز في افريقيا الغربية المناخات التالية:

– **المناخ الصحراوي:** يسود هذا المناخ في المناطق الشمالية المتاخمة للصحراء الكبرى، ويمتد الى صحاري النيجر ومالي وصحراء فولو في السنغال، ويتميز هذا الاقليم بشدة الحرارة وقلة المياه وندرة الامطار.

– **المناخ الساحلي الشمالي:** يتميز بفصلين فصل جاف وفصل ممطر لكن منطقة تشاد قليل فيها الامطار، غير ان منطقة سواحل موريتانيا والسنغال كثيرة الامطار نظرا لتأثرها برياح المحيط.

– **المناخ الغيني:** وهو شبه الاستوائي يرتفع متوسط حرارته الى 28° وهو يتميز كذلك بفصلين للأمطار بينهما فصل للجفاف لذا فهو غزير الامطار وهو ممتد من غينيا الى نيجيريا.

– **مناخ المرتفعات:** وهو يسود في المناطق الجبلية، ويميل الى البرودة كما انه غزير الامطار.[1]

لذلك يمكن القول ان مناخ منطقة السودان الغربي في مجمله يعتبر من أحسن المناخات في السودان الغربي كله، كما ان سطحها وحسب وصف الرحالة حسن الوزان انه يعد من أجمل ما يمكن ان يراه اعين رحالة زار معظم بقاع العالم مثله.

حيث يقول ان اجمل بلاد السودان تلك التي تمتد على طول نهر النيجر[2] اذن فلا غرابة اذا كانت مدن وممالك وسلطنات السودان الغربي قد ظهرت على سهول ضفاف نهري النيجر و السنغال. وذلك بفضل الظروف الطبيعية الخاصة التي وفرها هذان النهران مما ساعدت على قيام الحضارات القديمة الاولى في افريقيا الغربية كما كان لهذين النهرين الفضل في استقطاب السكان من كل الاجناس سواء كانوا بربرا او اوموريين دفعتهم حرارة الصحراء وجفافها الى الهجرة نحو هذين النهرين، او كانوا سكان افريقيا الاستوائية و الغابات الذين دفعتهم الرطوبة الخانقة و الامراض الفتاكة و الحيوانات المتوحشة الى التقرب

(1) نعيم قداح ، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،** المرجع السابق، ص، 8.

(2) الحسن الوزان بن محمد المسمى ليون الإفريقي، **وصف إفريقيا،** المصدر السابق، ص،38.

من هذين النهرين لتصبح منطقة نهري النيجر و السنغال منطقة تعج بخليط من الاجناس والشعوب على اختلف الوانها وعاداتها وتقاليدها ولكنها استطاعت ان تتعايش فيما بينها.

- التربة:

لقد كان من شان التغيرات والتقلبات المناخية خلال عهود جيولوجية طويلة ان تغطت الارض هناك بتربة حمراء غنية بالمعادن ناتجة عن ذلك تفتت الصخور، وينتشر اكسيد الحديد و فلزاته بين درجيتين 7–14 شمال خط الاستواء، وتسود الرمال في المناطق الوسطى المتاخمة للصحراء الكبرى و تتلاعب الريح بهذه الرمال مشكلة منها تلالا ذات مناظر مألوفة كلما اتجهنا غربا نجد ان السهول الساحلية وهي صالحة للزراعة وتعتبر احواض الانهار في افريقيا الغربية من اخصب البقاع وهي غنية بالمعادن(احواض غينيا) اما السهوب تسود المناطق الوسطى ويكثر فيها الرعاة.[1]

خامسا: المكونات البشرية للمجتمع السودان الغربي (افريقيا الغربية):

لم تستطيع تضاريس افريقيا الغربية من ان تصد قدوم المهاجرين او الفاتحين اليها، فشعوب تلك المنطقة هم مزيج من الجماعات والقبائل التي اتت من الخارج وامتزجت مع السكان القاطنين فيها. لذلك لم يجمع العلماء على نظرية واحدة تشير الى اصول سكان افريقيا الغربية، قد وجدت عدة نظريات و فرضيات حول الموطن الاول لسكان غرب افريقي ومؤداها ان افريقيا الشرقية ووادي النيل كانا في عهود سالفة المنطلق الاول لهذه الهجرات متتابعة الى غرب القارة عن طرق تشاد او الصحراء الكبرى ويستنتج بعض العلماء ان التقارب في الاصول اللغوية و الكلمات المشتركة بين بعض اللغات كأدلة عن وحدة اصل الشعوب في غرب افريقيا، حتى انهم ذهبوا في القول ان اللغات الافريقية هي تطور للغات المصرية القديمة.[2]

1- سلالات السودان الغربي:

عند اي دراسة تاريخية لمنطقة غرب افريقيا او السودان الغربي لابد لنا من القاء نظرة على عناصر السكان لان اختلافها أثر في تاريخ المنطقة. فعلى سبيل المثل لا الحصر، نلاحظ بان فرنسا خلال فترة توسعها في المنطقة استغلت الصراع التقليدي الذي كان قائم بين كل من التكرور والبمبارا لمد نفوذها في منطقة حوض النيجر فلجأت الى مساعدة البمبارا الوثنيين والتحالف معهم تمهيدا لسيطرة على امبراطورية التكرور.

ان البحث في موضوع الجنس البشري في منطقة السودان الغربي يحتاج الى كثير من الجهد والعمل والدقة والتمحيص، وذلك لتنوع الجنس البشري الموجود في المنطقة بفعل الموجات المتعاقبة من الهجرات التي عرفتها المنطقة منذ أقدم العهود، فاختلط العنصر المحلي مع العنصر المهاجر خاصة في اعالي نهري النيجر والسنغال التي تعد مناطق جاذبة للسكان بما تزخر به من ثروات ثمينة من ذهب وعبيد وعاج وغيرها. التي كانت سبب في جلب التجار اليها من كل حدب وصوب واغرت الطامعين والمغامرين.

---

(1)الحسن الوزان بن محمد المسمى ليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، المصدر السابق، ص، 5

(2) محمد فاضل علي باري، وسعيد ابراهيم كريديه، **المسلمون في غرب افريقيا(تاريخ وحضارة)**، دار الكتاب العلمي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص،25.

بالإضافة الى العامل التاريخي والمتمثل في قيام أعرق الامبراطوريات والسلطنات والممالك على ضفاف انهارها مما ساعد على استقطاب عناصر من السودان الشرقي والسودان الاوسط واستوطن التجار والدعاة من المغرب والمشرق وكون جاليات مختلفة اصبحت ومع مرور الزمن عناصر سودانية اندمجت مع الاهالي.

ويلاحظا في غرب افريقيا وجدو سلالتين السلالة الاولى هي السلالة البيضاء او الجنس الابيض والسلالة الثانية وهي السلالة السوداء او الجنس الاسود.

- السلالة البيضاء (العنصر الابيض) : وتسميهم المصادر العربية البيضان وهم ينحدرون من فرعين اساسين هما الساميون، وهم ابناء سأم بن نوح عليه السلام من عرب وسوريين و العبرانيين هاجروا الى المنطقة عبر مراحل متفرقة من التاريخ اما الحاميون فيمثلهم البربر[1] ومن بين خصائص الحاميون انهم يمتازون بالقامة الطويلة و بشرة سمراء نحاسية و بشعر اجعد و بوجه بضوي وبأنف دقيق، واجسام نحلية على العموم و كتافهم عريضة وصدورهم مخروطية الشكل[2] .

وكذلك الموريون وهم من ابناء نوح عليه السلام وعموما فان العنصر الابيض وعلى اختلاف نسبه الى سام او حام ابني نوح فهم يشكلون عدة مجموعات.

أ- الصنهاجيون:

وهم شعب صنهاجة اللثام من البربر الذين يسكنون وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، حيث ابعدوا الى تلك الاماكن منذ عصور ما قبل الفتح الاسلامي، وسكنوا بلاد البربر وارض السودان، وقد اتخذوا اللثام شعارا تميزوا به عن غيرهم من شعوب المنطقة، ولعل اشهر قبائلهم هي قبلية لمتونة وجدالة اللتان كانتا في صراع دائم بينهما حول رئاسة صنهاجة الصحراء[3] .

وهناك من يطلق عليهم لقب الطوارق او الطوارق نسبة الى احدى القبائل الصنهاجية وهي قبيلة "تاركة" حيث حرفها المشارقة الى طوارق.[4] وقد تشكل الطوارق الذين ينتمون الى منطقة السنغال الاعلى و النيجر عبر عدة موجات كبيرة من الهجرة البربرية اضافة الى خليط من الفولاته و السنغاي، وكانت هذه الهجرات خاصة قبائل لمطة، هوارة، مسوفة، سمغارة، جدالة، لمتونة، وغيرها. وقد لعب الصنهاجيون دور مهم وكبيرا في حوض السنغال الاعلى و النيجر من خلال حركة المرابطين.[5]

وتدخل ضمن هذه المجموعة القبائل العربية في جنوب موريتانيا مثل الترارزة و البراكنة و قبائل البربر الخاضعة لهم زناتة و هرتين و في الحوض يقابلنا اولاد دليم و الرقيات، ومختار وجرجنكة وولاته وتنمية في شمال منحنى النيجر.[6] وعظم هذه القبائل مسلمة اشتهر افرادها بالحرص على اداء فريضة

---

(1) مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار ابي الرقراق للطباعة و النشر، الرباط، ط1، ص، 195.

(2) نعيم قداح ، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، المرجع السابق، ص، 13.

(3) عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر**، تحقيق علي شحاتة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج6،ص، 241.

(4) حسن الوزان **وصف افريقيا**، المصدر السابق، ص150(الهامش)

(4) Delafosse, M**, Haut Sénégal Niger Les peuples, les langues, L'histoire, les, civilisations, Emille** Larose, Libraire, paris,1912, Tome2, p,194.

(3) عبد الرحمان زكي، **الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية**، القاهرة، 1965م، ص،100.

الحج وقد لعبوا دورا بارزا في مقاومة الاستعمار الفرنسي لجنوب موريتانيا حتى بداية الحرب العالمية الاولى.[1]

ب - الزنوج او العنصر الاسود:

وتسميهم المصادر العربية بالسودان، واليهم تنسب بلاد السودان كما يعرفون ايضا باسم الزنوج، ويمثلون الاغلبية الساحقة لسكان منطقة السنغال الاعلى والنيجر وتعد هذه العناصر كثيرة العدد ومختلطة كثيرا فيما بينها وهم اساس السكان الحاليين لمنطقة يمتازون بجماجم مستطيلة وببروز الفك الاسفل وبشرة سواء وشعر مفلفل وبأنف عريض وبأقدام مفلطحة وبشفاه سميكة غليظة.[2]

ويعد المؤرخ العربي المسعودي المتوفى سنة346هـ957م اول من تحدث عن نسب الحامي للسودان او الزنوج، حيث يذكر ان نوحا عليه السلام دعا ابنه حام بتشويه الوجه و سواده، وان يكون ولده عبدا لولده سام، فهم بان يقتل هذه المرأة التي انجبت له هذا الولد الاسود، فمنعه سام، وذكره بدعاء ابيه عليه فغضب ونزغ الشيطان بين الاخوة وحمل بعضهم على بعض، وكان اخر امر حام ان هرب الى مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى انتهى الى السوس الاقصى الى موقع يعرف اليوم بأصيلا و هو اخر مرسى تبلغه مراكب البحر من نحو الاندلس الى ناحية القبلة.

ويضيف المسعودي بان بنيه ندموا على ما فعلوا، فخرجوا على اثره يطلبونه في النواحي التي قصدها، فوجدته طوائف منهم فبقوا معه الى ان مات، فقطنوا تلك البلد و سكنوا به وهم اصناف السودان[3]، كما ينسبهم نفس المصدر في موضع اخر الى اولاد نبيط بن كنعان ويقول بان نبيط هو السواد.[4]

اما ابن خلدون فينسبهم الى ولد حبش بن كوش بن حام، ويقسمهم الى ثلاثة اقسام وهم: النوبيون، وهم ابناء نوبة بن كوش بن كنعان بن حام، والزنوج وهم ابناء زنجي بن كوش بن حام اما القسم الثالث فهم بقيت السودان الذين ينتمون اليهم سودان افريقيا الغربية.[5]

و الاستنتاج الذي يمكن ان نتوصل اليه من خلال روايتي المسعودي وابن خلدون ان الزنوج ينحدرون من ولد كوش بن كنعان بن حام، وان كوش هو اول انستن ذي بشرة سوداء من ذرية نوح عليه السلام لذلك نلاحظ ان كثير من المصادر العربية تسمي السودان او الزنوج بالكوشيين ايضا، كما نفهم ايضا من هاتين الروايتين بان الزنوج وينقسمون الى عدة جماعات تنتشر في مختلف انحاء افريقيا، ونستخلص ايضا بان الموطن الاصلي لزنوج عند هجرتهم الاولى الى افريقيا كانت سواحل المغرب الاقصى، اي شمال الصحراء الكبرى، وهو ما اكدته الدراسات الحديثة التي استمدت معلوماتها من روايات القبائل الموريتانية في منطقة ترارزة، ومفادها ان هذه الشعوب السوداء كانت

---

(1) Guy,Camille,**L' Afrique Occidentale Françaises**, paris,1929,P,43.

(2) Delafosse, M**, Haut Sénégal Niger Les peuples, Op, Cit, P,114.**

(3) ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، **اخبار الزمان ومن اباده الحدثان و عجائب البلدان الغامر بالماء و العمران،** دار الاندلس ، بيروت،1996م،ص، 86-87.

(4) نفسه، 87.

(5)عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون ، **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب** ، المصدر السابق 264,

تعيش شمال مواطنهم الحالية. وان ما دفعهم الى مواقعهم الحالية في جنوب الصحراء هو قدوم شعوب عمالقة بيض من سوريا[1]، ورغم الحروب معهم الى انهم تم دفعهم الى جنوب وان هذه الاحداث عمرها اكثر من الفي سنة.

- الفولاني:

اختفت اقوال واراء الباحثين و المؤرخين في اصل الفلانين الذين استقروا في غرب افريقيا فمنهم من يرى انهم من الفرس نزحوا من اسيا ومنها انهم من اليهود منها انهم من العرب الاموميين او من اليونان او من الايطاليين اومن اصول اثيوبية[2]، وهناك نظريات اخرى تقول ان الفولانيين هم نتيجة احتكاك الزنوج والحاميون بشعوب بيضاء من زمن طويل وهذه الشعوب هي البربر والطوارق[3] بإضافة إلى ذلك أن دائرة المعارف البريطانية وصفت أصلهم بأنه أصل غامض. ووضعت نظريات عدة في هذا الشأن والغريب أن روايات الفلانة أنفسهم عن أصلهم لا تتفق كثيرا مع هذه النظريات.

والشيء الذي أدى إلى للجدل هو وجود ا هؤلاء القوم الذين يختلفون كثيرا في لونهم وملامحهم وتقاليدهم وعاداتهم ولغتهم. وتشير المصادر أن ملامحهم غير زنجية ن وأنهم يشكلون الجنس الوحيد الأبيض في إفريقيا أو الأحمر في إفريقيا السوداء. [4]

ولقد اختلفت الروايات في هذا الشأن أيضا، ولذلك لعدة أسبابا نذكر منها:

ـ أن الفولاني اقل سمرة من عموم الزنوج في غرب إفريقيا، كما تميل رؤوسهم إلى الطول عكس شعوب إفريقيا الغربية ذات الرؤوس العريضة.

ـ انه الشعب الوحيد في غرب إفريقيا الذي يعتمد على حرفة الرعي وباعتبارها الوسيلة الوحيدة للمعيشة.

ـ أن هذا الشعب ورغم ثروته الحيوانية من أبقار الزيبو طويلة القرن إلا انه لم يجنح في الاندماج الاجتماعي والسياسي وفضل العيش منفصلا عن بقية شعوب غرب إفريقيا. [5] وقد ظل أبناء الفولاني سينين طويلة يتعايشون سلميا مع قبائل الهوسا خاصة بعد أن تعلموا لغتها، وامتزجوا بها عن طريق الزواج و المصاهرة ، وتقلد كثيرا منهم المناصب العليا في إمارتها ، بيد أن تهاون مسلمي هذه الإمارات في شؤون دينهم وتحول بعضهم إلى الوثنية ما دفع الشيخ عثمان دان فودي زعيم القبائل الفولانية في أواخر القرن الثامن عشر يعلن الجهاد ضد هذه

---

(1) ربما يقصدون بذلك عمالقة الهكسوسن وهم بدور رعاة طوال القامة زحفوا خلال القرن 18 قبل البلاد على مصر الفرعونية واحتلوها واسسوا فيها الاسرة الفرعونية الثامنة عشرن ولكن بعد زاول حكمهم تفرعوا في الارض.

(5) Cornevin, R, « « Fulani », Encyclopedia of Islam, New, edition, Leiden, E. JBrill,1965, V2, p,939.

(3) محمد علي فاضل باري و سعيد ابراهيم كريدية، **المسلمون في غرب افريقيا** ، المرجع السابق ،ص، 24-25.

(4) محمد احمد بدين، **الفلانة والفلانيون في السودان الأصل والتاريخ**، دن، القاهرة، د.ت، ص23، و Collis Robert**, Nigeria in Conflit,** London, 1970, pp, 84-85.

(3) El Masri, « The life shehu Usman dan Fodio » **journal of the Histroical Society of Nigeria**, Vol 11, No, 4, 1963, p, 435.

الإمارات عام 1804مو استطاع تأسيس إمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف وسنتكلم عن الفلانة و أصولهم وتنظيماتهم و الشيخ عثمان دان فودي ودوره الجهادي في غضون هذه الدراسة.[1]

ومهما يمكن الاختلاف في وجهات النظر حول اصل هذا الشعب الا ان الواقع الان يفيد ان الفولانيين ينتشرون في جل بقاع غرب افريقيا و في المنطقة الممتدة من السنيغال وحتى الكاميرون ولكن السواد الاعظم من هذا الشعب يتواجد الان في نيجيريا، وقد اعتنق الاسلام منذ القرن الحادي عشر للميلاد، واسست امبراطورية الفولاني في شمال نيجيريا خلال القسم الاول من القرن التاسع عشر الميلادي ،ولغتهم تدعى الفولا وكانت تكتب بأحرف عربية قبل مجي الاستعمار البريطاني لكن معظمهم يتكلم اللغة الفولانية والعربية وغالبيتهم يمارسون حرفة الرعي، وقد تطرقنا بتفصيل في اطروحتنا للدكتوراه للموضوع اصول الفولاني وموطنهم الاصلي و تأسيسهم للإمبراطورية الفولانية بقيادة الشيخ عثمان دان فودي ومن بعده ابنائه.[2]

وننتقل الان للحديث عن القبائل والشعوب المتاخمة لنهر السنغال نحو الشرق الي بحيرة تشاد واول شعب هو شعب الولوف ويقال ان نهر السنغال في مجراه الاسفل ممثل حدت يفصل ما بين القوقازيين في شماله والزنوج في جنوبه، ودا لا يخلوا من الغلو. الان الاستعمار الفرنسي قد اقام في هذا الاقليم مركزا اساسيا وتجاريا هاما في مدينة داكار وما حولها وانجذب الى هذا الاقليم عدد كبير من الفولا وغيرهم ممن تغلب عليهم الصفات القوقازية.

اما الولوف فهم شعب مقسم بين دولة السنغال ودول غامبيا وغالبيته مسلمة وقوام حياتهم الزراعة واهم زراعتهم الذرة الرفيعة وهي زراعة من اختصاص الرجال كما يقومون ايضا بزراعة الفول السوداني اما اقتناء الماشية فيكاد محصورا على الطبقة الميسورة الحال اما الحرف فاهما صناعة المنسوجات، وحرفة دباغة الجلود ومن اهم خواص مجتمع الولوف تعدد طبقاته ولا يجوز لرجل الزواج الا من الطبقة التي ينتمي اليها وعلى الطبقات هي طبقة الاحرار ثم اصحاب الحرف ثم طبقة العبيد.

اما السرير فيعيشون بين نهري غميا وسالوم وجنوب الراس الاخضر، وهم يجاورن التكرور ويكونون مع شعب الولوف جزاء كبير من امبراطورية التكرور ولكن يختلف السرير عن التكرور والولوف في انهم يعتنقون المسيحية وليس الاسلام والبعض منهم بقي على وثنية العصور القديمة ولكن الطبقة الحاكمة اعتنقت الاسلام حديثا.

- شعب الماندينغ:

والى الشرق من الاقليم السالف الذكر شعب كبير يطلق عليه شعب الماندينغ او الماندى وهو منتشر ما بين المحيط الاطلسي غربا الى منحى نهر النيجر شرق، كما انهم ينتشرون في كل منطقة السودان الغربي، وفي جنوب السنغال وفي النيجر الاعلى انطلاقا من سواحل المحيط الاطلسي الى غاية جمهورية

(1) عبد الرحمن زكي، **الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا**، المرجع السابق ، ص94.
(2) عبد الكريم قرين، **الحركة الوطنية في نيجيريا(1922-1960م)**، رسالة دكتوراه غير منشوراه ،اشراف الدكتور حفظ الله بوبكر، جامعة الجزائر،2018-2019م، ص، 37-38

نيجيريا الحالية.[1] واذا ما اردنا تحديد مجالات شعب الماندينغ جغرافيا نقول بانه يحدها من الغرب مرتفعات فوتاجالون ومن الجنوب غابات جنوب غينيا ومن الشرق و الشمال تحدها غابات السافانا الاستوائية[2]

ويشتمل الماندينغ على عدة قبائل تحمل اسماء مختلفة مثل ديولا و كاسنكى، وجالنكى وبمبارا و سونتكى وغيرها، ويتميز شعب ماندينغ ببشرة سواء وشعر منكوش متصوف وانف مفرطح وشفاه عريضة وفك بارز بينما يتميز الجزء العلوي من اجسادهم بالطول[3].

وهم يمثلون العنصر السوداني الخالص. وينقسم هذا الى عدة جماعات وهي ماندينغ الشمال ويعرفون ايضا بماندي تانManndi–tan ويمثله شعبين وهما شعب البوزو وهم طبقة من الصيادين والملاحين ويقطنون اساسا في بحيرة ديبو Débo وذراع نهر النيجر دياغا Diaghaاو Diaga اما الشعب السوننكى فيعرفون ايضا بالسراكولي او الماركا ويذهب دولافوس الى ان موطنهم الاصلي كان في دياغا[4] لكنهم اتجهوا نحو الشمال الغربي اي اسسوا مستوطناتهم الزراعية هناك ويتفرع من هذا الشعب عنصرا اخر[5] وهي الونغارة،

ولقد كانت هذه المجموعة قد وصلت الى بلاد مندين الاوسط في تاريخ غير معروف ولهم دور كبير في تاريخ مملكة غانا والونغارة في بداية امرهم كانوا عبيدا لدى ملوك مملكة غانا الا انهم استطاعوا وبفضل مهارتهم التجارية ان يخذوا امتيازات مكنتهم من حقهم في تجارة الذهب المسحوق المعروف بالتبر، فجعلوا من مدينة اودغشت مستقرا لهم ومحطة تجارية عظمى. وعموما فان الونغارة هم فرعا من فروع السوننكي انتشرت في عدة مناطق من بلاد الماندينغ كهضاب الماندينغ العليا، وحوض غمبيا في الجنوب[6]

ومن فروع السوننكي ايضا الديولا وهم ينحدرون من سلالة السوننكي، ولكنهم انفصلوا عنهم عند اختلاط هذه السلالة مع شعوب الساحل من ساميين وموريين، وهم ما جعلهم يحافظون على طابعهم الماندي الاصيل، ويؤكد الديولا انفسهم هذه الاصالة من خلال استدلالهم بكلمة ديولا على انها تعني عمق السلالة الماندية[7] . وهناك كذلك ماندينغ الوسطى هم يتفرعون الى مجموعات عديدة مثل كاغورو

---

(1) محمد عوض محمد، **السلالات و الشعوب الافريقية**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1960م، ص،53.

(3) Niane, Temsir djibril**, « Mise en place des populations de la haute guinée « in Revue éthiopique, N°2 avril, 1960,P,40**

(1) Dr Collomb, **les populations du haut Niger, leur mœurs et leur histoire Imprimerie, Pitrat** Aine Lyon, France, P1

(4) Delafosse**, M, Haut-S, N**, t1 Op Cit, p,253.
(5) Ibid,pp,253.255,256.

(4) Mahmoud, kati**, Tarikh el fetach**, traduction française par, O, Haudas et, M, Delafosse, Editions, Ernest, Leroux, Paris,1913, p65
(5) Trimingham, J, speacer, **A. History of Islam in West Africa, Oxford** university 1970, Press, p,48.

وكانوا يمتدون الى غاية غرب وجنوب " دياغا" بحيث يشكلون الحد الفاصل بين الموطن الاصلي لسوننكى لهذا فقد شهدت اراضيهم صراعات طويلة.

ومن اهم شعوب هذه المنطقة البمارا والتي تعني الصخرة ذات التنوءات الحادة ، والاوربيين هم الذين اطلقوا على هذا الشعب اسم البمبارا وهم نفس الاسلام الذي نحده عند عبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان، حيث المسلمون يطلقون على السودان غير المسلمين.[1]

وقد خضعوا لسلاطين مالي ثم نالوا استقلالهم في القرن السابع عشر وتمكنوا من تخلصهم من نفوذ باشوات تمبكتو و المراكشيين كذلك واخذوا يتوسعون في القرن الثامن عشر فاندفعوا نحو الشمال و اسسوا امارة كارته على النيجر والتي احتفظت باستقلالها طوال القرن الثامن عشر، ويلاحظ بان البمبارا تمسكوا بوثنيتهم وكونوا ممالك وثنية في المنطقة الواقعة عند المجرى الاعلى لنهر السنغال من ميدينMedine حتى باقولابيBafoulabé وعند نهر النيجر من باماكو حتى سانسندنج Sansanding وكثيرا منهم استقر في مستعمرات في مانسينا وقد عرفوا بعدائهم الشديد للمسلمين وقد ظلت مملكتهم قائمة حتي قضى عليها الحاج عمر طال.

واذا انتقلنا الى قبائل فولتا الشمالية نجد انها ليس لديها اي استعداد لقبول الاسلام ولم يتأثروا به على الرغم من اتصالهم بالمسلمين منذ قرون عديدة وعيش بين قبائل فولتا شعب الموسى الوثني.[2]

وفي الساحل الغيني بين ابيدجان و الكاميرون نجد في الغرب قبائل الاشانتي التي تعيش في الاراضي الداخلية لساحل الذهب وقبائل الفانتى التي تسكن في المنطقة الساحلية من الساحل اما في شرق ساحل الذهب وجنوب توجو فتعيش قبائل جماعة ايوافونEwé Fon فيتمركزون في جنوب الداهومي.[3]

- **شعب الهوسا :**

تمتد رقعة موطن الهوسا وتنقلاتهم في كل من جمهورية نيجيريا، والنيجر، وغانا والكاميرون، وساحل العاج وتشاد، ومالي وبوركينا فأسو إلى أن يصل مداها ارض السودان ويصل عددهم حوالي مائتين وخمسين مليون نسمة، أما الناطقون بها فهو أكثر من هذا العدد. واغلب قبائل الهوسا تتمركز في نيجيريا والنيجر وغانا. ويمكن القول بان الموطن التقليدي لهذه القبائل يمتد من جبل الهواء في النيجر إلى منطقة جوس في وسط نيجيريا، ومن بحيرة تشاد مرورا بالإمبراطورية سنغاي القديمة على طول نهر نجير.[4]

والهوسا ليسوا قبيلة واحدة، ولا عدة قبائل تنحدر من أصل واحد، ولكنهم مزيج من عدة قبائل كونوا عبر العصور عدة أعراق مختلفة، والرابطة التي تجمع بينهم هي لغة الهوسا

---

(1) Delafosse,**M,Haut,S-N,Tome1**,Op Cit ,p,282.

(2) محمود حسن احمد، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط1، 1962م، 282.

(3) ذهني محمد علي الهام، **جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، المرجع السابق، ص29-30

(4) الهادي المبروك الدالي، **قبائل الهوسا دراسة وثائقية** ، مطابع الوحدة العربية بالزوايا، ليبيان ط1،2005م. ص 89.

والمصالح المشتركة، رغم ذلك لم يكونوا امة واحدة نسبة لنزوعهم للروح الاستقلالية التي يتمتعون بها، وان كلمة الهوسا مصطلح لغويا أكثر منها مصطلح قبلي.

إن أبناء قبائل الهوسا المنتشرين على مساحة جغرافية شاسعة يعتبرون المجموعة العرقية الكبرى في الأقاليم الشمالية لنيجيريا فيما تدعى المجموعة العرقية التي تليها وهي قبائل الآفلان أنها أكثر انتشارا وقبيلة الهوسا والفولاني تربطهم علاقات وثيقة، فان الشعوب النيجيرية اعتادت على القول بأنهما مجموعة قبيلة واحدة، ومع ذلك فان أصولهم ولغتهم مختلفة متميزة إحداهما على الأخرى. (1)

ولابد بإقرار انه بعدم وفرة الوثائق التي يمكن اعتمادها في دراسة كل ما يتصل بشعوب الهوسا وإماراتهم ولا ربما أنها ضاعت مع سيطرة الفولانيون على مملكتهم.

. شعب اليوروبا:

هم سكان الإقليم الغربي، وتستوطنوا هذه القبائل المنطقة الواقعة في جنوبي غربي مصب نهر النيجر وتمتد من حدود هذا النهر شمالا وشرقا إلى المحيط الأطلسي جنوبا وحدود بنين غربا وهي ذات انهار وأشجار، ورمال، وجبال. (2) لهم تاريخ قديم يرجع إلى ألف سنة، والروابط بينهم ثقافية أكثر منها حكومية تنظيمية وينسمون إلى مجموعات لها ملوك ورؤساء ونظم وراثية ويسكنون المدن. ومن اغرب النظم عندهم أن الملك وبوساطة مجلس الكبار يمكن التخلص منه فإذا تقرر التخلص من الملك أرسلوه لرئيسهم يحمل بيضة ببغاء وعلى هذا يجب عليه أن يشرب السم فيموت. (3)

ويتعقد شعب يوروبا أنهم من سلالة الادودوا(Oduduwa) وهو الجد الأعلى لليوروبا وحكام اليوروبا يوقنون انحدارهم من هذا الجد باعتباره هو الملك لعرشي أيفي وتقول الأسطورة السائدة بين أواسط شعب اليوروبا أن الادودوا له أبناء كثر والذين أصبحوا الجد الأعلى لعشيرة تعرب بشعب تعرف اليوروبا، وكانت كلمة الأوبا تعني الحاكم عندهم.

والأوبا مصطلح كان يطلق على الملك وهذا المنصب وراثيا. حسب تقاليد وعادات اليوروبا، وينحصر في الرجال الذي ينتمون إلى الأسرة الحاكمة، والأوبا حاكما مقدسا وله الطقوس الخاصة به. فالسلطة الدنيوية لا تمنح لأحد من أقاربه أو عشيرته، ولكنها كانت في يد مجلس الشيوخ. يعني ذلك أن الأشخاص المنحدرين من النسل الملكي كانوا ممنوعين من تقلد الوظائف السياسية في أمر المملكة. (4)

---

(1) احمد لواء الدين احمد، **الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان دان فودي في ترسخيه**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2009م،48. ، والأمين أبو منقة وسليمان، " الصلة بين الفولانيين وبين قدماء المصريين وقدماء بلاد النوبة"، **مجلة دراسات افريقية**، العدد44، ص،3.

(2) احمد بلو فودي، **اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق** علي عبد العظيم وآخرين، الاتحاد الاشتراكي العربي 1964م، ص48.

(3)عبد الملك عودة، **سنوات الحسم في إفريقيا 1960م-1969م.**، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، دط، 1969م، ص،174.

(4) فيج، جي دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، تر، يوسف نصر دار المعارف الاسكندرية، القاهرة، 1982، ص، 202.

وكان لكل بيت ملكي في المجموعة العشائرية الحق في تقديم مرشحه حين يخلو منصب الملك والذين يقومون باختيار الاوبا هم الذين يحق لهم هذا الاختيار حسب التقاليد، وهؤلاء أعضاء في المجلس يسمى مجلس الاختيار ويختار الملك من بين الذكور المنتمين لعائلات ملكية، وإذا قرر أعضاء مجلس ان الحاكم غير قادر على أداء مهام فلابد أن يرحل، ولقد لعب هذا المجلس نفس الدور الذي لعبته القوة الأوتوقراطية في إمارات الفولاني، فالأوبا بمثابة الأب لأبناء القبائل ولكنه ليس زعيما سياسيا.

وفي مجتمع اليوروبا تمثل الأسرة نواة الوحدة السياسية، وتشابك الأسر مع بعضها البعض في نسيج من العلاقات المتبادلة وكثيرا ما تحدث مقابلات واجتماعات عائلية موسمية خاصة في الأعياد، ويظهر هذا التلاحم وترابط في قرب بيوتهم من بعضها البعض، وقد أدى نظام العائلة والمتطور لنظام اجتماعي متميزا ومنظما جعل أبناء اليوروبا يرتبطون ارتباطا وثيقا بالوطن الأصلي حتى ولو هاجروا إلى مناطق أخرى. (1)

وشعب اليوروبا ماهر وأنفالي بطبيعته وهم يفضلون سكنى المدن بعكس قبائل الايبو الذين يعيشون في القرى ويشعر شعب اليوروبا بالتفوق على سكان القرى، ومن أشهر المدن التي سكنتها هذه القبائل مدينة ابيادان في النصف الأول من القرن التاسع عشر وأسست العائلات التي سكنت مدينة ابيادان وحدة ثقافية وكان لهم إيمان قوي بان هذه الأرض هي ارض الآباء، لذلك شكلوا جمعيات عرقية تضم مواطني اليوروبا الذين يقيمون في بلاد المهجر. (2)

ومن أهم أخلاقهم المكر والدهاء والأنانية والغيرة والفخر والرياء إلى جانب الذكاء والنجدة والمحافظة على تقاليد الأسلاف والأجداد، كل هذه الصفات والحميدة والمنبوذة جمعتها قبائل إلى اليوروبا، وهم اسبق القبائل النيجيرية في تعلم اللغة الانجليزية. لهذا كثر فيهم الدكاترة والمحامون والمهندسون والسياسيون. (3)

وكان لقبائل اليوروبا أراضي شاسعة في الإقليم الغربي لكنهم فقدوها في حروبهم مع الشماليين سابقا، مع ذلك فقد ظلوا أقدر القبائل وأكثرها اعتمادا على أنفسهم، كما لهذه القبائل ديانات مختلفة ففيها المسلمون والمسيحيون، كما تغلب عليهم الكثرة الوثنية.

ويمكن القول أن هذه القبائل قد تأثرت بشكل كبير بحملات التبشيرية المسيحية في نيجيريا مما هيأ المجال لسكانها وأعطى لهم فرصة التعليم ودخول الدين المسيحي، كما انتشرت بينهم

---

(1) Schwarz,Frederick,A,O, :**Nigeria-The treibes the Nation or the Race the Politics of Independence ,**London,1965,p32 .

(2) Harry Williams، **Nigeria Free**، London,1962,p, 92.

(3) ادم عبد الله الالوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، دار الحياة، بيروت، دط،1962م. ص ، 127.

الأفكار الأوروبية، هو ما ساعد على بروز طبقة مثقفة أصبحت أكثر الجماعات تقدما وتطورا في البلاد. [1]

ـ شعب الايبو:

هم سكان الإقليم الشرقي، وتمثل هذه القبائل نسبة عالية من حيث كثافة السكان بعد قبائل الهوسا في الإقليم الشرقي ن وهي قبائل وثنية مختلطة الأصول واللغات والديانات، وتحتفظ بدياناتها الإفريقية، ويجد الاسلام والمسيحية صعوبة في الانتشار بين افرادها، هي قبائل تتميز بعدم وجود الرؤساء والزعماء وانعدام الدور السياسي ودورهم السياسي ومراكزهم الأدبية.

وتقيم هذه القبائل في المنطقة الممتدة بين نهر النيجر ونهر كروس في جنوب شرقي نيجيريا، وتتميز بعدم وجود المدن والممالك المركزية التي ميزت حضارات الهوسا والفلاني واليوروبا في فترات عديدة من تاريخيها [2]

فالإيبو يعيشون في قرى ومجموعات تنظم حياتها بنفسها، ولا يظهر في هذه التجمعات زعيما قبلي آو رئيسا وراثيا، وذلك لأنها تقوم على أساس جماعية القيادة للكبار السن في القرية.

ويرجع انتشار القرى المستقلة العديدة والتي يبلغ عددها نحو 500 قرية إلى انتشار الغابات الاستوائية الكثيفة في الإقليم الشرقي، والى عدم وقوع غزوات أو هجرات جماعية كبيرة إلى هذا الإقليم بحيث تدفع الايبو إلى التلاحم في دولة مركزية موحدة.

وعلى الرغم من أن السلطات البريطانية شجعت الفكرة اللامركزية، فقد كانت هناك وحدة فكرية قوية بين أبناء الايبو خاصة وإنهم جمعيا يتكلمون لغة واحدة.[3]، ويتشابهون في كثيرا من المجالات الدينية والاقتصادية والاجتماعية و السياسية والثقافية. وقد ساعدت تجربة الحكم البريطاني على توطيد أواصر هذه الوحدة من خلال سياستها الاستعمارية المطبق في الأقاليم النيجيرية.

وأدت بذلك إلى ظهور الوعي الوحدوي بين أبناء هذه القبائل خاصة بعد انتشار التعليم في أواسطهم. [4] ومن أهم طباعهم سرعة الغضب والاستبسال والتمرد وحب الاستقلال. وكما قلنا سلفا فهي قبائل متفرقة لا تجمعها أية رابطة و القرية لا تتكون إلا من عائلة وحدة لا تخضع إلى أمير ولا سلطان، وقد انتظموا في العصر المعاصر بفضل ظهور نخبة مثقفة واعية

---

(1) ك مادهو باينكار، **الثورة في إفريقيا**، تر روفائيل، جرحيس، المؤسسة المصرية العامة القاهرة، 1964م، ص،551. وينظر، عبد الملك عودة،" الحرب الأهلية في نيجيريا"، **مجلة السياسة الدولية**، العدد 2، نيسان – تموز، القاهرة، 1970م، ص،27.

(2) محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي المعاصر غربي افريقية**، المكتب الإسلامي لنشر، بيروت، ط2، 1992م، ص، 273.

(3) **Pérouse de Mont clos Marc-Antoine**، «La violence ethnique à l'épreuve fait: le cas Nigeria In، op.cit. -p862.

(4) Jones, G-I :" Dual Organization in Ibo Social Structure" **Africa**, **vol, 19,N°2,April,1949**,pp,150-156.

دارسة للثقافة و السياسية من أمثال (نامدي ازيكوي)، الذي لعب دورا هاما في ميدان السياسة في الفترة الاستعمارية وحتى بعد الاستقلال والذي يعين حاكما عام على هذا الإقليم.[1]

والى جانب المجموعات العريقة الأربعة الكبيرة التي ذكرنها وجدت مجموعات اقل عدد مثل الابيبيو (Ibibio) والافيك(Efik) في الجنوب الشرقي، والاجاو(Ijaw) في دلتا النيجر، والادو (Edo) واليوهيو (Urhobo) و الكانوري(Kanuri) في الشمال الشرقي بالإضافة إلى العديد من المجموعات العرقية الأخرى في الحزام الأوسط والشرقي.[2]، وتضم نيجيريا قرابة 400 مجموعة عرقية، موزعة على القطر النيجيري وإذا كانت المجموعات العرقية الكبيرة كالهوسا واليوروبا والفولاني والايبو، قد لعبت دورا هاما في التطور والنمو الوطني لنيجيريا، فان هذا يرجع إلى النسب الكبيرة التي تمثلها هذه القبائل من مجموع السكان إذ قدر بحوالي 50%من مجموع سكان نيجيريا حسب إحصاء عام 1931م بيمنا تمثل القبائل الأخرى مجتمعة 50% من مجموع السكان لذلك كان تأثيرها محدودا إذ ما قرن بالمجموعات الأخرى. [3]

وبالإضافة إلى هذه القبائل الصغيرة، يلاحظ وجود بعض القطاعات من القبائل الرئيسة السابقة ذكرها على هيئة أقليات خارج إقليمها الأصلي في غيره من الأقاليم المجاورة أو خارج حدود نيجيريا في غيرها من البلدان المجاورة. وقد ظل ولاء كل هذه القطاعات القبلية متجها نحو موطنها الأصلي دون أن تحاول الاندماج مع غيرها من سكان المنطقة التي تعيش فيها. [4]

ونلاحظ أن التقسيم الإداري في نيجيريا ليس نهائيا، إذ أن في كل منطقة امتداد لقبائل تعيش في مناطق أخرى خاصة قبائل الهوسا والايبو. وفي العاصمة الاتحادية لاجوس توجد أقليات عديدة ومتنوعة من هذه القبائل على الرغم من وقوع العاصمة في الغرب وسط إقليم اليوروبا.

كما يجب أن نعرف أن التقسيم إلى شرق وغرب وشمال إنما وهو تقسيم إداري وضعته الإدارة البريطانية، ومناطق بعض القبائل حديثة والبعض الأخر قديمة ترجع إلى مئات السينين والسبب هو الهجرات المتتالية والغزوات المتعددة والحروب الكبيرة مما أثار الاضطراب فادى إلى الانتقال من مكان إلى لأخر. ولهذا يصب تحديد الإقليم الخاص بكل قبيلة. [5]

ويستخلص من هذه الآراء والنظريات المختلفة تمخض نظرية جديدة وهي نظرية الاختلاط بين مجموعة مهاجرة وبين السكان الأصليين في غرب إفريقيا، وهي الأكثر شيوعا ولأكثر حدوثا في كثير من الأقطار الإفريقية، ولا تخص قبيلة أو جماعة واحدة في إفريقيا وإنما تمس جميع القبائل القاطنة غرب

---

(1) ادم عبد الله الالوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، المصدر السابق ص127.

(2) Franklin,Blitz,L, **The Polities, and Administration of Nigerian Government,** London,1965,p27.

(3) Margaret، Peil، **Nigérian، Politics (The People' s View)**، London,1976,p69.

(4) Coleman's James, ,**Nigeria**-Background to Nationalisme los, **Angeles 1963, p, 24.**

(5) عبد الملك عودة، "الحركة الوطنية في نيجريا**" مجلة الاقتصاد والسياسة والتجارة**، القاهرة، العدد الأول، يناير-يونيو،1957م، ص151.

افريقية أو السودان الغربي وهذا من خلال هذه الدراسة المتواضعة للقبائل التي تتطرق تاليها من خلال هذا البحث.

- اللغات في افريقيا:

إن تعدد اللغات في إفريقيا أمر طبيعي، فالقبائل الكثيرة التي كانت تعيش في إفريقيا قبل تكوين الدول، فكانت كل قبيلة مستقلة، ولها لغتها الخاصة بها، وعادتها وتقاليدها الدينية والدنيوية، وبالتالي تجد اللغة هنا غير التي تجدها هناك. وكثير ما كانت القبيلة تملك لغة واحدة، ثم انقسمت القبيلة البطون وأفخاذ وذلك بعامل الزمن وكثرة العدد.

وبمرور الوقت تغيرت اللهجة هذا القسم عن ذاك القسم الأخر وبعد فترة تتحول كل لهجة إلى لغة تكاد تكون مغايرة للغة الأصلية. وتبعا لذلك وصلت اللغات في إفريقيا إلى ثمانمائة لغة، واغلب اللغات في إفريقيا لغة تفاهم وليست لغة تكتب وليست لها حضارة، ونيجيريا المثال الحي الذي يجسد هذا التنوع اللغوي ومن ثم التنوع الثقافي. [1]

- الاديان:

ان دين معظم سكان غرب افريقيا هو الاسلام ا الذي دخلها في القرن العاشر الميلادي، فهو ديانة الاكثرية في كل من بوركينافاسو وغامبيا ومالي وموريتانيا والنيجر والسنغال وسيراليون. ومع قدوم الارساليات التبشيرية الاوروبية مع الاستعمار الى غرب افريقيا في القرن الخامس عشر و السادس عشر دخلت المسيحة تلك البقاع واصبحت الان الديانة الثانية فيها وتتركز في ليبيريا وسواحل غانا وساحل العاج وبنين وتوغو وتسود الوثنية في المناطق الداخلية حول الغابات مثل غانا وساحل العاج وغينيا بيساو ة بالإضافة الى هذه المجموعات الدينية الثلاثة تتواجد اقليات بهائية وديانات اسيوية ' هندوسية، بوذية، وكونفوشية).[2]

وقبل ان نختم هذا المحور لابد ان نشير الى ان التنوع الجغرافي والسكاني في غرب افريقيا ادى بها الى الدخول في البرامج السياحية العالمية. فالغابات والاتها والصحراء والقرى الافريقية والثقافات المتنوعة للشعوبيها وحضارتها كلها تشكل رصيدا ضخما من الموارد والمعطيات الغربية التي لا توجد في القارات الاخرى، وفي حال استغلالها بطريقة صحيحة ستدر على المنطقة مدخولا كبير يساعدها في حل مشاكلها الاقتصادي الحادة التي تبقع تحتها.

- المحور الثاني: ممالك السودان الغربي (غانا، التكرور مالي، سنغاي):

1- الممالك الإسلامية في السودان الغربي:

شهدت فترة القرون الوسطى من القرن الثامن الميلادي إلى القرن السادس عشر الميلادي قيام ممالك وامبراطوريات اسلامية سيطرة لفترة طويلة من الزمن على مناطق إفريقيا في شرقها وجنوبها وسطها وغربها، وقد تمكنت هذه الممالك من نشر الإسلام ونقل الحضارة الإسلامية، وأدت دورا بارزا في تاريخ

(1)محمد عوض محمد، **الشعوب والسلالات الإفريقية** المرجع السابق، ص، 31.
(2) محمد علي فاضل، وسعيد ابراهيم ، **المسلمون في غرب افريقيا**، المرجع السابق، ص، 28

المنطقة في جوانب مختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، حتى أن العصور الوسطى في إفريقيا أضحت عصورا ذهبية على عكس الحال في أوروبا التي كانت في عصورا مظلمة.

وبالنظر للتاريخ هذه الممالك يظهر جليا أثر العرب والمسلمين في نقل الحضارة الإسلامية، ونشر قيم الإسلامية، والتعليم والتقاليد الإنسانية المنطلقة من التصور الإسلامي للحياة، وهو أمر له أثره الواضح في نشأة هذه الممالك.

أ ـ مملكة غانة:

غانة أول وأقدم إمبراطوريات غرب إفريقيا، التي قامت في بلاد السودان الغربي قام بتأسيسها جماعة من البيض في حوالي القرن الأول الميلادي، وبعد ذلك عظم شأنها في القرن الرابع الميلادي وخلال هذه الفترة استطاع البيض أن يبسطوا نفوذهم وتزداد قوتهم على الوطنيين الذين عاشوا بينهم، كما ظهر منهم زعيم يسمى كارا(kara) الذي ظلت سلالته تحكم غانة حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، وفي أواخر القرن الثامن الميلادي تولى السوننك الحكم بقيادة شخص يدعى كابا جان سيستي، أما فيما يخص أصل التسمية ،فإنها كانت أصلا لقبا يلقب به احد ملوك هذه الإمبراطورية، ثم اتسع مدلول الكلمة، فأطلق على العاصمة التي يعيش فيها الملوك، كما أورد المؤرخ العربي الفزاري الذي قال:"« انه يوجد قطر يسمى غانا أو ارض الذهب بحيث يقع هذا القطر جنوب الصحراء وبخاصة بعد عبورها من مراكش»[1]. ولكن الحقيقة انه لا يوجد في حوزة المؤرخين أية وثائق مكتوبة عن نشوء هذه المملكة.

رغم ذلك فقد زودنا الرحالة و المؤلفون العرب منذ القرن العاشر بمعلومات هامة عن تلك المملكة ففي كتب ابن حوقل و البكري و ابن خلدون إشارات هامة تسند منطق علمي ، لأنها بنيت على أساس المشاهدة الشخصية، أما المؤرخان الإفريقيان السعدي وكاتي ، فإنهما يحددان القرن الرابع الميلادي كبدء لظهور هذه المملكة، وهو ما وجدته عند مؤلف كتاب تاريخ غرب إفريقيا ومؤلف كتاب الإسلام الأسود، وتبقى الآراء مختلفة حول نشوء هذه المملكة.[2]

امتدت غانة الدولة الأولى في تاريخ إفريقيا الغربية بين وادي النيجر الأدنى شرقا و المحيط الأطلسي غربا وبين وادي السوس و الصحراء الموريتانية شمالا ومنابع النيجر والضفة اليمنى لنهر السنغال جنوبا، فيما كان يسمى بلغة البلاد (واكادوا) (wagadou) أو فيما يسمى اليوم بالجمهورية مالي و جمهورية السنغال، وتدل الروايات التي اعتمد عليها المؤرخون العرب و الإفريقيون على إن أربعة و أربعين ملك تولوا حكم البلاد حتى عام 770م.[3]

واستطاعت هذه الدولة من أواخر القرن الثامن الميلادي وبعد أن انتقل الحكم إلى فرع السوننكي أن تخضع بلاد الفوتا حيث التكرور والولوف والسرير، ووصل هذا التوسع إلى نهايته القصوى في مستهل

---

(1) Vincent Monteil, **L'islam noir une religion à la conquête de L'Afrique,** troisième, édition, Paris, VI, P,105.
(2) Maurice Delafosse, **Les Noirs de l'Afrique**, avec 4, cartes, édition, définitive, Payot, Paris,1941, p,41.
(**3**) Ibid,p,44.

القرن الحادي عشر للميلاد، فأصبحت غانة تسيطر على المسافات الممتدة من أعلي نهر السنغال وأعلى نهر النيجر وامتد نفوذها إلى موقع تمنبكت شرقا وبلاد التكرور أو السنغال غربا، وينابيع النيجر جنوبا واغلب الصحراء الغربية شمالا، وانتقلت عاصمتها إلى مدينة كومبي صالح، وهي نفسها مدينة غانة.

واشتهرت إمبراطورية غانا بقوة جيشها، وكثرة عدده، فيقول لبكري:« فإذا احتفل مللك غانا، ينتهي جيشه إلى مائتي الفن منهم رماة أزيد من أربعين ألف، وخيل غانا قصار جدا.» ويستعملون الأسلحة المصنوعة من الحديث كالسيوف، والحراب والرماح، و النشاب في حين كان جيرانهم يحاربون بقضبان من الانبونس.[1]

اعتمدت إمبراطورية غانا على التجارة كمصدر رئيسي في اقتصادها خاصة فيما تعلق الامر في تجارة الذهب حتى صارت تعرف ببلاد الذهب ، وأصبح ملوكها من اغني ملوك الأرض رغم أنهم لم يسيطروا على مناجم الذهب التي كانت تقع في منطقة وانقارة أو ونغارا **Wangara** جنوب مملكة غانا لكنهم كانوا يتحكمون في الطرق التجارية المؤدية إليها وما تفرضه من ضرائب على الصادرات والواردات زاد في ثروتها وبإضافة إلى ذلك موقع غانا الذي جعلها حلقة اتصالا بين شمال القارة وغربها.[2]

وقد أدى رواج التجارة إلى أن أصبحت غانا العاصمة (كومبي صالح). تعتبر من أكبر أسواق بلاد السودان. والى تسرب الإسلام إليها سليما عن طريق التجار والدعاة المسلمين، ويتبن هذا من راوية البكري، الذي زار هذه البلاد في عام(460هـ1067م)، وذكر أن مدينة عانة بها مدينتان يحيطهما سور، إحداهما للمسلمين وبها اثنا عشر مسجدا، يعين لها الأئمة والمؤذنون. بإضافة إلى الفقهاء وحملة العلم، أما المدينة الأخرى فهي مدينة الملك فتسمى بالغابة، وبها قصر الملك ومسجدا يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين، ويضيف البكري أن تراجمة الملك من المسلمين، وكذلك كان صاحب بيت ماله و أكثر وزرائه من المسلمين.[3]

كما أصبحوا يتشبهون بهم لحسن أخلاقهم وصدقهم وأمانتهم وحسن معاشرتهم ،فأصبح ملوك غانة يقتدون بالمسلمين حتى في لبسهم المخيط عكس ما كان عليه سائر الرعية من لبس الملاحف القطنية والحرير.[4] فكان حري إن يتبعوا دينهم أيضا.

ويذكر أيضا أن ملك غانا رغم وثنيته كان محمود السيرة محبا للعدل متأثرا بالمسلمين وهذا يدل على أن الحركة الإسلامية كانت حركة دافقة، فقد كثر عدد المسلمين غرب إفريقيا إلى درجة أن شعب التكرور بأكمله كان قد أسلم على يد مالكه وارجابى بن رابيس الذي توفي عام 433هـ .1040م.[5] عنصرا هاما في ازدياد انتشار الإسلام وان هذه الصلات المتنوعة و الجهود البارزة ،قد أدت إلى انتشار الدين الإسلامي في غربي افريقية.[6]

---

(1) Bovill, E,W , **The Golden trade of the Moors**, oxford university London ,p,82.
(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، المصدر السابق، 98.
(3)ابو عبد الله بن عبد العزيز البكري، **كتاب المسالك و الممالك** ، المصدر السابق، ص، 175.
(4) جون فيج، **تاريخ غرب إفريقيا** ، المرجع السابق ،ص،17.
(5) البكري ، **كتاب المسالك و الممالك** ، المصدر السابق، ص،168.
(6) ابراهيم علي طرخان، **دولة مالي الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1983م،ص153، .

ولما كانت غانا جزءا من غرب إفريقيا فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بينها بدرجات متفاوتة الراجح أن عددا كبيرا من سكان غانا قد اعتنق الإسلام، و أن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد و الثقافة واللغة العربية ، قد وجدت طريقها إلى بلاد غانا في زمن مبكر، قبل المرابطين، ذكر البكري أن بني أمية أرسلوا جيشا إسلاميا لفتح بلاد السودان، في صدر الإسلام ،واستقرت ذرية هذا الجيش في غانا ويقول القلقشندى أن أهل غانا اسلموا في أول الفتح وهو هنا يؤرخ لإمبراطورية غانا الإسلامية بدخول المرابطين أراضي غانا الوثنية وذلك عندما أخضعوا ادوغست[1] عام 1055م واستولوا على مدينة غانا 1076م وعينوا عليها حاكما من البربر.[2]

وكثيرا ما تم ربط إسلام مملكة غانة بالفتح لعاصمتها سنة (469هـ . 1079م)، بيد أن كلام البكري عن حضور الإسلام والمسلمين بالعاصمة وغيرها من مناطق المملكة قبل دخول المرابطين يزحزح هذا الرأي السائد.

وذلك إن جل المؤشرات التي تطرها الشهادات المصدرية، تؤكد ان البلاد كانت تعيش أثناء الثلث الثاني من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي مرحلة انتقالية تمهد لتعميق وترسيخ الإسلام بين أهل غانا. فعلى مستوى السلطة الحاكمة، نجد سلوكا يعبر بوضوح عن موقفها من الإسلام والمسلمين، ويقول البكري عن الملك بسي الذي توفي (400هـ-1063م)، الذي ذكر سلفا والصفات المتميزة التي كان يتمتع بها، وحتى لما آل الحكم إلى ابن أخته، الذي اتبع نفس النهج ، فأعتمد على المسلمين أساسا في تسير دواليب الحكم.[3]

وبموازاة مع ذلكن كان ملوك غانة يعفون المسلمين من التزام المراسيم التقليدية في التحية والسلام أثناء الاستقبالات الملكية:" فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونشروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم" له أما المسلمون فيكتفون بتصفيق باليدين."».[4]

ولا يختلف سلوك الحكام عن سلوك المجتمع الغاني إزاء الإسلام و المسلمين ويبقى وصف البكري لمدينة غانة العاصمة نموذجا وشهادة ودليلا قاطعا عن تعايش المسلمين السودانيين كما انه يدلنا على ديناميكية الفقهاء في نشر الإسلام ورغبة أهل غانة في التعرف على الدين الحنيف.[5]

والسؤال الذي يطرح نفسه في مثل حالتنا هذه كيف يمكن فهم الموقف المزدوج لملوك غانا؟ إذ في الوقت الذي نجدهم يفتحون صدرهم للمسلمين ويمكنونهم من المناصب السامية في إدارة دولتهم ويسمحون لهم بتشييد المساجد، حتى يتسنى للمسلمين إقامة شعائرهم الدينية علانية وبكل حرية ويشجعون الفقهاء وأهل

---

(1) مدينة اودغست او اودغشت، إحدى حواضر إمبراطورية غانا ذكر الإدريسي بان المسافة بينها وبين بريسى اثنا عشر مرحلة، وذكر البكري بأنها تقع بين الزنوج و سجلماسة، ووصفها ابن حوقل فقال :مدينة اودغست مدينة لطيفة، وأشبه ببلاد الله بمكة بين جبلين ذات شعاب" فهي خليط بين العرب المغاربة و العرب المسلمين وقبائل ،السوننكي وقبائل صنهاجة، التي تتمتع بحق السلطة،وبها نهضة اقتصادية وحركة تجارية نشيطة، كما عبر على ذلك البكري. الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي الافريقيا** .... المرجع السابق، ص،

(2) نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا**، المرجع السابق،66.

(3) البكري، المصدر السابق، ص،174.

(4) احمد شكري، **الإسلام و المجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230م-1430م)**، المرجع السابق ، ص، 98.

(5) البكري، المصدر السابق، ص، 175.

العلم على ممارسة نشاطهم بين السودانيين، في الوقت نفسه كان الملوك لا يزالون يتمسكون بالمعتقدات الوثنية، ولم يعتنقوا الإسلام بعد، ودون أن نقطع في الأمر فإننا لا نشك في أن المسلمين المتواجدين في العاصمة لا بد أنهم كانوا قد عرفوا الملوك بالإسلام ودعوهم لاعتناقه.

ولا نستبعد كذلك الطرح القائل بأن ملوك غانا الأوائل قد اعتنقوا الإسلام وهذا الطرح الذي أؤيده فيه ما ذهب إليه البكري وإلا كيف نفسر تعاطفهم مع الإسلام والمسلمين، وربما كانوا يخفون إسلامهم ولم يظهروه إلى العلن، ومثل هذه الحالة يتطرق إليها البكري حيث يقول انه:" مسلم يخفي إسلامه".

و مهما يكن من هذا الأمر علينا أن لا نتغافل على دور العامل الزمني في قلب الأفكار و المعتقدات و أن نقدر هذا المعطى في معالجة القضية في سياقها التاريخي وأن لا نتناسى أن هذه المرحلة كانت المرحلة الأولى لحضور الإسلام في بلاد السودان الغربي.[1]

ويتحدث البكري عن دخول الإسلام إلى مدن قريبة من مملكة غانا، ويذكر أن مملكة ملل أو مالي التي تقع جنوب مملكة غانا كان مالكها، والذي يعرف باسم المسلماني قد أعلن إسلام على يد بعض الفقهاء المسلمين الذي كان يزوره ،والسب هو انه وبعد إن أجذبت البلاد وكاد أهلها يهلكون فلم استجاب لهم الله وانزل عليهم الغيث، قام الملك بتحطيم الدكاكير أي الأصنام، واخرج السحرة من البلاد ،وحسن إسلامه وهو وأهل، رغم أن معظم أهل المملكة ، كانوا وثنيين.[2] وذكر البكري أنه هناك مدن وممالك صغيرة مثل مملكة كوكو عند منحى نهر النيجر وتجاه بلاد الهوسا، وهي مثل مدينه غانا مدينتان فإنها تتكون من مدينين، وتعتبرها البحوث الإيكولوجية أنها أقدم الحواضر السودانية.

ومازالت أثارها شاهدة على تاريخها العريق إلى اليوم ونظرا لموقعها الاستراتجي، فقد اتخذها اهل السنغال عاصمة لإمارتهم ، وذلك في القرن العاشر الميلادي، وستظل المدينة كذلك إلى جين انهيار الإمبراطورية السنغائية في القرن الخامس عشر.[3]

وتدل كل هذه المعلومات التي قدمها لنا البكري، أن كثيرا من المدن والقبائل الزنجية كانت قد أسلمت، وهي ممالك تحيط بغانا غربا وشرقا وجنوبا وكان لابد من القضاء على هذه المملكة، حتى يسير الإسلام في مجراه الطبيعي ويستقر بين هذه الشعوب التي أمنت به، وينهي دور غانا في مناهضة الإسلام، واستغلال تفرق شمل قبائل الملثمين في بعض الأحيان.

فكان الهدف الذي كرسه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني زعيم الملثمين جهوده في الاستيلاء على غانة وإخضاعها للدولة المرابطين كما ذكر أنفا. وهو التاريخ الذي يعتبر المؤرخون بداية غانا الإسلامية.[4]

---

(1) احمد شكري، **الإسلام و المجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230م-1430م)**، المرجع السابق، ص، 99.

(2) Maurice Delafosse**, « Hat-Sénégal-Niger**, »,**(Soudan français**) et ,Larose, 3v,T,II,1972,p,175.

(3) Rouch,Jean, « **Contribution à,L' histoire des songhay,** »Dakar, Mémoire, L, F, A, N, B, N°29,1953, pp, 137,138,145,150.

(4)،عبد اللطيف دندش عصمت، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، دارا لغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م،ص،101-102-103.

ومع أن حركة المرابطين أدت إلى إضعاف غانة سياسيا ، فان سيادة المرابطين على غانة ل تعمر طويلا إذ سرعان ما تخلصت غانة من هذه السيادة على اثر وفاة الأمير أبي بكر أمير المرابطين 1087م على يد أتباع احد زعماء قبائل الموسى **Mossi** في شمال داهمي، فانتهزت بلاد السودان الغربي هذه الفرصة التي من اضطراب الجيوش المرابطية ، فأعلنت غانا استقلالها ن وانفصالها عن دولة المرابطين وبدورها استغلت الممالك الصغيرة الفرصة وانفصلت عن الإمبراطورية الغانية ،ومن ثم وقعة غانا تحت سيطرة الصوصو، ومن هنا انهارت مملكة غانا القديمة.[1]

مملكة التكرور:

ويعرفون بأسماء مختلفة منها التوكولور (Toucouleur) او الساراكولي(sarkhoulé)، ويعد هذا الشعب من اقدم الشعوب السودانية واشرها، وان المشارقة وخاصة المصريين كانوا يطبقون اسم تكرور على كل بلاد السودان كما سبق ذكره، وحتى في اوج ازدهار وعظمة امبراطورية مالي كانوا يخلطون بين هذه الامبراطورية العظيمة.

ومملكة التكرور مما كان يثير حفيظة ملك مالي " مسا موسى" و يصر على تصحيح هذا الامر امام ملوك مصر، ويؤكد لهم ان مملكة التكرور لم تكن الا جزء من اجزاء الامبراطورية المترامية الاطراف.[2] ومن الممكن ان الشهرة التي اكتسبتها هذه المملكة تعود الى الاسبقية في اعتناق الدين الاسلام من بين كافة شعوب المنطقة، حيث اعتنق ملكهم "وارجاني" الاسلام منذ اواخر القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد اي قبل فتح المرابطين لمملكة غانة الوثنية.

اما موطنهم فكان في اعالي السنغال واواسط النيجر، وكانوا اسبق الشعوب للإسلام وحرفتهم الزراعة، وهم على جانب كبير من الذكاء والشجاعة، وقد لعبوا دور كبيرا في مقاومة الغزو الفرنسي، وكونهم منهم الحاج عمر طال امبراطورية كبيرة والتي امتدت من اعالي السنغال حتى اعالي النيجر.

ويعد التكرور طائفة من طوائف السودان الغربي، اقترن اسمهم باسم البلد التي سكنوها الى وهي التكرور، حيث كانت مواطنهم التي مازالوا يقطنونها الى يومنا هذا وهي منطقة " فوتا السنغالية، لكن موطنهم الاصلي الاول اي الى غاية القرن السابع للهجرة الثلاث عشر ميلادي فهو ضفتي نهر السنغال، حيث يخبرنا ابن سعيد بان قاعدتهم كانت ضفتي نهر السنغال وهي المنطقة المسماة بالتكرور وبها اكتسبوا هذا الاسم.[3]

- الاسلام في مملكة الكرور:

الواقع ان البكري لا يتحدث عن تكرو سواء كمدينة، بيدان ان المعطيات التي يطرحها توحي بان الامر يتعلق بإمارة سودانية صغيرة كانت مدينة التكرور مستقر اميرها، وحسب المصدر نفسه، يمكننا توطين

(**1**) Maurice Delafosse, **Les Noirs de l'Afrique,** op, cit, pp,49-50.

(2) ابن فضل الله العمري، **مسالك الابصار في ممالك الامصار**، تحقيق حمزة احمد عباس، الجزء الرابع، المجمع الثقافي، ابو ضبي، 2002م، ص، 108.

(3) ابو الحسن المغربي علي بن موسى المغربي ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا** ، تحقيق وتعليق ، اسماعيل المغربي ، ط 2 ديوان المطبوعات الجزائر ، 1982م ، ص، 91. وانظر ايضا عبد الرحمان زكي المرجع السابق، ص،103.

امارة تكرور على الضفة اليسرى لنهر السنغال وهي بذلك ك تقابل مجال صنهاجة اللثام على الضفة الاخرى، وخاصة قبيلة جدالة واخر الاسلام خطة" وأقربها لبلاد السودان.

وكان بديهيا ان تكون هذه المنطقة وبحكم قربها من المسلمين اولى المناطق التي اخصبها الاسلام، فهل تم كذلك عن طريق الدعاة والفقهاء او نتيجة احتكاك وتفاعل اهل تكرور مع صنهاجة المجاورين لهم من الشمال؟ لا نملك شهادة صريحة بهذا الصدد على ان توفر كل من مدينة اودغشت وغانة العاصمة على المساجد والفقهاء وحملة العلم والمعلمين للقران، يحلمنا على الاعتقاد في ان التكرور كانت تعرف الوضعية نفسها وذلك على اعتبار قربها من المدينتين.

كما ان تحالف رئيس تكرور مع يحيى عمر اللمثوني ضد قبيلة جدالة هذه الاخيرة لعبد الله من ياسين 1057م ، يحيلنا على عمق الروابط التي تجمع بين تكرور و لمتونة، واذا كنا لا نستبعد بحكم هذه العلاقة، ان تكون لقبيلة متونة دور في اسلام اهل التكرور، فاننا نعتقد ان دور جدالة في هذه القضية شكل العامل الحاسم، ذلك بالنظر لتجاور لبلاد التكرور وتفاعلهما اقتصاديا وبشريا.

يرجع تاريخ اعتناق بلاد التكرور الاسلام الى الثلث الاول من القرن الخامس الهجري اي قبل قيام الحركة المرابطية، وهوما نستخلصه من كلام البكري عن مدينة التكرور « واهلها سودان وكانوا على ما ساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والدكور عندهم الصنم حتى وليهم ورجابي بن رابيس فأسلم واقام عندهم شرائع الاسلام وحملهم عليها وحقق يصايرهم فيها وتوفي وارجابي سنة اثنتين وثلاثين واربع مائة (432هـ-/1040-1041م) فأهل تكرور اليوم مسلمون» [1]

يعد اسلام اهل التكرور، عمل ورجابي بن رابيس على الدعوة للإسلام في مدينة سلي القريبة منه ونحن لا نعلم حقيقة العلاقة التي تربطهما على ان قبول مللك سلي لدعوة وارجابي دون تردده يدفعنا الى القول ان المدينة كانت خاضعة لإمارة التكرور او متحالفة معها, ولا ريب ان الفقهاء و الدعاة و التجار المسلمين كان لهم دورا اساسيا وفي استعداد اهل سلي لقبول اعتناق الاسلام، والا ما كان الامر ليتم بتلك السرعة و البساطة، والاكثر من ذلك ان اهل سلي مباشرة بعد اسلامهم باشروا العمل في نشر الدعوة للدين الله الحنيف في كل من القرى و المدن الوثنية القريبة منهم والتابعة لمملكة غانة.

وخاصة في مدينة قلنبوا التي لا تبعد اكثر من مسيرة يوم واحد.[2] يقدم لنا نموذج عملية انتقال الاسلام من صنهاجة الى تكرور ومنها الى سلي و المناطق المجاورة لها، صورة حية عن دينامكية الاسلام في المنطقة، وبذلك يمكننا القول انه بمجرد ما تمس ظاهرة الاسلام منطقة معينة، تصبح تلك المنطقة مسؤولة عن نشره في هوامشها. وعلى هذا الاساس فان سيرورة انتشار الاسلام في المنطقة السودان الغربي لا ترتبط فحسب بالموجة العربية ثم الموجة البربرية كما اعتقد يوسف كيوك، وانما كذلك بالموجة المحلية اي السودانية.

---

(1) البكري، **المسالك والممالك** ، المصدر السابق، ص، 158-173.

(2) نفسه، ص،168-169.

ان مدينة تكرور التي حدثنا عنها البكري 460هـ 1078م ستتطور كثيرا في هد الرحالة و الجغرافي الادريسي, فقد اصبحت عبارة عن سلطنة اسلامية على غاية الاهمية من الناحية السياسية في بلاد السودان، اذ امتد نفوذها جنوبا في اتجاه مناجم الذهب، وبذلك اصبحت مدينة بريسي خاضعة لها بعدما كانت تابعة للمملكة غانا في عهد البكري، ام مدينة سلي التي لم تكون لها علاقة بالتكرور فقد اصبحت في عهد الادريسي من عمالة السلطان التكروري.[1] وتدلنا هذه المعطيات على مدى انتشار الاسلام في المناطق الجنوبية التي اصبحت تابعة للمملكة التكرور. وهذا المجال محاذ ومتصل بمجال قبائل الماندينغ كما تؤكد هذه المعطيات نفسها حدة الصراع و التنافس بين مملكة غانا وسلطنة التكرور على مناجم الذهب و المسالك المؤدية اليها وحتى انه وصل الى التنافس الديني بين ملوك غانا في اتخاذ لقب امير او مللك وفي التكرور لقب سلطان الامر الذي يعكس ما تطور الاسلام في بلد السودان الغربي.[2]

وخلاصة القول ان مملكة التكرور المسلمة شكلت احدى الوحدات السياسية الهامة في بلاد السودان الغربي لا تقل شيء عن مملكة غانة على المستوى السياسي، وقد كان لها دور هام في نشر الاسلام بين قبائل الملم او الماندينغ حسب الاصطلاح الحديث التي ستؤسس امبراطورية مالي

ب . مملكة مالي:

قامت عدة إمبراطوريات إسلامية في السودان الغربي قبل الاستعمار الأوروبي، وساهمت مساهمة فعالة في نشر الإسلام ولغة القران، وإرساء دعائم الحضارة الإسلامية التي مازالت قائمة إلى اليوم ومن تلك دولة الإمبراطورية التي تعد من أهم الدول المركزية التي ظهرت في السودان الغربي وبناء حضارة إسلامية في مناطق غرب إفريقيا، وتوحيد أجزاء كثيرة منها.

لقد ترك سقوط إمبراطورية غانا الوثنية عام (469هـ .1076م) علي أيدي المرابطين فراغا سياسيا في المنطقة، مما جعل عدد من الأقاليم المنضوية تحتها إلى تكوين كيانات مستقلة، وتمخض عن صراعها من اجل السلطة والسيادة أن أل الأمر إلى قبائل الماندنغ (Manding).

وبعد هزيمة مملكة صوصو عام 632هـ1235م وذلك بقيادة سنجتاكيتا(SONDJATA KEITA).[3] الذي اشتهر عند العرب باسم (ماري جاطة) المؤسس لإمبراطورية مالي الإسلامية، وذلك سنة(638 هـ1240م) ، وبعد استتباب الأمر ماري جاطة اختار لدولته عاصمة جديدة بدلا من العاصمة القديمة "جريته" فاختار لها مكان غير بعيد من نهر النيجر وسماها نياني(Niani)، وهي التي اشتهرت باسم

---

(1) الادريسي، **القارة الافريقية وجزيرة الاندلس جزء مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق** ، المصدر السابق، ص،3-4.

(2) الشكري احمد، **الاسلام و المجتمع السوداني**، المرجع السابق، ص، 97.

(3) لولا ذكر ابن بطوطة وابن خلدون له لاعتبر من الشخصيات الخالية او الأسطورية فهو قاهر صوصو الأعداد ومحررا للبلاد وهو يحتل مكانة فائقة في الروايات الشفوية لتاريخ مالي ، حكمت أسرته كيتا Kéita منذ القرن السادس الهجري وكانت مقاطعة كانجابا مركز حكمهم آنذاك ، بن بطوطة أبو عبد الله بن إبراهيم المتوفى سنة 779ه **تحفة النظار وعجائب الامصار وعجائب الاسفار** ج2، دار صادر ، بيروت ، 1992م، ص، 792.

مالي او مل أو ملي وأصبح اسمها علما على دولة الماندنغ.[1]، تقع مملكة مالي بين بلاد برنو شرقا و المحيط الأطلسي غربا وجبال البربر شمالا وفوتا جالون جنوبا.[2]

وأورد القلقشندى نقلا عن سعيد الدوكالي قائلا: "إن هذه المملكة مربعة طولها أربعة أشهر أو تزيد وعرضها مثل ذلك وجميعها مسكونة إلا ما قل، وهذه المملكة هي أعظم ممالك السودان المسلمين" وأضاف لأنه يحدها من الغرب البحر المحيط وبلاد برنو من الشرق ومن الشمال جبال البربر ومن الجنوب الهمج... ").[3]

ويرى استأذنا عبد القادر زبادية إن مالي تشمل مالي الحالية وأعالي السنغال الشرقي، وشمال كل من فولتا العليا و الداهومي، والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا.[4] وهي الأقرب من الواقع، ومن خلال هذه الآراء التي تتناول حدود مملكة مالي، نستنتج أنها كانت إمبراطورية مترامية الأطراف، وبهذه المساحة الشاسعة تمكنت من النهوض اقتصاديا.

وتعد هذه المملكة أعظم ممالك السودان الإسلامية، واشتهرت باسم بلاد التكرور والتكرور أحد الأقاليم التي انضوت تحت سيادة مالي وكانت المملكة تشتمل على خمسة أقاليم في عهد قوتها وازدهار، كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة استقلالا ذاتيا لكنها تخضع لسلطان مالي، وهذه الأقاليم الخمسة حسبما ذكرها القلقشندى:

- إقليم مالي: ويتوسط المملكة.
- إقليم الصوصو: ويقع إلى الجنوب من مالي.
- إقليم غانا: ويقع شمال مالي ويمتد إلى المحيط الأطلسي.
- إقليم كوكو: ويقع شرق إقليم مالي.
- إقليم تكرور: ويقع غرب مالي حول نهر السنغال.[5]

- تنظيم المملكة في عهد سنجتاكيتا (ماري جاطة)

استقر أمر مملكة مالي بعد الفتوحات التي قادها زعيمها الأول، وتمتعت البلاد باستقرار وهيبة كبيرة، فأتاحت الفرصة لماريا جاطة إن يقوم بتنظيم شؤون دولته المترامية الأطراف، فنظم مملكته على النحو التالي:

- أعاد بناء عاصمة جديدة لبلاده وهي نياني على شاطئ نهر السانكاراني في شمال شرق غينيا.
- قسم مملكته إلى مقاطعات ولى عليها أقرباه وجعلها وراثية فيهم.
- شجع زراعة القطن واهتم بالصناعة وكلف بها الأسرى الذين وقعوا في يديه أثناء حروبه.

---

(1) علي يعقوب،" دولة مالي الإسلامية" (1230م-1430)،" **مجلة قراءات افريقية**، العدد العشرون،ابريل-يونيو،2014،ص،16.

(2) حسن إبراهيم حسن ، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة،ط3، القاهرة،1984م،6.

(3) احمد بن علي أبو العباس القلقشندي ج5، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المصدر السابق،ص،112.

(4) عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493م-1591م)**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د ت، ص،21.

(5) عبد الحليم محمد رجب، **لمحات من تاريخ القارة الإفريقية، الموسوعة الافريقية**، المجلد الثالث ، معهد الدراسات الإفريقية ، القاهرة، 1997م.، ص، 137.

. اتبع سياسة الصداقة بين مختلف قبائل مملكته، بان تزوج عددا من نسائها، كما وجعل في بلاده عددا من الشعراء الذين يمثلون مختلف القبائل.

. عرفت البلاد ازدهارا تجاريا عظيما نظرا لتشجيعه تجارة الذهب لأنها الثروة التقليدية لبلاد آنئذ.[1]،وكما وصفها القلقشندي وهو يبرز مدى اتساع هذه المملكة في عهد الملك ماريا جاطة، فقال: " وقد بلغت عظمة مملكة مالي أن وصفها صاحب تاريخ الفتاش بقوله:« ويد سلطان مل مبسوطة على الكل بالقهر والغلبة، وكنا نسمع من عوام عصرنا يقولون: سلاطين الدنيا أربعة ما خلا السلطان الأعظم ، وهم: سلطان بغداد، وسلطان مصر، وسلطان برن، وسلطان مل ».[2]

وفي عام (635هـ .1555م) توفي الملك ماريا جاطة، بعدما حول إمارة أو دولة صغيرة إلى إمبراطورية شاسعة المساحة تزيد عن مساحة قارة أوروبا بأكملها وكانت مساحتها أيام ازدهارها تمتد إلى سبع دول من غرب إفريقيا الحديثة، وهي جمهورية مالي الحديثة ، وأعالي السنغال الشرقي وشمال غينيا كوناكري وشمال بوركينافاسو، وأجزاء من جمهورية بينين ،وغرب جمهورية النيجر وأجزاء من شمالها الشرقي، وجنوب موريتانيا.[3]

. خلفاؤه:

وبعد وفاة ماريا جاطة استمر خلفاؤه على نفس النهج، وذلك بتوطيد أركان الدولة وتوسيع حدودها، وقد استمرت مرحلة التأسيس حتى نهاية القرن السابع الهجري تعاقب على سدة الحكم خلال هذه الفترة سبعة سلاطين اشتهر منهم ابنه البكر منسا لي(علي) ،(1255م .1270م)، ، وبتوليه الحكم تكون مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي الوثني، الذي يجعل من ابن أخت الملك المرشح الوحيد لخلافته بعد وفاته، وهو ما كان معمولا به في مملكة غانا.[4]

ويعتبر منسا ولي من أعظم ملوك ،فقد سار على منهج أبيه واتبع سياسته الحكيمة التي ترمي إلى التعاون مع زعماء القبائل الواقعة ضمن نفوذه وسلطانه بإنشاء صداقات و مصاهرات، ومنحهم إدارة الأقاليم مقابل ولائهم، وعرف منسا ولي لدى أهالي مالي بالملك الأحمر نظرا لأنه كان شديد البياض، ويرجع البعض أصله إلى العرب لان والده تزوج بعدد من النسوة بمختلف قبائلهم ولا ربما كانت إحداهم أم للمك منسا ولي ويسميه العرب الملك عليا، وقد يكون هذا الرأي الأقرب إلى الحقيقة حسب رأي الشخصي والله اعلم.[5]

وواصل منسا لي فتوحات والده في الجنوب ، فسيطر على بلاد الونجارا الغنية بالذهب، ويعتقد المؤرخ الغربي مونتيل انه في عهد هذا السلطان بدا نفوذ مالي يمتد نحو إمارة سنغاي وهي كوكو، وفي أواخر

---

(1) نعيم قداح، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، المرجع السابق، ص،49.

(2) القلقشندي **ج5، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، المصدر السابق، ص،112.

(3) علي يعقوب ، "دولة مالي الإسلامية" ، المرجع السابق،ص،16.

(4) Madina,Ly,**T,L'empire,du,Mali a-t-il survécu,jusq,à la fin,du,xvlé,** ? , I,F,A,N,B,XXXVIII,2,1976,PP,234-236.

(5) الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا الغربية فيما وراء الصحراء** ، الدار المصرية، القاهرة ، ط1، 1999م،ص.،53.

أيام حياته أدى السلطان منسا فريضة الحج، وذلك في عهد السلطان الملوكي الظاهر بيبرس، الذي حكم مصر (1260.1277م)م وتوفي منسا لي في عام1270م.[1]

ويظهر من خلال رواية ابن خلدون إن مرحلة ما بعد منسا لي اتسمت بنوع من الاضطراب السياسي ن دامت زهاء عقدين من الزمن ، وتول العرش ملوك ضعاف إلى عام(684هـ .1279م)، حيث اغتصب العرش مولى من موالي أسرة كيتا الحاكمة اسمه ساكورة، ويرى بعض الباحثين انه من غير المجدي أن يستمر الباحثون في نعته بالمغتصب ،لان ذلك يمكن إن يحجب الأضواء عن أهمية الدور الذي قام به في تشيد الإمبراطورية.[2]

على الرغم من أن هذا الملك لم يكن من البيت الحاكم إلا انه استطاع انتزاع أمر البلاد على أثر انقلاب، قتل فيه السلطان الشرعي،

وقد استطاع ساكورة إن يخطو بشعبه خطوات ثابتة، برهنت إن الذي يتولى أمر البلاد، ويصل إلى هرم السلطة، لا يشترط إن يكون من أبناء السادة والملوك، وإنما هو الإنسان المدير ذو العقل الراشد والتخطيط المحكم.

كانت أول أهدافه وطموحاته هي إخضاع المناطق المتمردة على مملكة مالي الإسلامية، وضمها إلى دائرة حكمه، فوجه قواته الضاربة إلى بلاد كوكو و التكرور وونقاره، وغاو في الغرب، استطاع هزيمتها، وضم هذه البلاد إلى مملكته.[3]

ويقول عنه ابن خلدون:« وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم، وتغلبوا على الأمم المجاورة لهم، وافتتح بلاد كوكو، وأضافها في مملكة أهل مالي، واتصل ملكهم من البحر المحيط، وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور في المشرق، واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وإفريقيا.[4]

وبعد استتاب الأمن واستقرار مملكتهن قام ساكورة بأداء فريضة الحج على عادة ملوك السودان في حرصهم على الحج وخاصة ملوك مملكة مالي الإسلامية، وفي طريق عودته من الحجاز قتل في تاجورة بالقرب من مدينة طرابلس سنة 1300م.

ولقد سيطرت هذه الشخصيات الثلاثة المذكورة سلفا خلال القرن الثالث عشر ميلادي من تاريخ إمبراطورية مالي الإسلامية، واليهم يرجع الفضل في تأسيس الدولة ، وترسيخ دعائمها، وتقعيد أمورها، ومدى حدودها إلى أطراف واسعة ، وبذلك مهدوا الطريق لنعطف جديد في تاريخ الإمبراطورية الإسلامية، وليس كما يقول بعض المؤرخين المعاصرين الذين قالوا: إن ليس في عهودهم ما يستحق الذكر فهي فترة اضطرابات.[5]

---

(1) احمد شكري، **الاسلام و المجتمع السوداني**، المرجع السابق، ص،183.
(2) ابن خلدون، **كتاب العبر** ، المصدر السابق، ص،294.
(3) احمد علي المقريزي تقي الدين، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق وتعليق ، جمال الشبال، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر ،1955م،ص،111.
(4) ابن خلدون ج6 ، **كتاب العبر ومبتدأ و الخبر** ، المصدر السابق، ص، 412.
(5) إبراهيم طرخان، **دولة مالي الإسلامية**، المرجع السابق،ص،71.

وتولى الحكم بعدها ثلاثة ملوك ضعاف، أهمهم أبو بكر الثاني ابن أخت ماريا جاطة، ويقول عنه العمري إن هذا السلطان ركب المحيط الأطلسي في محاولة لاكتشاف مجاهله ولكنه مات عرض البحر، ويتضح مما تقدم أن هؤلاء السلاطين الذين حكموا ما يزيد على نصف القرن، لم يكونوا ذوي شأن في تاريخ البلاد، وكانت الدلائل تشير الى إن المملكة تسير نحو الانهيار إلى إن جاء عهد السلطان موسى.[1]

. عهد ازدهار مملكة مالي:

. السلطان كنكن موسي(1037م .1332م):

ورد اسم هذا السلطان في المخطوط العربي الذي ترجمه دولافوس باسم كانكان موسي(– Kankan Moussa) ويسمه العرب سلطان التكرور، ومنسا موسى هو ابن أبي بكر بن ماريا جاطة[2].يعتبر من أشهر ملوك مملكة مالي وأعظمهم اشتهر الملك بالتقى والورع والكرم، قال عنه ابن خلدون:« كان رجلا صالحا وملكا عظيمان له في العدل أخبار تؤثر عنه... ».[3]

وأورد كذلك ابن بطوطة بعض مآثره فذكر بان السلطان منسا موسى عرف عنه العطف والسخاء والكرم، وتبجيل العلماء البيضان وجزل العطايا لهم، فقد منح لشاعر المهندس أبو إسحاق إبراهيم مبلغا ضخما قدر بأربعة ألاف مثقال من الذهب ومن صفاته انه لا ينسى من قدم يد العون.[4] وفي عهد بلغت مملكة مالي أوج عظمتها وتوسعها، حيث امتدت رقعتها من بلاد التكرور غربا إلى دندي شرقا ومن ولاته في الصحراء شمالا إلى مرتفعات فوتاجالون جنوبا.

لقد كان من أمر طبيعيا بعد انتهاء مرحلة التأسيس أن يلتفت حكام مالي لتنظيم الشؤون الإدارية و الثقافية و الاقتصادية لإمبراطورتيهم ولحماية حدودها، وفرص هيبتها وحفظ أمنها، فنظم الجيش حتى كانت مملكته قادرة على استنفار مائة ألف رجل منهم عشرة ألاف فارس.[5]

قام السلطان كنكن موسى برحلة إلى الحج عام 775هـ 1324م بعد أن استغرق التجهيز لها مدة خمس سنوات في موكب كبير وذهب كثير، ورافقوه عدد كبير من العبيد وأغدق على سكان مصر و الحرمين الهدايا و الهبات واشترى في بلاد الحرمين والقاهرة الأراضي و الدور لحجاج بلاد التكرور، ووصفه المقريزي بقوله« كان شابا اسمر البشرة ن جميل المحيا، حسن الهيئة عالما بفقه المالكية، وكان يبدو من بين صحبه حسن الهندام، مطيهم الجواد، في معيته ما يربو على العشرة ألاف من رعيته وقد حمل من الهبات و الهدايا ما يدهش الرائي لروعته.» .[6]

وتحدثت المصادر العربية كثيرا عن كنكن موسى ودوره في نشر الإسلام في إمبراطوريته، واهتمامه البالغ بتطبيق شعائر الإسلام بين رعيته، وكذا حرصه الشديد لأداء فريضة الحج حتى لقب بملك الحج

---

(1) نعيم قداح ، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، المرجع السابق، ص،51.

(2) Maurice Delafosse, **Les Noirs de l'Afrique** ,op ,cit ,pp,58-59.

(3) ابن خلدون ، ج6، **كتاب العبر** ، المصدر السابق،ص،415.

(4) ابن بطوطة، **تحفة النظار** ، المصدر السابق، ص، 690.

(5) احمد بن يحي بن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المصدر السابق، العاشر،ص،66.

(6) احمد بن علي المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، المصدر السابق ، ص91-92.

وتروي المصادر لذلك عن الأعمال الجليلة التي قام بها منسا موسى خلال رحلته الشهيرة للحج مثل بناء المساجد كمسجد تمبكتو، دوكوري، وكوندام ومسجد ديرين فكان يجمل معه في تلك الرحلات المقدسة، قوات عسكرية كبيرة، وعدد من العلماء و الفقهاء والخدم والجواري، وكميات كبيرة جدا من الذهب إلى درجة أن هذا المعدن النفيس تنخفض قيمته عندما يزور الملك موسى القاهرة.[1]

ومن مظاهر تدين الملك وحرصه على تطبيق شرائع الإسلام تلك الحادثة التي وقعت له في القاهرة عندما قصدها وهو في طريقه للحج، فبينما كان السلطان موسى في القاهرة سنة1324م، بعث إليه السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون شخصا يستدعيه إليه، وعندما وصل إلى قصره رفض منسا موسى السجود أمام ملك مصر، وقال" أنا مسلم ولا اسجد إلا أمام الله[2]، واصحب معه في طريق عودته من الحج المهندس و الشاعر أبا إسحاق إبراهيم الساحلي، الذي شارك في بناء مسجد في مدينة غاو وجامع سنكري في مدينة تمبكتو، وأصبح مستشارا له، وبعد عودته من الحج قام السلطان موسى بفتوحات واسعة شملت مملكة سنغي ، وامتدت إلى داخل الصحراء، فاستولى على مناجم الملح في تغزة و مناجم النحاس في تغدا، وفي عهد اتجهت عناية مملكة مالي لنشر الإسلام حتى وصل اليوربا.

ويقول الشيخ ادم الالوري : فقد عرف أهلها الإسلام في عهد منسا موسى سلطان إمبراطورية مالي في القرن الثالث الميلادي، وأصبح أهل يوربا يدعون الإسلام بدين مالي، وظلوا على ذلك إلى الآن[3].

وبعد إن دام حكمه خمسا وعشرين سنة توفي كنكن موسى1237م وخلفه ابنه لكنه توفي بعد أربع سنوات فقط ، فتولى عمه سليمان بن أبي بكر العرش وعمل على إعادة ترتيب أمور المملكة وفي عهده زار ابن بطوطة المملكة ووصفه بالعدل و الاستقامة وبعده جاء عددا كبيرا من الملوك حتى اضطرت دولة مالي الانكماش على نفسها في المنطقة التي انطلقت منها عند البداية بعد احتلال جل مناطقها، وبذلك ترك المجال لأمراء مملكة سنغي الذين أقاموا إمبراطورية على أنقاض مالي في الربع الأخير من القرن الخامس عشر ميلادي.[4]

. الجانب الحضاري لملكة مالي:

يعد عهد كنكن موسى ومنسا سليمان من ازهي عهود مملكة مالي التي بلغت خلال المملكة أوج قمتها وازدهارها وعم الاستقرار والأمن البلاد بسبب السياسة الحكيمة العادلة لحكام مالي، وبخاصة السلطان سيلمان الذي كان شديد الحرس على تجنب ظلم الرعية وكانت قضية العدل في الإمبراطورية من أهم القيم الاجتماعية التي شدت انتباه المصادر التي أرخت لتلك الفترة.[5] ووصف الحالة الأمنية بان الأمن يسود كل البلاد فلا يخاف فيه المسافر ولا المقيم من سارق ولا غاضب، وعدم المساس بأموال الموتى في بلادهم حتى ولو كان غريبا من البيضان ولو وجدوا القناطير المقنطرة

---

(1) Mahmoud, kati,Tarkh el ,fetach,op,cit , 55-56

(2) احمد ابن فضل الله العمري، **مسالك الابصار في ممالك الامصار**، المصدر السابق ، ص،105.

(3) الالوري عبد الله ادم، **الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فوديو** د ط، 1978م،ص،4

(4)ابن بطوطة ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، المصدر السابق، ص، 79.

(5) احمد شكري، **الاسلام و المجتمع السوداني**، المرجع السابق، ص، 190-191.

وذكر ابن بطوطة كمن عادات أهل مالي وتقاليدهم الحسنة، فقال:« فمن أفعال السودان الحسنة قلة الظلم، فهم ابعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح احد في شيء.».[1]

هيأت ظروف الأمن والاستقرار السائدة في البلاد ازدهار اقتصاديا، وتطور مجتمعها عمرانيا وأصبحت المملكة تضم قرابة أربعمائة مدينة على تعبير محمود كعت، ونشطت التجارة بين مالي و العالم الإسلامي، ووفد عليها التجار من شمال إفريقيا ومن غيرها، وتمتعت المملكة بثروات كبيرة من الذهب والنحاس والملح، بإضافة إلى خصوبة أراضيها ووفرة مياه، ما جعل اقتصادها يرتكز على الزراعة وتربية الماشية.[2]

لقد اهتم ملوك مالي بتنشيط الحركة التجارية مع العالم الإسلامي، فامنوا طرق التجارة وأسواقها، وعينوا لقوافل التجارية حراسا يؤمنون الطريق، كل هذه الأعمال وثقت العلاقة التجارية بين العالم الإسلامي ومملكة مالي كما ذكر لنا ابن خلدون وهو يصف لنا عظمة التواصل التجاري بين المملكة وبين شعوب العالم الإسلامي.

فقال: « و حاضرة الملك لأهل مالي بلد بنين بلد متسع الخطة، معين على الزراعة، مستبحر العمارة، نافق الأسواق، هو الآن محط لركاب البحر من المغرب وافريقية ومصر، والبضائع مجلوبة إليها من كل قطر... ».[3] وأصبحت بعض المدن مثل ولاته، وجني وتنبكت، ونياني العاصمة من أشهر المراكز التجارية في إفريقيا، وفي العالم ، بحيث يغشاها التجار المسلمون من أرجاء العالم الإسلامي يجلبون إليها القمح والتمر والزيت مما جعل المملكة تعيش في رخاء وازدهار مادي قل نظيره في تاريخ بلاد السودان في العصر الوسيط.[4]

وتعتبر مرحلة انتشار الإسلام والعلوم على أيدي سادة إمبراطورية مالي الإسلامية من المراحل الهامة في تاريخ وتطور انتشار الإسلام واللغة العربية على نطاق واسع في بلاد السودان الأوسط والغربي، ففي هذه المرحلة ازدهت الحركة العلمية، وعرف عن السلطان كنكن موسى انه استقدم عددا كبير من الفقهاء و العلماء ولاسيما من مصر والمغرب و الأندلس، فامتلأت بلاده بالعلماء السود والبض على حد سواء، وكان ازدهار حركة التبادل التجاري بين مالي و الخوارج ، من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في المملكة، ومن المدن التي اشتهرت بكثرة علمائها، تنبك، وجني وغاو، وحتى وان ضعفت وتدهورت دولة مالي سياسيا حافظت هذه المدن على مكانتها العلمية كمركز للثقافة الإسلامية في قلب افريقية، واهم مركز ثقافي في تنبكت مسجد سنكري او جامعة سنكري، ففيها كان العلماء من كل فنون

(1) ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار** ، المصدر السابق، ص ، 790.
(2) محمود كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار المدن و الجيوش و أكابر الناس، طبعة** منقحة 1912م ، ص،38.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص، 415
(4) Maurice Delafosse,"Les ,Relations du Maroc, avec le soudan à travers les Âges",**Rabat, Hesperis**,op,cit,p, 159.

العلوم الإسلامية، وأكثر علمائها من البيض من قبيلة جدالة بصفة خاصة، ومن أعظم علمائها احمد بابا التنبكتي الذي ذكر سلفا، وقد نقل عنه السعدي الكثير مما أورده في تاريخ السودان.[1]

ج . مملكة سنغاي: (1375م -1591م)

بلغت إمبراطورية غانا ومالي الإسلامية ، شأنا عظيما، واستطاعتا السيطرة على مساحة شاسعة من مناطق غربي إفريقيا، ولكن كلا هاتين القوتين لم تبلغ ما بلغته إمبراطورية سنغاي من القوة والسيطرة خلال القرنين والخامس عشر و السادس عشر الميلاديين.[2]

بدأت سلطنة سنغي دويلة صغيرة لا تختلف في قيامها عن سلطنة مالي أو غانة، فقد تدفقت بعض قبائل المغربية وخاصة قبائل لمطة حوالي منتصف القرن السابع الميلادي على الضفة اليسرى لنهر النيجر عند مدينة دندي شمال الداهومي، وسيطروا على الزراع من أهل سنغي وقد رحب بهم هؤلاء الزراع حتى يحموهم من الصيادين الذين كانوا يعتدون عليهم ، وكانوا أسرة حاكمة استفادت إلى حد كبير من العلاقات التجارية مع غانا وتونس وبرقة ومصر عن طريق القوافل بتادمكة، وكانت لهذه الاتصالات التجارية الأثر البارز، في تحول ملوك سنغي إلى الإسلام في بداية القرن الحادي عشر الميلادي إبان الحركة التي قام بها المرابطون في ذلك الوقت لنشر الإسلام في غربي إفريقيا.[3]

. مراحل تكوينها:

بدأت المرحلة الهامة في تاريخ مملكة سنغاي، خلال نتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، حين اعتنق ملوكها الإسلام، وبدا يتسرب بين سكانها، وقد تم ذلك كله قبل مجيء المرابطين، في سنة 1010م رأى ملوك سنغاي إن ينقلوا حاضرتهم من كوكيا إلى غاو لتكون على مقربة من القوافل الرئيسية وساندهم في الاستيلاء على غاو العرب المغاربة المقيمين في كوكيا.[4]

لقد انتهت المرحلة الأولى في حياة هذه الدولة مع ظهور وسيطرة مملكة مالي الإسلامية على جميع المدن الواقعة على نهر النيجر، ومن بينها مدينة غاو ، ولكن أمراء سنغاي ظلوا يحتفظون بطموحهم، كما كانت شعوبهم تمنحهم المحبة والولاء، وتعاقب على حكم سنغاي في هذه الفترة أكثر من أربعين أميرا، كان حكمهم شكليا فقط، ولم ينلهم أي تعسف أو اضطهاد من طرف سلاطين مالي لأنهم كانوا يدينون بالإسلام، ولان تجار سنغاي كانوا قادة التجار، بفضل امتيازات سوقي غاو وكوكيا اللذين ذاعت شهرتهما في تلك الفترة ببيع العبيد مقابل المصنوعات، الوافدة عليهما من البحر الأبيض المتوسط.[5] ومدينة غاو لها تاريخ عريق في مملكة سنغاي.

---

(1) احمد العراقي سيد سر، " انتشار اللغة العربية في بلاد افريقية عبر التاريخ" **مجلة دراسات افريقية**، العدد الأول، ابريل،1985م ، ص106 -107.

(2) الهادي الدالي مبروك ،**التاريخ السياسي ولاقتصادي**، المرجع السابق، ص،89

(3) Monteil, Vincent**, L'slam, noir**, op cit,p,92.

(4) دافدسن بازل، **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، تر جمال احمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت دن تاريخ ،ص،157.

(5) الهادي الدالي مبروك ، **التاريخ السياسي والاقتصادي**، المرجع السابق، ص،95.

فقد زارها كثيرا من الرحالة العرب و المؤرخين من بينهم الخوارزمي سنة833م وزراها البكري كذلك 1068م ،وكما زارها ابن بطوطة في منتصف القرن الرابع عشر الميلاد، وقال عنها أنها مدينة تقع على نهر النيجر وهي من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها، وقال عنها حسن الوزان عام 1016م إن سكان غاو من أغنياء وان بالمدينة ساحة كبيرة فيها يباع العبيد بعدد لا يحصى.[1]

وظلت مملكة سنغاي ولفترة من الزمن تتراوح بين محكومة ومستقلة تارة تخرج عن نطاق مملكة مالي وتارة أخرى، ويتحكم في كل ذلك سادة وحكام مملكة مالي في قوتهم وفي ضعفهم، والمتتبع يلاحظ أن حكام مالي ركزوا عل مدينة غاو ربما لان هذه العاصمة تمثل ثقلا سياسيا واجتماعيا، فهي التي تمثل قلعة المواجهة، وبها الزعماء وأصحاب رؤوس الأموال، وبذلك كان التركيز عليها أكثر من غيرها. وبوفاة منا موسى وحدوث اضطرابات بالملكة وتنفست سنغاي من قبضة مملكة مالي.[2]

. المرحلة الثانية:

بدأت هذه المرحلة عندما صارت مملة سنغاي ،تحت سلالة سن علي كلن ، فبدا في بناء قوتها العسكرية، في حوالي 1420م، وتمكن سن محمد داع، وهو الملك العاشر في سلسلة ملوك أسرة سن، من إن يخرب ما تبقى من مملكة مالي ،وخاصة عاصمتها، اسر الكثير من العبيد، وازدهرت في عهد سن سيلمان دام الذي توفي سنة1464م، وقد ضم الى سنغاي بلاد ميم وهي من أقاليم مالي الشمالية، وتولى بعده السن علي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لإمبراطورية سنغاي، وهي سمات المرحلة الثانية.[3]

. المرحلة الثالثة:

وتبدأ هذه المرحلة منذ أن تولى سن علي مقاليد الحكم، حيث وصلت مملكة سنغاي في عهده إلى أوجها، فتحولت في وقت قصير من مملكة صغيرة إلى إمبراطورية مترامية الأطراف، وبما أن المجال لا يسمح بالإسهاب في توسعات سني علي الحربية، فانه يتعين علينا إبراز المشكلات التي واجهته خلال فترة حكمه، فعلى الرغم من الدور الفعال الذي قام به وبذله في سبيل تأسيس مملكته، فانه كان مكروها من طرف شعوب المملكة، ولذلك لقسوته، وشراسته، وخصوصا مع علماء تنبكت، إذا أن السعدي يصف استيلاءه على تنبكت بأنه« عمل فيها فسادا عظيما، فحرقها وقتل فيها خلقا كثيرا...[4]».

أما محمود كعت فيشبه بالحجاج بن يوسف الثقافي حاكم العراق الأموي السيء السمعة، كما لا يتردد المغيلي في الحكم عليه بأنه وثني.[5]

وفي المقابل امتدحه عدد أخر من المؤرخين القدامى من أمثال حسن الوزان الذي قال في حقه:« سني علي كان رجلا عظيما .» [6]

---

(1) عبد الحليم رجب احمد، **الموسوعة الإفريقية لمحات من تاريخ إفريقيا**، المرجع السابق، ص،184.
(2) ابن خلدون ، **كتاب العبر** ، المصدر السابق **ج6**، ص،200.
(3) عبد الرحمان السعدي ، **تاريخ السودان**، تر اوكتاف ،هوداس باريس،1981م،،ص،4.
(4) نفسه ص،64م
(5)عبد القادر زبادية، **أسئلة الاسقيا محمد وأجوبة المغيلي**، سلسلة ذخائر المغربي العربي، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر974 م، ص، 39.
(6) الحسن والوزان، **وصف افريقيا** المصدر السابق،ج2، ص،162.

وليس لنا في هذا الجانب إلا أن نتساءل عن الأسباب التي جعلت كلا من السعدي، وغيره من المؤرخين الذين تحاملوا على سني علي ونعتوه بالنعوت الذميمة، بأنه كافرا يعبد الأصنام، ولا يعرف الصلاة ولا مبادئ الإسلام، أو كان من الأصح إن نبحث عن الأسباب التي دفعت هؤلاء لنعته بتلك الصفات.؟

بمجرد إن تولى سني على مقاليد الحكم اخذ على عاتقه تنظيم وتوسيع رقعة بلاده ن وتقوية جيشه من مختلف شرائح المجتمع السوداني، وعين على رأس الجيوش قوادا من ذوي الكفاءة العالية، من بينهم أبو بكر داعو، وابن خالته أبو بكر التوري(اسكيا الحاج محمد)، ومن بين التنظيمات التي قام بها إنشاء محكمة يفصل فيها في قضايا الأشخاص الخارجين عن طاعته، بإضافة إلى ذلك إنشاءه الدواوين ،فأنشى بيت المال ، وجعل عليها حارسا أمينا مهمته الحفاظ عليها.[1]

في الحقيقة أن سني علي كان يغلب عليه طابع البداوة، ولم يكن متفقها بالدين، كما هو الحال عند خلفيته لاسكيا محمد، ولم يعرف الاستقرار، بل كان غازيا، منتقلا بجيوشه من معركة إلى أخرى على الدوام، حيث كان همه الأكبر إلا لا ينازعه أحدا في السلطة، وأن لا يكون ولاء لشخص أخر سواه، ولذلك خشي من علماء تنبكت، ومن طوارق مسوفة، إن يهددوا سلطانه باسم الدين، الأمر الذي جعله يتعرض إليهم ويعاملهم بقسوة.[2] ومهما قيل عن تصرفات سني علي المتشددة والصارمة، فان ما ذكر حول التشيك في إسلامه يحتاج إلى إعادة النظر، ذلك لأنه ، لم يعطي احد الدليل القاطع على صحة هذه الاتهامات، وعلى العكس من ذلك، فقد أفادنا المؤرخ عبد الرحمان السعدي بميله لبعض العلماء، وتخصيصه ساحات لأداء الصلاة في شهر رمضان المبارك[3]،بل يؤكد لنا صاحب كتاب (تاريخ الفتاش)، كان ينطق الشهادتين، وهذا يكفي لدحض تلك المزاعم التي أشيعت حول شخصية الرجل.[4]

وقد يؤخذ عليه ذلك التناقض الذي أظهره، عند إدارته لفة الحكم حيث حاول التوفيق بين الأنماط الإفريقية المتركزة على السحر وبين ما جاءت به الشريعة الإسلامية، فهو ما أدى إلى زعزعة حكمه لان المد الإسلامي في هذه الحقبة تغلغل بصورة فعالة في أواسط أهالي سنغاي.[5]

وتعددت الروايات واختلفت بين المؤرخين في تحديد زمن ومكان فاته و وعلى اية حال فقد توفي الرجل في ظروف غامضة في عام 1493م على اغلب الروايات، في أثناء عودته من حملته ضد بلاد كورما، بعد أن كان مكث في الحكم قرابة سبعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة وعشرين يوما.[6] ولم تكن الظروف التي توفي فيها السن علي ظروفا طبيعة، وإنما كانت نتيجة مؤامرة، التي أحيكت بين محمد الاسكيا وبالتعاون مع أخيه[7] نحن لسنا في صدى سرد هذه الراوية.

---

(1) عبد الرحمان السعدي، **تاريخ السودان** ، المصدر السابق، ص،ص، 71-72.

(2) Trimingham,J,S,A, **History,of,Islam,West,Africa,**Oxford,p,93.

(3) عبد الرحمان السعدي، **تاريخ السودان** ، المصدر السابق،ص،66.

(4) محمود كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار المدن و الجيوش و أكابر الناس**، المصدر السابق، ص،43.

(5)عيسى عبد الله، "مكانة الإسلام في مملكة سنغاي خلال القرن 16م"،**مجلة قراءات افريقية**، العدد،32، يناير- مارس، 2010م، ص،16.

(6) نفسه ،ص،43.

(7) ولمناقشة موضوع المؤامرة التي قام بها محمد الاسكيا، وأخيه ودعم العالم عبد الكريم المغيلي ، انظر، عبد القادر زبادية، **اسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي** ، المرجع السابق ص ص،22-40-36.

. المرحلة الرابعة:

بعد وفاة السن علي خلف ابنه سني بار، والذي كان ضعيف الشخصية فستغل خصومه واعدائه هذه الفرصة وانقضوا عليه ، لذلك لم يتجاوز حكمه على العرش سوى سنة واحدة، إذا سرعان ما قام عليه احد القواد العسكريين الكبار، وأزاحه عن سدة الحكم، واستحوذ على العرش ولقب نفسه اسكيا ، وهو محمد توري، الذي أعلن عن تأسيس أسرة جديدة عرفت باسم أسرة الاسكيا، ودام عهدها قرابة قرن من الزمن، شهدت خلالها المملكة فترة من الرخاء والازدهار قل نظيره.[1]

. الاسكيا محمد الكبير وتوليه عرش مملكة سنغاي(1493م .1528):

افتتح الملك محمد الحاج الاسكيا عهده بحروب توسعية كثيرة في مختلف الأنحاء فاقتطع بعض الولايات من مالي وهزم قبائل البوهل الوثنيين الفوت تورو، ثم تحول شرقا إلى اغادس (في جمهورية النيجر)، ففرض على سلطانها الجزية ثم اخضع بعض القبائل الثائرة في منطقة الدندي شمال الداهومي بزعامة بكر بن الملك الراحل علي، وبعدها بسط نفوذه على بعض الممالك في شمال نيجيريا.

وفي عهد اتسعت وامتدت المملكة حتى أصبحت تشمل من صحراء النيجر واهير شرقا إلى حوض السنغال غربا، ومن سيغو على النيجر جنوبا إلى الصحراء الجزائرية شمالا.[2]

. تنظيمات الاسكيا محمد وإصلاحاته:

كانت أول اعمال اسكيا محمد، لتنظيم دولته وإرساء دعائمها، فبدا بإعادة بناء الجيش، ليحتاجه في السلم والحرب، فقد استخدم فيه تكتيكا عسكريا متميزا، حيث ادخل فرقا من الفرسان العرب المغاربة ومن قبيلة الطوارق، وجعلها في سلاح المشاة وأنشأ أسطولا بحريا كبير. وهذه الاستراتيجية التي ميز بها جيشه له مدلول بعيد.

. تكوين جيش من مختلف العناصر، يظهر الوحدة الترابية وتكوين اللحمة.

. اختيار عناصر من قبيلة الطوارق ، ينم أن الملك على اطلاع وخبرة لما تتمتع به هذه القبائل من خفة ورشاقة وسرعة ودقة التصويب بالنشاب والرماح أثناء الحروب.[3]

كما استقدم إدارة لجباية الضرائب، وانشأ الدواوين العسكرية و السياسية و الإدارية، وحدد لها مجال اختصاصها تحديدا دقيقا، ثم أقام حكومات إقليمية، ونصب القضاة، وعين الشرطة ومن أعماله الإدارية قسم مملكته إلى عدة ولايات وكل ولاية نصب عليها واليا واختار الولاة من أقرانه ، وعبيده المخلصين، و لضمن الولاء التام لعاصمة الملكة غاو.[4]

وفي المجال الاقتصادي قام بعدة مشاريع تعود على البلاد بالثروة والازدهار، فقد عمل على حفر القنوات على شواطئ النيجر لزيادة المياه وتدفقه على الأراضي الصالحة لزراعة، واوجد الأوزان والمكاييل

---

(1) Maurice Delafosse**, les Noires d'l'Afrique**, op cit,p,71.

(2) نعيم قداح، **افريقيا الغربية في ظل الاسلام**، المرجع السابق، ص،70.

(3) احمد محمود حسن، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، المرجع السابق ، ص،249.

(4) عبد القادر زبادية، **اسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي** ، المرجع السابق، ص،134.

الموحدة وقد ساعده الاستيلاء على ممالك تغزا في الجنوب الشرقي من مراكش على خلق نشاط تجاري واسع فتمتعت البلاد برخاء عظيم مما جذب كثيرا من تجار طرابلس وفاس وتلمسان.

اما في مجال الثقافة فقد استقدم العلماء والأطباء، وساعد الدعاة على نشر الدين وأقام كثيرا من هؤلاء العلماء في غاو وجني، وتنبكت، فكانت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وكان وجود هؤلاء المثقفين العرب نواة النهضة الثقافية التي شملت البلاد في القرنيين السادس عشر والسابع. ومن خلال هذه الإصلاحات التي قام بها الملك محمد الاسكيا والتي مست جوانب عدة الإدارية والسياسية ولاقتصادية والثقافية يتبن أن الملك على قدرته فائقة في تنظيم حكم دولتهن الأمر الذي جعله يحافظ على مملكة أشاد بها عدد من المؤرخين إشادة عظيمة، إذ قال عنه كعت: «إن الاسكيا محمد يصلح لحكم دولة بني العباس وكل دولة أخرى غيرها".[1] قام الأسكيا محمد ملك سنغاي بالحج إلى بيت الله الحرام عام 1497م و لم يكن موكبه يقل في العظمة عن موكب منسى موسى مالي، واختلفت الروايات كذلك عي العدد الذي صحب السلطان اسكيا محمد في رحلته.[2]

يذكر صاحب كتاب تاريخ الفتاش و الذي كان مرافقا للأسكيا في حجه أن عدد العبيد و الخدام ثمانمائة، وأن السلطان تصدق على فقراء الحرمين بمائة ألف دينار ذهبا ، واشترى بمثلها جنانا و بيوتا و حبسها على الفقراء والعلماء والمساكين، ويذكر السعدي أن عدد الجنود خمسمائة وألف وكمية المال ثلاثمائة وألف مثقال من الذهب ، ومن الأشياء الطريقة أن الأسكيا محمد طلب من الخليفة العباسي أن ينصبه خليفة للمسلمين بأرض التكرور، وتتفق المصادر على التنصيب و لكنها تختلف في مكانه فبينما تدعي بعضها أن حفل التنصيب تم في القاهرة تشير الأخرى أن ذلك حدث في الحجاز و المعروف أن هنالك عدة طرق كان يسلكها، فإحداهما يسير من السودان الغربي إلى مصر شرقا و الآخر عن طريق المغرب.[3]

ولا يغمرنا أدنى شك في أن العديد من المغاربة يرافقون السودانيون في طريقهم إلى الحج، ويلتقي أهل السودان بالعديد من علماء المغرب كما يزورون مراكز ثقافية في المغرب أثناء رحلتهم للحج فيتعلمون الكثير من حضارة المغرب وترثها وينقلونها إلى بلادهم وهذا ما حدث فعلا في رحلة حج الأسكيا محمد ملك سنغاي.

وقد تأثر سلاطين مملكة سنغاي بعلماء المغرب و كانوا يستشيرونهم في حكم بلادهم وعرف عن السلطان أسكيأ محمد أنه كان يتصل بعلماء المغرب باستمرار خاصة بالعالم المغربي عبد الكريم المغيلي.[4]

---

(1) نعيم قداح، **افريقيا الغربية في ظل الاسلام** ، المرجع السابق، ص،73.

(2) Delafosse Maurice, **Les,Noire,l'Afrique**,op,cit,p,74.

(3) الأمين محمد عوض الله، **العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي سنعي**، رسالة ماجستير منشورة، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1968م، ص،202,

(4) Monteil,Vincent,**L'Isalm noir**, op cit,pp,94,95.

فتح تنازل الملك محمد عن الحكم لابنه موسى عام 1029م بسبب شيخوخته الباب أمام مشاكل جديدة نتج عنها نزاع دمويا في الأسرة الحاكمة، بالإضافة إلى إن حدود البلاد الشاسعة قد سهلت لأعداء المملكة من الوثنين التسرب داخل المملكة، كما إن الحروب الطاحنة قد عرقلت النشاط التجاري فركدت الفعالية الاقتصادية، ولم مات الملك محمد عام 1538م دخل أبنائه في نزاع على السلطة فادى ذلك إلى إضعاف المملكة.

وفي مطلع القرن السادس عشر ظهرت على الساحة دولة الأشراف السعديين في مراكش ، وبعد إن تخلصت من الغزو البرتغالي و الاسباني، قام احد ملوك والمسمى بالمنصور السعدي المعروف بالمنصور الذهبي بحملة سنة 1591م استطاع من خلال الوصول إلى ثم غاو عام 1592-1593م ضعفت مملكة سنغاي ودب فيها الانهيار.[1]

ـ الجانب الحضاري الإسلامي في مملكة سنغاي:

تجلت مظاهر الحضارة الإسلامية في سنغاي في عهد الاسكيا محمد وخلفائه وترتب عليها تكوين حكومة ونظم إدارية متقدمة، بحيث انتقلت منها حياة المجتمعات القبلية المتفككة إلى مجتمع الدولة المركزية وحدث الامتزاج الكامل بين النظم العربية الإسلامية وبين الأنماط الإفريقية المحلية، فتكون عنصر ا جديد مشرك بين ما غرسه الإسلام من ثقافة عربية وبين بعض الموروث من تقاليد وأنماط افريقية، فتنتج الشخصية الإفريقية في إطار إسلامي.

تتفق جل المصادر السودانية والمغربية على أن الإسلام عرف ازدهارا واضحا خلال فترة حكم الاسكيين فكان التقرب من العلماء سمت من سمات ملوك سنغاي، فإلى جانب الاعتماد عليهم في تسير شؤونهم الدينية والاجتماعية، مثل أمور القضاء والإمامة والتدريس، وحكموا البلاد وفق توجهاتهم الدينية والسياسية.

كانت علاقة بين العلماء وسلاطين مملكة سنغاي علاقة تحالف ومصالح مشتركة إلى درجة أن وصلت العداوة المشتركة لفترة التي سبقت حكم الاسكيين أي فترة السن علي وما واجها العلماء من تسلط وتعسف، حسب شهادة مؤرخي تبكت.[2]

ومن أمثلة العلماء الذين كان لهم مكانة في مملكة سنغاي وكلمتهم مسموعة العالم الصالح جور الذي أمر الاسكيا محمد بجعل غزواته في بلاد السودان جهادا في سبيل والله، كذلك العالم محمود كعت الذي أرغم اسكيا داوود عل تقبيل يد أحد عبيده ردا على احتقاره له بعد عودتهن وعبد الكريم المغيلي الذي حضي بمكانة عالية في المملكة.

وخلاصة القول لقد أفضى ذلك الجهد، الذي بذله السلطان اسكيا الحاج في تقريب العلماء إلى نتائج مهمة في عصره، إذا شهدت سنغاي حركة علمية في مختلف العلوم الإسلامية النقلية والعقلية، بإضافة إلى الإنتاج ذات الطابع التاريخي.[3]

---

(1) Maurice Delafosse, **les Noirs**,…,op cit,pp,76,77,78,79,.

(2) عبد الرحمان السعدي، **تاريخ السودان** ، المصدر السابق، ص،64.

(3) نفسه،ص،34.

شهدت مملكة سنغاي في القرن السادس عشر حركة فكرية عربية إسلامية عظيمة الازدهار، فبعد إن تلقت صفوة من أبناء السودان علومها في جامع القيروان في المغرب أو جامع الأزهر في مصر تحررت فكريان واجتهدت حتى وصلت إلى القمة في العلوم الدينية والإنسانية، وانكبت على خدمة الدين والعلم في بلاد السودان وعرفت كل من المدن تنبكت وغاو وجني حركة علمية وثقافية شاع صيتها في كل بلاد السودان والمغرب، فوفد إلى مدينة تنبكت علماء من شتى الأقاليم، وتركوا أثار علمية واضحة في الحياة الفكرية والثقافية والسياسية، ويعتبر الفقيه محمد بن عبد الكريم من المثقفين في عصر الاسكيا الحاج محمد، استطاع بفكره إن يؤثر في بلاد السودان،[1] ومع مرور الزمن أصبحت مدينة تنبكت مركزا مهما من مراكز تحصيل العلمي ونشر المعرفة في العالم الإفريقي ، فقد كانت تضم عددا كبير من المدارس الحرة، ولا سيما جامعة سنكري التي أصبحت منارة العالم الإسلامي .

ومما تقدم يمكن القول ان مدينة تنبكت هي أهم حاضرة حضارية وعلمية وفكرية وثقافية، في منعطف نهر النيجر واستمر أوجها العلمي طوال القرن السادس عشر حتى أصبحت حاضرة العلماء المسلمين في فنون العلوم الإسلامية خاصة الرياضيات والحساب والفلك، وأسهمت مع شقيقتها غاو وجني في إثراء الحركة الفكرية والعلمية في إفريقيا العالم الإسلامي، ولكن لإشارة فقط انه رغم وجود هذه الحواضر العلمية إلا أنها لم تستطع القضاء وبشكل كلي على التقاليد الأرواحية الموروثة، فنجد أن بعض الناس يمزجون بين تعاليم الإسلام وبين وتقاليد الوثنية في حياتهم اليومية.

ويتضح فيما سبق إن الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في عهد مملكة سنغاي تمثلت في أفاق رحبة وعصر مزدهر وأصبح الإسلام مرجعية دينية لهذه المملكة، سواء على المستوى الرسمي والشعبي، فاحدث الإسلام تغيرا مهم في حياة الفرد الإفريقي.[(2)]

- **المحور الثالث: ممالك السودان الشرقي (النوبة، الفونج، دارفور، اكسوم في الحبشة):**

ظل السودان لقرون طويلة ملاذا امنا لإعداد هائلة من المجموعات السكانية جذبتها اليه موارده الطبيعية والموقع الاستراتيجي، واهم هذه المصادر الطبيعية مياه نهر النيل وفروعه وهذه الموارد الوفيرة في السودان، نجدها شحيحة او تكاد تنعدم لدى عدد من جيرانيه، ولقد كانت السهولة المنبسطة دار خير تتوجه اليها شعوب القارة من مختلف الجهات والوافدين اليها من قارات اخرى يلوذون بها عند الضائقات دوما، ويطمع قادتهم واولو السطوة فيهم في امتلاك زمام الامور والسيطرة عليها احيانا.

مثل هذا الوضع يجعل القاموس السياسي في السودان اليوم حافلا بالمفاهيم التي تحاول وصف مكانة ودور السودان ووجوده الاستراتيجي....' وهذا الامر ليس بالجديد فالحديث عن تاريخ السودان الشرقي يجرنا للحديث عن تلك الممالك والسلطنات التي قامت في تلك المنطقة وكان لها من الزخم الحضاري والثقافي ما يجعلنا نبحث عن تلك الاثار الحضارة في منطقة السودان الشرقي.

---

(1) عبد القادر زبادية، **اسئلة الاسكيا...**،المرجع السابق، ص،9.

(2) عيسى عبد الله ،"مكانة الإسلام في مملكة سنغاي خلال القرن 16م"، المرجع السابق،ص،22.

- **اولا: مملكة الفونج**

يشكل قيام سلطنة الفونج الاسلامية، او السلطنة الزرقاء في مطلع القرن السادس عشر، منعطفا تاريخيا مهما في تاريخ سودان وادي النيل، ففي ظهورها يبدا ميلاد المؤسسي لسيادة العقيدة الاسلامية، وغلبة الثقافة العربية على تلك الديار، ففي الماضي البعيد، عند فجر التاريخ، غلبت على المجتمع السوداني الاعراق الافريقية و الثقافات الوطنية، كثقافة الشهيناب، كذلك تأثر سودان وادي النيل بهجرات بشرية و تيارات حضارية، وحلها عبر حدوده الشمالية، او الشرقية، وكان الاثر المصري اهم تلك الروافد.[1]

قامت سلطنة الفوج في سنار على حساب علوة، المسيحية في النيل الازرق، اوتخذت عاصمتها في سينار التي انشأها " عمارة دنقس" وهو اول سلاطين السلطنة الذي تولى الحكم1505م، واختلف المؤرخون في تحدي اصلهم فالبعض يرى انهم من اصل عربي اموي هاجروا الى الشرق في القرون التالية لظهور الاسلام و استقروا لفترة طويلة، ثم اخذوا يتحركون نحو الشمال و الجنوب ، قرب طوكر وتحالفوا مع القبائل العربية في ارض مملكة علوة المسيحية ثم دخلوا ارض الجزيرة حيث انتشروا شمالا وجنوبا في المناطق الممتدة من الجندل الثالث الى فازوغلي بعد ان قضوا على نفوذ مملكة علوة[2]

والفونج انفسهم يدعون انهم من نسل اموي وان استقرارهم في هذه المناطق يرجع الى عام132ه حيث هرب مروان الثاني الى مصر اين لقي حذفه هناك مما اضطر اتباعه لمتابعة السير جنوبا حتى السودان، وحدثتا هناك عملية المصاهرة مع سكان هذه المناطق، ويذهب بعض المؤرخين الى ان اصل الفونج يعود الى بعض القبائل التي استطاعت ان تتحالف مع بعضها وتقضي على البيت الحاكم في مملكة علوة المسيحية، واخذوا مكانه كان ذلك في مستهل القرن السادس عشر ميلادي، ويذهب اتجاه اخر الى انهم من قبيلة الشلك، التي تسكن على شاطئ النيل الابيض، حيث يرى بوكهارت ان العنصر العربي غالب على تكوينهم وانهم يدينون بالإسلام.[3]

الى انه هنالك راي اخر يرجع موطن الفونج الى ثلاثة مناطق بلاد الحبشة، و بلاد برنو، ومناطق الشلك التي ذكرنها في مستهل الكلام، ويلاحظ ان بلاد الحبشة تجد تضخما في الروايات الوطنية وتواتر عند النسابه السودانية الذي ينسبون الى الفونج الى بني امية بينما تتفق بلاد الحبشة مع برنو في انهما وقعتا مؤثرات اسلامية قبل قيام مملكة الفونج.[4] حكم سلطنة سنار وهي عاصمة مملكة الفونج حوالي خمسة وعشرون سلطانا تزيد قليلا على ثلاثة القرون الثلاثة قد حكم هؤلاء السلاطين المملكة حوالي

---

(1) يوسف الفضل حسن " سلطنة الفونج الاسلامية دورها في تاريخ سوادي النيل" **مجلة دراسات الافريقية** العدد الثاني والعشرون، ديسمبر 1999م، 2.

(2) الشيخ غنيمي رافت ، **تاريخ افريقيا المعاصر**، دار النشر للثقافة، القاهرة، 1982م، ط1، ص، 232.

(3) جون لويس بوكهارت، رحلات بوكهارت في بلاد النوبة و السودان، ترجمة فؤاد اندرواس، مطبعة المعرفة، القاهرة، 1559م، ص، 59.

(4)احمد حسين عبد الرحمان ادم، **الدلالات الاثرية للامتداد السياسي و الديني لدولة الفونج** ، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2004، ص، 115م

مائتين وثمانية وخمسين عاما من 1504م الى 1821م وتبدا المرحلة الاولى بعماره دنقس المؤسس 1504- الى 1534 وتستمر حتى1604 تولي السلطان عبد القادر اونسه السلطان التاسع وتعتبر هذه الفترة فترة تأسيس واستقرار في الحكم من الناحية النظم و العلاقات الداخلية و الخارجية.

اما المرحلة الثانية فهي تغطي معظم القرن السابع عشر بداية من السلطان عبد القادر وتنتهي ببداية السلطان بادى الثالث او بادى الاحمر في 1692م وتميزت هذه الفترة في الاحتكاك الحدودي مع الحبشة في عهد بادى الاول وتنتهي بخلع السلطان بادى الثامن بادى ابو شلوح سنة 1762م وتميزت هذه الفترة بدخول البعثات التبشيرية و الدبلوماسية الاوروبية اراضي سنار في طريقها الى الحبشة اما على الصعيد الثقافي فقد استمر تدفق العلماء و المتصوفة وازدهار المراكز الدينية الصوفية والفقهيه في اراضي السلطنة. اما المرحلة الرابعة وهي الاخيرة 1762-1821) وقد سيطر فيها الوزراء على السلطة وانتهت هيبة الدولة ونفوذ السلطان وقد استمرت هذه الفترة حوالي ستين عاما فيها احدى عشر سلطان وانتهت بسيطرة التركية على اراضيها.[1]

- مملكة الفور في دارفور:

قامت مملكة الفور على الاطراف الغربية من السودان الشرقي في اواسط القرن السابع عشر وهي تمثل واحدة من سلسلة الممالك الاسلامية المنتشرة في اواسط بلاد السودان، وتختلف الروايات التي تؤرخ لنشأة المملكة في التفاصيل الى انها تتفق في الغالب على انها من اصل عربي الى تلك القبائل الوافدة للسودان الغربي من مراكش ومصر واندمت هذه القبائل في العناصر الموجودة اصلا في هذه الجهات وصاهروهم ونتج عن ذلك اختلاط في مولد عنصر جديد وهو الفور وتأسست هذه السلطنة عام 1740م في اقليم دارفور بزعامة رئيس قبائل الفور " سليمان سلونجا، ودخلت في صراع مع سلطنة الفوج حول اقليم كردفان من ناحية ولايقاف الزحف الفونجي على السودان من ناحية أخرى.

ولم تظهر سلطنة الفور كسلطنة قوية ومهابة الجانب الا بعد ان صبغت البلاد بالصبغة الاسلامية وقد تم ذلك في عهد السلطان السابق الذكر الذي انجبته ام عربية وتزوج من امرأة عربية وتوارث احفاده الحكم في القرنيين 17و 18 ، وتعد هذه السلطنة امتداد للإسلام بثقافة عربية الى وسط افريقيا وغربها حيث ارتبط اهل دارفور بأهالي ما يعرف بالسودان الغربي وتشاد بروابط اجتماعية وثقافية واقتصادية جعلت من العروبة والاسلام يمتدان من البحر الاحمر حتى المحيط الاطلسي عبر دارفور وتشاد.[2] كما ان سلطنة الفور تمثل واحدة من المملكة الصغيرة سلسلة الممالك الاسلامية المنبثقة في اواسط بلاد السودان بمعناه الكبير.

اما نظام الحكم في السلطنة فيتمثل في السلطان صاحب الحكم المطلق وقال عنه التونسي... لحكامهم السلطة التامة عليهم فاذا منهم الوفا لا يسال لماذا؟ وإذا عزل ذا منصب لا يسال لماذا؟ والحكم

---

(1) احمد حسين عبد الرحمان ادم، **الدلالات الاثرية للامتداد السياسي و الديني لدولة الفونج**، المرجع السابق،ص،115.

(2) يوسف الفضل حسن، **مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي(1450م-1821)**، معهد البحوث و الدراسات الافريقية، القاهرة، 1971م، ص، 81-85.

وراثي في أكبر ابناء السلطان، وكانت سلطتهم مقسمة الى اربعة وعشرين قسم لكل قسم رئيس يعرف بالملك يعينه السلطان وله حاشيته ويعاون السلطان في الحكم وزير، كما كان هناك مجلس للسلطان في مهام شؤون الدول...." [1]

- سلطنة تلقى:

تأسست هذه المملكة في تلال تقلى، الواقعة في الركن الشمالي من جبال النوبا بغرب السودان عام 1530م نتيجة تحالف أحد المشايخ المتصوفين مع الزعيم القبائل الضارية في تلك الاصقاع وقد حافظت هذه السلطنة على استقلالها بعيد عن محاولات سلطنة الفونج للسيطرة عليها ويتضح من قيام ان الدين الاسلامي بثقافته العربية كان المحور الاساسي لحياة اهلها في تعاملاتهم اليومية وحياتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية. وكان ملوك هذه السلطنة يهدفون الى نشر الاسلام و الثقافة العربية وسد الطريقة على الارساليات التبشيرية بتشجيع القبائل العربية على الاستقرار في مملكتهم وظلت هذه السلطنة تسيطر على جبال النوبة بكر دفان حتى القرن التاسع عشر.[2]

وهكذا يتضح ان سلطنة سنار كانت أكبر السلطنات الاسلامية السودانية في سودان وادي النيل واكثرها قوة. ورغم انها لم تستطع توحيد السودان تحت رايتها فقد كانت لها علاقات سياسية واقتصادية مع العثمانيين في البحر الاحمر مع مصر، ومن ثم استفادت وافادت وكل من يتصل بها من زعماء القبائل العربية في السودان الذين كانوا يحصلون على نصيبهم من مكوس القوافل التجارية ويبعثون بالباقي الى خزانة سلطان سنار.

المحور الرابع: ممالك السودان الاوسط:

. مملكة الكانم برنو الإسلامية:(1085م . 1846م):

قامت هذه السلطنة في بلاد السودان الأوسط الذي يتكون من حوض بحيرة تشاد وما يقع حواليها من بلدان تمتد من نهر النيجر غربا إلى دار فور شرقا، وكانت منطقة بحيرة تشاد هي مهد مملكة الكانم برنو التي قامت حولها ن مما جعلها مركزا هام لا لالتقاء طرق القوافل التجارية المارة إلى جميع أنحاء القارة، وأدى هذا الأمر إلى ازدهار تجارتها والى قيام دولة فيها منذ القرن التاسع الميلادي.[3] ويرجع ادم الالوري في كتابه موجز في تاريخ نيجيريا أن تاريخ نشأتها يعود إلى سنة800م حيث قام وقوم من البرابرة السود بتأسيسها ثم انتزعها منهم قوم من العرب المعروفين بالكانميين سنة 1000م ولم تلبث إن صارت إمبراطورية عظيمة امتدت إلى ضفاف النيجر جنوبا والى حدود مصر والحبشة شرقا وشمالا، والى قلب الصحراء غربا.[4]ويرى بعض المؤرخين والباحثين في تاريخ مملكة الكانم برنو أنها تنقسم إلى عصرين مزدهرين، وهما العصر الكانمي والعاصر البرنوي، أما العصر الكانمي فيمتد من قيام المملكة

---

(1) محمد بن عمر التونسي، **تشحيذ الاذهان في سيرة بلاد العرب و السودان**، المؤسسة المصرية للتأليف و النشر، مصر، 1965م، ص، 155

(2) يوسف الفضل حسن، **مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي(1450م-1821)**، المرجع السابق،97-104

(3) ابراهيم طرخان، **مملكة البرنو الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط 1 ،1975م، ص،18.

(4) الالوري عبد الله ادم، المصدر السابق،ص،158.

شرقي بحيرة تشاد عام800م إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، وأما العصر البرنوي، يمتد من انتقال الأسرة الكانمة إلى غربي بحيرة تشاد اثر الاضطرابات والحروب الأهلية في القرن الرابع عشر إلى نهايتها في غمرة الاستعمار الأوروبي الحديث.[1]

ويرجع تاريخ ظهور مملكة كانم إلى الأزمنة السحيقة، وقد كثرت الروايات والأساطير حول ظهوره وأصولها، ويرجع البعض الأخر أن ظهرها كان قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا ، وذلك حسب الروايات المحلية، وآخرون إلى القرن الثامن الميلادي ، استناد لما وتصل إليه المؤرخ الانجليزي كرودور (Crowder).[2] وغيرها يرجعها إلى القرن الخامس الميلادي، غير أن التاريخ الثابت والمسجل لظهور هذه المملكة ذات نظم إدارية وعسكرية وقضائية يرجع القرن الثامن الميلادي و نمت وتطورت خلال القرنيين التاسع و العاشر، وذلك بفضل دخول الإسلام ورسوخه بين سكانها.[3]

وقد ضمت هذه المملكة عددا كبيرا من القبائل و العناصر فهناك الصو وقبائل الكانمبو، وهي خليط من قبائل الصو والبربر المنحدرين إليها من الصحراء الكبرى التي تقع شمالها، وتضم أيضا قبائل الكانوري التي كانت تتكون من خليط من العرب والبربر والزنوج، وهؤلاء يكونون اغلب سكان هذه المنطقة، بإضافة إلى قبائل التبو، وكذلك بربر الطوارق منسكان المناطق الشمالية الصحراوية، وكذلك قبائل عربية الذين كانوا يعرفون باسم الشوا القادمون من وادي النيل ومن شمال القارة عبر الصحراء.[4]

كان القرن العاشر الهجري ،القرن السادس عشر ميلادي هو فترة عظمة بورنو، ففي خلاله أعاد ثلاثة حكام عظام وهم الإدرسيان، إدريس بن عائشة، وادريس ألوما ومحمد إدريس، وكلهم أعادوا بناء قوة المملكة، وأخضعت برنو بسيادتها من دارفور إلى الحدود الغربية لبلاد الهوسا، وخضعت فزان مرة أخرى لسيطرتها.[5]

وفي عهد إدريس ألوما بلغت بورنو أوج عظمتها وقوتها، فقد أصبح لمملكته جيشا قويا لا يضارعه جيش أخر في إفريقيا جنوب الصحراء كلها، واستطاع أن يحقق انتصارات كبيرة حول بورنو وان يهزم قبائل الطوارق وان يدخل بعض القرى التابعة لمدينة كانو، ولكنه لم يستطع أن يأخذ المدينة نفسها، ظل هذا الجيش محتفظا بشهرته حتى حروب الفولاني.[6]

. دخول الإسلام إلى المملكة:

تكاد المصادر الداخلية والخارجية تتفق على حقيقة واحدة، هي أن أول بلاد من السودان الأوسط دخلها الإسلام هي مملكة برنو، وهي الجزء الشمالي الشرقي في نيجيريا القريب من بحيرة التشاد، وكان ذلك ما

---

(1) سعد أمطير غيث، **التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، دار الرواد** ، بنغازي ، ط1996،1م،32.

(2) Michael Crowder, **Ashrot History,of Nigeria**,Londan,1962,pp,38-39.

(3) إبراهيم طرخان، **مملكة البرنو الإسلامية**، المصدر السابق، ص، 75.

(4) Urvoy,Y, **Histoire, De L'Empir de,Borno**,Mémoires de L'institut ,Français ,D'Afrique Noire,Paris,Libraie Larose,1949,p,24.

(5) احمد الدين لواء محمد، **الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان دان فودي في ترسخيه**، المرجع السابق،ص،66.

(6) بانيكار، ك، ، **الوثنية والاسلام تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا**، المجلس الاعلى للثقافة، بيروت ط2، 1998م.، ص، 173

بين (666م .667م)، وهي نفس الفترة التي وصلت فيها طلائع المسلمين بقيادة عقبة بن نافع إلى المنطقة.

وتتحدث بعض المصادر التاريخية على مختلف أنواعها أن أول من اعتنق الإسلام من ملوك كانم هو السلطان اومي جلمي الملك الثاني عشر في تعداد ملوكهم قبل الإسلام، والأول بالنسبة لملوك الإسلام الذي حكم ما بين(1085م .1097م)، وذلك حسبما ورد في المحرم[1] وتعود فترة الإسلام وتمكينه من مملكة برنو إلى عهد ملكها إدريس ألوما(Idriss Alamoa)(1580م .1616م) لقد كان السلطان إدريس بارعا في إظهار اتجاهاته الإسلامية، أكثر منه كمؤسس الإمبراطورية.

ففي مملكة كانم القديمة كانت طبقة الحكام والفقهاء هي التي تدين فقط بالاستلام الحقيقي. فقد وصفه مؤرخ بلاد كانم برنو احمد بن فرتو في كتابه(تاريخ إدريس ألوما وغزواته) فقال:« وكان السلطان إدريس ألوما شديد التمسك بالكتاب و السنة شديد الكراهية لأهل البدع والمحدثات، ولقد حكم بالكتاب السنة في عهد ملكه... ».[2] واعتنى وبالأيتام والأرامل، ووجه اهتماما بالغا للإصلاح في الداخل والخارج وازدهرت البلاد و استقرت، وقام بعدة غزوات ضد الوثنية، وبخاصة سكان جزائر بحيرة تشاد، وكان يستخدم الأسلحة النارية التي كان يحصل عليها من الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على شمال إفريقيا، وذلك بمبادلتها بالعاج وريش النعام وجلود و التماسيح.

ومن الناحية العسكرية اتجه إلى تنظيم حروبه لتتمشى مع نظم الجهاد الإسلامية كما اتبع الفكر الإسلامي في نظام أسرى الحرب، وأصبحت حروبه لنشر الإسلام منبثقة من الدين ولم يكن هناك أي أكره لأي شخص ليدخل الإسلام، وأصبح الدخول في الإسلام طواعية. وتوفي إدريس ألوما عام 1603م تاركا وراءه مملكة واسعة المساحة متمتعة بالأمن و الاستقرار و الازدهار.[3]

وهكذا توالت عدة مايات على حكم مملكة كانم فمند سنة 1603م إلى غاية1847 م، عرفت مملكة كانم برنو عدد كبير من ملوك علموا على نشر الإسلام والثقافة السلامية، وتثبيت قواعد الحكم محاربة البدع والخرافات التي أتت بهم الوثنية، كان أبرزهم الشيخ محمد الأمين الكانمي من مواليد فزان وهو من العلماء والقادة العظام ومن الشخصيات التي رفضت الخروج من البلاد أمام الدخول الفولاني إليها، ونظم قبائل صغار وقوم الفولانيين حتى حال إلى تقدمه دون بحيرة التشاد، ونجح في تحرير شرقي برنو، ولكن الفولانيون واصلوا زحفهم تجاه العاصمة برنو حتى سقطت في أيدهم في مارس من عام 1808م، وعلى اثر هذه الحادثة وبعد هروب والده وفاته، وجد السلطان دونمه بن احمد نفسه أمام الجيش الفولاني، فقاومه وانتصر عليه بمساعدة الشيخ الكانمي وهزم الجيش الفولاني في هذه المعركة.[4]

---

(1) المحرم : وهو المرسوم السلطاني الذي يصدره الملوك لصالح رعاياهم من العلماء، وغيرهم، انظرن يعقوب علي،" الثقافة الإسلامية في مملكة برنو الإسلامية، **مجلة فراءات الإفريقية**، العدد الخامس، يونيو، 2010,

(2) Urvoy,Y, **Histoire, De L'Empir de,Borno,op cit,p,78.**

(3) شيخو احمد سعيد غلادنت، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، دار المعارف، القاهرةط1، 1982م،ص،29.

(4) ابراهيم طرخان، **مملكة البرنو الإسلامية** ، الصدر السابق،ص،134.

وبعد هذه الوقائع رأى الشيخ، أن من مصلحته الدخول في تفاوضا مع الفولانيين، وبدأت الرسائل الدبلوماسية بينهما، رغم ذلك لم تمنع هذه الرسائل من تقدم الفولانيين حيث هاجم أميرهم إبراهيم زكي عاصمة المملكة، وأدت هذه الأحداث إلى ظهور قوة الشيخ محمد الأمين الكانمي إذ أصبح الحاكم الفعلي لبرنو، وذلك منذ 1809م إلى وفاة الشيخ الكانمي 1825م، وقد صار بإمكانه عزل من يشاء من رجال الدولة ويعين من يشاء وبوفاة السلطان علي صار الشيخ حاكما فعليا وشرعيا لسلطنة وبدل لقب (المايات) بالشيخ وأصبحت المملكة تعرف بهذا اللقب حتى القرن التاسع عشر أين تم تقاسمها بين فرسا وبريطانيا وألمانيا 1894م.[1]

. الجانب الحضاري الإسلامي للملكة كانم برنو:

شهدت مملكة كانم برنو خلال القرن السادس عشر عصرا مزدهر، ساد فيه التقدم السياسي والثقافي والتجاري، حيث يبدأ من عصر الملك إدريس الملك الشجاع والعادل، حتى وصلت فتوحاته الجهادية إلى مدينة كانو، وظلت كذلك إلى إن ظهرت الحركة الإصلاحية لشيخ عثمان دان وفودي. لقد استطاع ملوك كانم برنو في أيام ازدهار مملكتهم إيجاد علاقة سياسية تجارية بين دولتهم وبين البلاد العربية الإسلامية، وخاصة بين مصر وطرابلس وتونس ومراكش، وكذلك الحجاز بسب الحج. وقد أورد لنا المؤرخون بعض المراسلات التي جرت بين المملكة والبلاد العربية، والظاهر أنها كانت عن طريق قوافل الحجيج، لان كل ملوك بلاد السودان الغربي أو الأوسط يؤدون هذه الفريضة، ويذكر ابن خلون وصول رسول من كانم برنو سنة 1257م إلى عبد الله المنتصر الأول احد خلفاء بني حفص بتونس، وكان الرسول يحمل الهدايا معه، وقد أورد كذلك القلقشندي رسالة من مللك برنو عثمان بن ادريس(1391م .1393م) إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بمصر يستنجد به ضد أعدائه.[2]

ولا شك إن هذه الاتصالات التي كانت موجودة ساعدت كثيرا على نشر الثقافة العربية والإسلامية في تلك المنطقة فقد انتشر فيها التعليم وكثر من يتكلم باللغة العربية، وكثر العلماء، ومما ساعد في نشر اللغة العربية وجود عدد كثير من العرب الوافدين إليها، والذين اشتهروا باسم قبيلة شوا، هكذا كانت المملكة في مطلع القرن التاسع عشر.

. ممالك الهوسا:

سجل القرن الرابع عشر ظهور عدد من الإمارات الإفريقية في الأنحاء الجنوبية من إفريقيا الغربية، كانت تقوم على التجمع القبلي أو الديني، الإسلامي والوثني. وقد دخلت هذه الإمارات في منازعات وصراعات مريرة ، لأنها لم تكن ذات موانع تجنبها الحروب فيما بينها، وكان العامل الديني يجمع الإمارات في مملكة واحدة ، كما حدث لإمارات الهاوسا في نيجيريا الشمالية.[3]

(1) احمد العراقي سيد السر، المرجع السابق،ص،107.
(2) القلقشندى ، **صبح الاعشى**، المصدر السابق ج8، ص ،117,
(3) نعيم قداح، المرجع السابق، ص،80.

وتشمل بلاد الهوسا ما يعرف اليوم بنيجيريا الشمالية جزء من جمهورية النيجر، وفي العصور الوسطى كانت تقع في المنطقة المحصورة بين سلطنتي مالي وسنغي غربا، وسلطنة البرنو شرقا، وتحدها من الشمال بلاد اهير والصحراء الكبرى، ومن الجنوب ما يعرف اليوم بنيجيريا الجنوبية.

وينبغي هنا الإشارة إلى أن إمارات الهوسا،[1] ارتبطت بإقليم السودان الأوسط الذي كان يضم المناطق الحيطة بحيرة تشاد ويحده من الشمال الصحراء الكبرى عند عرض22شمالا أما من الجنوب فتحده الغابات الاستوائية عند خط عرض 10شمالا، ومن الشرق يحده إقليم دارفور عند خط طول 10شرقا الذي كان تابعا للسودان الشرقي جغرافيا، ومن الغرب ،فإن إقليم الهوسا يحده ن ويقع على خط طول 15 غربا.[2]

إن وقوع إقليم الهوسا بين منطقتين حضارتين سابقتي الذكر جعل منها منطقة يشار إليها بالأهمية كبرى، ويعطيها بعد حضاريا وثقافيا وسياسيا وتجاريا، لهذا وجب علينا تحديد إقليمها الجغرافي، فالهوسا تقع ضمن الإطار الجغرافي المنحصر بين الصحراء الكبرى شمالا حيث يحدد بجبال العير، ويستمر امتداده إلى السفح الجنوبي لهضبة حوص، وصولا إلى خليج غانا جنوبا، أما الشرق فإن البرنو تحدد ككيان سياسي، وتنتهي حدوده الغربية عند نهر النيجر.[3]

شهدت هذه المنطقة المحصورة بين بحيرة تشاد ونهر النيجر انتشار كبير لشعب الهوسا بالرغم من وجود نوع من الصراع بين الشرق والغرب لفرض السيطرة، مما اوجد حال من عدم الاستقرار في المنطقة، نتج عنها إمارات متنافسة وغير متجانسة هدفها تأمين الوجود فقط.

(1) يدفع مهدي ادامو من خلال أورده في كتاب تاريخ إفريقيا العام بقولين ، وحول ارض الهوسا ، حيث يرى أن الأرض التي سكنوها ، لم يكن لها اسم من قبلهم، حيث عرفت باسم كازار قصر الملك، ليؤكد صاحب المقال أن التسمية لم تكن عرقية أو تضم أي تقسيم اثني، بل أن لغة الهوسا كان لها التأثير على كل شعوب هذا الإقليم، مما رشحها ان تكون الأقوى و المؤثرة و المسيطرة، أما القول الثاني ، والذي يعتبر فيه اللغة أساسا في التكوين الاجتماعي، وهي العامل المجمع لكل من يدخل إمارات الهوسا ، بذلك ينفي كل الصفات العرقية و الإثنية، ونراه في نفس الصفحة ينقلب على نفسه ويعتبر الهوسا من أهم التكوينات و المجموعات العرقية المهمة في إفريقيا، ومؤثراتهم اللغوية كانت الأقوى مما جعل الشعوب المجاورة تترك لغتها و تنظم إلى لغة الهوسا ، من الطبع أن تسيطر الهوسا وتصعد كقوة اقتصادية في المنطقة كانت اللغة الهوسية هي لغة التعامل التجاري بين التجار, مهدي ادامو، " الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط "، **تاريخ إفريقيا العام ج4 (من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)** موسوعة اليونسكو، لبنان 1988م، ص، 273.

(2) محمد السنوسي العمراوي، **نظام الحكم و الإدارة، بمملكة صنغي في عهد الاساكي**، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بمعهد البحوث و الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،2011م، ص،4.

(3) مهدي ادامو ، مرجع سابق،ص،273.

لقد اعتبرت إمارات الهوسا الحد الفاصل بين القوتين السياسيتين إحداهما في الشرق ممثلة في دولة البرنو بالسودان الأوسط وأخرى في الغرب ممثلة في مملكة صنغي بالسودان الغربي، أما شمالا فإن مدينة أغاديس[1].

كانت بمثابة حلقة الوصل تجاريا مع الشمال بكل دولة، وفي المقابل، فإن الغرب يعبر عنها بمناطق السافانا وصولا إلى المحيط الأطلسي ،إذ كان مصدرا مهما لتجارة الذهب والرقيق في السودان الغربي، لذا كان الوجهة المقصودة دائما لبعض حكام إمارات الهوسا.[2]

تداخلت عناصر جغرافيا وسياسية، ناهيك عن المفهوم اللغوي لمصطلح الهوسا، وصار هذا المفهوم غير واضح في كثير من الأحيان، فقد تناوله كثير من المؤرخين في محاولة منهم كشف الغموض الذي تكتنف تسمية الهوسا أو الحوصا، مكان سكنهم و أصولهم، خصوصا حول جغرافي المكان وحدوده الفاصلة و الصراعات الدائرة من اجل إعادة رسم الحدود من وقت إلى أخر، فقد كانت حاضرة بين المملكتين كانم برنو و سنغي.[3]

ذهب كثير من المفكرين منهم الشيخ محمد الناصر كبرا، والحاج يوسف من تماسلي إلى أن أصل لغة الهوسا يرجع إلى بلاد الحبشة، لأنهما يذكران في مختلف الأماكن والأزمنة عندما يلقي عليهم هذا السؤال ، فيقولان إن أصل كلمة هوسا(حبش) ولما وصلوا إلى مناطق الهوسا كانوا يسمون بهذا الفظ، فلم يستطيع القوم التلفظ بها فبدل أن يقلوا حبش قالوا هوس، فاستمرا هذه الفظ على هذه القبيلة التي استوطنت بلدان مناطق الهوسا، وهناك أراء كثير لسنا في موضوع ذكرها كلها.[4]

وكذلك أيضا طرح المفهوم اللغوي من قبل المؤرخين، حيث اعتبر مصطلح الهوسا ذا بعد لغوي ليس إلا، فقد انتشر لسان الهوسا في تلك الرقعة الجغرافية المذكورة سلفا، ولسهولته و اعتماد عليه في المعاملات التجارية، فهو لا يعبر حسب رأي الكثيرين على عرق أو مجموعة أثنية بعينها، لأنه لا توجد جماعة أو قبيلة يمكن أن نطلق عليها شعب الهوسا، بل هناك مجتمع يضم أصول وجنسيات مختلفة تتحدث لغة مشتركة، إذن ليس لقبائل الهوسا قبيلة واحدة ولا لغة واجدة تمتلكها هذه المجموعة، وليس لها مأثور حضاري يمكن الركون إليه.[5] مما منع الهوسا من الاستقلالية والخصوصية عبر التاريخ، على

---

(1) اغاديس: تقع في الشمال الشرقي من نيامي عاصمة النيجر على بعد 100كم، زارها بن الوزان، حيث ذكرها تحت اسم اغدس، واغلب سكانها من التجار وبها سور عظيم من القش، ولها ملك ينفق أموالا كثيرة على حرس القوافل بسبب اللصوص ،واغاديس تقع في إقليم اهير، وهي قاعدته، تكتب على إشكال متعددة (اغادس، اجادس، اكدس،واكدز، وغيرها)، هي من أهم مراكز التجارية في غرب إفريقيا خلال القرن الحادي عشر الميلادي، وكان لموقعها الاستراتيجي دور بارزا في استقطاب القوافل التجارية، فهي محطة تجارية وسيطة بين الجنوب و الشمال الإفريقي، كما أنها المعبر الهم للحجاج الذين يعبرون ليبيا ثم إلى مصر ومن بعدها إلى الحجاز. انظر، أحمد محمد كاني،" غرب إفريقيا والعلاقات العربية الإفريقية، **مجلة مستقبل العالم الإسلامي** السنة الأولى، العدد، الرابع، 1991م، ص- ص، 37-38

(2) روبن هاليت بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، تر، الهادي ابو لقمة، منشورات جامعة بنغازي، ط2، ص،209-211.

(3) عبد القادر خالد علي ،**انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر و نيجيريا وأثره على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية**، دار الفكر العربي، ط1،2013م، ص،38.

(4) محمد بلو بن عثمان فودي، **اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، المصدر السابق، ص،40.

(5) عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **الإسلام و الحضارة الإسلامية في نيجيريا**، المرجع السابق، ص،3.

عكس شعب الفولاني الذين حلوا محلهم، فقد ذكروا في صفحات التاريخ اوجدوا لهم المؤرخون الاستقلالية التامة، وحتى وإن كانت الأسطورة تحاكي بعضا من تاريخيهم وحضارتهم.[1]

وهناك من أن أعطى تحليلا على أن الهوسا ليست مجموعة عرقية ، وإنما هم ظاهرة لغوية، ذات انتشار واسعا تعتمد أساسا على قوة اللغة كمؤثر فقط فالهوسا ما هي إلا مدلول لغويا، ولكنه انقلب على نفسه، كما أوضحنا ذلك سلفا، اعتبر إن هوسا مجموعة عرقية، برغم من وجود هجرات كثيرة للمنطقة.[2]، ومن هم من يرى إن هذه القبائل كانت تنتمي إلى قبائل كيباوا(kebbawa)، وهي التي بادت ولم تبقى منها الا اللغة فقط.

إن هذا الخلط وتلك المسوغات ولآراء حول أصل الهوسا كأرض وشعب، مازال إلى اليوم يعتبر من القضايا التاريخية الصعبة مما دام لم توجد ووثائق تثبت أصل ومكان أرضهم، ويبقى البحث مستمرا، ومما يزيد الأمر تعقيدا هنا، ما تعرضت له وثائق وتاريخ الهوسا من عبث وحرق، وإخفاء ربما كان مقصودا من طرف الفولاني ، الذين أقاموا دولتهم على إمارات الهوسا.[3]

رغم أن المتكلمين بلغة الهوسا في هذا الجزء من القارة الذي يعرف بنيجيريا الآن كانوا يعيشون متجاورين ويتكلمون نفس اللغة ويدين معظمهم بالإسلام، إلا أنهم لم يعيشوا تحت نظام دولة واحدة، بل كانوا سبع إمارات صغيرة تعرف باسم إمارات الهوسا أو ممالك الهوسا(وهي كانوا ، وكانسينا، وزرايا، وجوبير، ودودرا، ورانو، وزمفرة)، ويرى بعض الباحثين أن (دورا).[4] أنها أقدم الإمارات، وان دماء أهلها وافدة من مصر العليا والحبشة، وبلاد العرب ومدينة كتسينا تتوسط هذه الإمارات، وزاريا أوسعها ارض، وكانوا أغناها، وجوبير أجدبها وتقع في شماليها. وعلى ذلك فقد كانت كل إمارة منهم لها الاستقلال عن أختها الأخرى، ونشبت عدة حورب فيما بينهم نتيجة طمع حكامهم في فرض سيطرتهم كل على أخر ونتيجة تحالف إحداهما مع القوى المجاورة سواء مملكة برنو من الشرق أو مملكة سنغي من الغرب.[5]

اشتهر الهوسويون بالمهارة في الزراعة وبعض الحرف والصناعة، التجارة ولعب موقع بلادهم المتوسط بين بلاد السودان الغربي و السودان الأوسط ، ووقوع عند الطرف الجنوبي لواحد من طرق القوافل التجارية الصحراوية المار من تونس مارا بمدينة غات وغدامس واهير ثم الهوسا في الاشتغال بتجارة، وهذه القوافل والمحملة بمنتجات مختلفة من ذهب وعاج ورقيق والتي تذهب إلى بلدان شمال إفريقيا، كما إن القوافل لم تقف عند هذه الحدود بل اخترقت مناطق الغابات في الجنوب وصولا إلى وادي نهر النيجر، كما اتجهت تجارتهم إلى مملكة برنو منذ عام 1453م، إلى أن وصلوا حوض فولتا جنوب، أدت هذه الحركة التجارية المتجهة للبلاد الهوسا تشجيع العلماء و الباحثين على زيارتها بكل سهولة وارتياح مما سهل انتشار الإسلام ، ونمو الحركة الفكرية وازدياد تأثير الثقافة العربية الإسلامية،

---

(1) عبد القادر خالد علي ، **انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر و نيجيريا** ، المرجع السابق ص، 38

(2) مهدي ادامو، **تاريخ افريقيا العام** ، المرجع السابق، ص،273-276.

(3) مخزوم الفيتوري عطية، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء**، منشورات جامعة فقاريونس، بنغازي1998م، ص ص،209-2013.

(4) Monteil V,**L'Islam noir,** op cit,p,105.

(5) زيريو جوزيف كي، **تاريخ افريقيا السوداء** ، تر، يوسف شلب ، وزارة الثقافة، دمشق، 1994م، ج1، ص،253.

والى سيطرة تجار الهوسا على جميع أنحاء السودان الأوسط، فزادت جاليتهم، وتطورت لغتهم وساد في تلك البلاد كلها خاصة بعد انهيار سلطنة سنغي على يد المصور الذهبي.[1]

أما فيما يتصل ببلاد الهوسا(شمال نيجيريا وجنوب النيجر الحاليتين) فقد نشأ المجتمع مجوسيا ، واستمر هكذا على المستوى العام حتى القرن الرابع عشر الميلادي، إلا انه من المؤكد إن هذه البلاد عرفت نوعا من التوحيد وقدرا من الإسلام، الذي كان مخلوط بالوثنية منذ القرن الثالث عشر ميلادي.[2]

. دخول الإسلام إلى بلاد الهوسا:

فبلاد الهوسا التي دخلها الإسلام من وقت مبكر جدا، إذ لعبت التجارة دور كبير في ربط مدنها بين بعضها البعض وبين شمال إفريقيا، وذلك منذ بداية القرن السابع الميلاد كما أوضحنا سابقا، إذ قام التجار العرب الوافدين من شمال القارة بدور فاعلا وملموس فنشروا تعاليم الدين الإسلامي بين أبناء بلاد الهوسا، وقد تغلغل الإسلام في بلاد الهوسا لأسباب نذكر منها:

. طبقة العلماء والدعاة وتحملهم مسؤولية نشر الدين والدعوة الى الله.

. بساطة العقيدة الإسلامية وسماحتها، مما جعلها تتفق مع الفطرة السليمة وتدركها العقول بسهولة ويسر.

. دور بعض العلماء والفقهاء الذين وردوا على بلاد الهوسا ومكث بعضهم فيها طويلا واتصل بحكامها، من أمثال محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الجزائري، وهو من أعلام تلك المنطقة في القرن التاسع الهجري.

. ترك تيارات إسلامية أخرى أثارها الحسنة على هذه البلاد، فقد وفد إليها فقهاء و علماء من مالي وبلاد برنو في الشرق ، وتيار أخر على رأسه تجار مدينتي تمبكتو وجني، الذين كانوا يترددون على أسواق كانو و كسينا في أثناء القرن الخامس عشر.[3]

. إمارات الهوسا ودخولها الإسلام:

اعتبر بعض المؤرخين أن إمارات السبع لبلاد الهوسا، تأسست فيل مجيء الإسلام، بما يقارب مائة سنة، حيث أخذت عملية التواصل، ودخول المهاجرين سليما وبدون حواجز ساعدهم في ذلك عدم وجود قوة مسيطرة في السودان الغربي. وقد كان تأسيس الإمارات دون شك اسبق من ذلك التاريخ والذي يثبت ذلك القول المخطوط الذي اكتشفه بإرث في مملكة برنو الذي يعود إلى مئات السنين.[4]

. مملكة كانو،Kano : هي من ممالك الهوسا شاسعة الأطراف تقع على بعد خمسمائة ميل شرق نهر النيجر، ويحدها من الغرب إقليم اغاديس، توجد بها عدة مدن وقرى، تحيط بالمدينة أسوار من خشب وطين، وهما المادتان اللتان تبنى بهما المنازل في ذلك الزمن عن أهل بلاد تلك المنطقة.

---

(1) محمد عبد الحليم رجب ، **انتشار الإسلام** ، المرجع السابق ، ص، 205.

(5) Hiskett .M, **The historical background to naturalization of Arabic loan words in Hausa,** African Language, Studies, VI,1965, p,21.

(3) الالوري عبد الله ادم، **الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1985م ص 46,

(4) مادهو بانيكار. ك، **الوثنية والإسلام**، المرجع السابق، ص،201.

ويرى بعض المؤرخين أن هذه الأرض في البداية كانت ارض فلاة تعيش فيه الوحوش، ويسكنها بعض أناس غير معروفي الجنس والعرق، وإمارة كانوا كغيرها من الإمارات الهوسا، يلف تاريخ تأسيسها غموض ولكنها أحسن حظ في كون أن جزء من تاريخها المدون الذي يتحدث عن النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي الثامن الهجري والذي ناقش من طرف المؤرخين.

لقد تحدثت حوليات كانو[1] التي وردت في كتاب المؤرخ الغربي رتشموند بالمر تحت عنوان Sudanese Memoirsعن الحياة السياسية بشكل عام، حيث احتوت على قائمة ضمت 48 حاكما من حكام كانو أي من التأسي إلى وقت متأخر، وقد استخدم هؤلاء الحكام لقب ساركن ،الذي يعد أرقى الألقاب إلا أن ما قدمته وثيقة أرباب كنو لمؤلف مجهول تقدم التاريخ الوثني للمدينة، والتي تعتبر أن أول من سكن كانو كان رجل اسود، يدعى بوشي ولا يعرف أصله، وما جاء في الوثيقة أيضا انه كانت هناك حكومة مسيطرة قبل مجيء باغودا بن بآو بن إلى الحكم ، فقد كان سكان الإقليم كلهم على الديانة الوثنية يعبدون الأنهار و الأشجار، وفي ظل هذه المعتقدات الوثنية يقول صاحب المخطوط انه وجد رجل منهم معروف عليه الصدق أخربهم بان الشجرة المقدسة التي كانوا يعبدونها ستقطع من طرف رجل يملك الأرض.[2]

مما جعل الأمر سهل أمام باغودا بم بآو بن بياجيدا سنة 1063م أن يتربع على عرش كانوا، بعد مواجهة مع الكاهن الأكبر التي أفضت بسيطرة باغوادا، وكما واصل صاحب المخطوط في سرد كامل الأحداث المتعلقة بهذه الأسرة كل من خلف باغودا، وظل الصراع إلى أن وفدت على المدينة أسرة تسمى الونقارة التي وصلت إلى الحكم خلال القرن الخامس عشر، وكان أول ملوكها محمد رمفا، الذي يعد من أعظم ملوكها، وعهده ازهي عهودها ، فكرس حياته في بناء القصور والحصون و بناء الجامع ووسع رحابه، وفي عهده حضر إلى كانو العالم الجليل عبد الكريم عبد الكريم المغيلي، ومكث فيه مدة وتولى القضاء فيها.[3]

لقد استفادت كانو من موقعها المتوسط بين الإمارات وبين دولتي برنو وسنغي حيث أصبحت مدينة تجارية، أكثر منها زراعية، فقد كانت القوافل التجارية تعبر منها واليها من الشرق و الغرب والشمال, وكانت حقا سوقا تجاريا لكل السودان الأوسط والسودان الغربي وبلاد شمال إفريقيا.[4]

---

(1) اكتشفت حوليات كانو لأول مرة سنة 1903م لا ن كانوا قبل هذا التاريخ لم يكن يعرف عنها شيء، وكانت هذه الحوليات مكتوبة بالغة العربية لمؤلف مجهول، وعدها قام المؤرخ الانجليزي palmer بترجمتها وضعها في كتابه تحت عنوان مذكرات السودان، وطبعت سنة 1975م، وتعد من المصادر الهمة في تاريخ كانوا وحكامها فيها تقع ما بين صفحة 92الى غاية 132 من نفس الكتاب، وقد سرد فيها قصة بياجدا وقدومه لبلاد الهوسا، انظر، ، و مهدي ادامو، المرجع السابق، ص،278,

(2) Palmer H.R. The Kano Chronicle Sudanese Memoirs, Vol II, London, Frank) casse,Co,ltd,1967,PP,93-98,

(3) Kani, A, M**, The Rise, and Influence of, Scholars, in, Hausa land Before,1804**, - kano, studes, V2, n°2, Bayero, University, kano, Nigeria,1981, pp,55-58.

([4]**)** Questions Diplomatiques et, Coloniales, "Les Anglais dans la Nigeria "**Revue de politique** extérieure,Sixiéme,Anné-1902,Tome,XIII,Janvier-juin,Paris,1902,p,29.

وخلال منتصف القرن الخامس عشر وصلت أربع مجموعات من الوافدين إلى مدينة كانو، جاءت كلها بغرض الدعوة وبعضها مع التجارة أيضا، واهم هذه المجموعات جماعة الفولاني التي قدمت من مالي ضمن هجرة كبيرة بدأت تحط رحالها عند الاطراف الغربية في بلاد الهوسا على رأسها الشيخ موسى جكلو الجد الثالث عشر للشيخ عثمان دان فودي، هذا بينما وصلت الهجرة الرئيسية إلى بلاد كانو، وفيها عدد كبير من العلماء، وقد أجمعت المصادر أن هؤلاء الفولانيين احضروا معهم كتبا في علم التوحيد و المذهب المالكي واللغة العربية، وبعدها بعدة سنوات بدأت الأفواج العربية التي أشارت إليها رواية " تاريخ أرباب كنو " بالأشراف"، بدأت تتدفق إلى تلك المناطق، ومن بين هؤلاء العالم الجليل محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، الذي وصل إلى كانو في عهد الملك محمد رمفا بن يعقوب(1463م .14999م)، على رأس نخبة من العلماء بعد توقف لفترة قصيرة من الزمن في مدينة كاتسينا.

لقد تزامن وصول الشيخ عبد الكريم المغيلي إلى بلاد الهوسا ترأس ثلاثة من ملوك في ثلاث من أهم ممالك الهوسا، ويذكر أن ثلاثتهم اعتنى اعتناء فائقا بإحياء الشعائر الدينية ومحاربة الوثنية وإضفاء الثوب الإسلامي على النظم السياسية، ويضف الشيخ المغيلي قد احضر معه كتبا في الفقه، كما قام بإعداد كتاب خاص لملك كانو بعنوان "تاج الدين"، وأخذه الملك دستور و قانون لمدينة كانو.[1]

. مملكة كاتسينا:

إحدى أشهر ممالك الهوسا، تقع في المنطقة الجنوبية لزندر[2] حيث تبعد عنها قرابة السير خمسة أيام، وهي نفس المسافة تقريبا التي تبعد عن مدينة كانو، فهي تقع في الشمال الشرقي من إقليم الهوسا حيث يحدها شرق مدينة دورا وكانو ومن الغرب زمفرا من نهر مدينة سوكوتو، وطبيعة تضاريسها عبارة عن جبال وسهول، مما أدى هذا التنوع في إلى وجود أراضي زراعية خصبة صالحة لزراعة.

ويرى بعض المؤرخين أن سكان هذه الإمارة او المملكة الصغيرة عبارة عن خليط من البولا، والبربر، والونقارة والطوارق، أما الوجود الإسلامي لهذه الإمارة فقد تأخر قليلا بالمقارنة مع مملكة كانو. وتشكل مجتمعهم على أساس طبقات كانت الحرف فيه من المراتب المتقدمة نسيبا.

مما جعل كاتسينا تختلف في البناء والتركيبة العامة عن غيرها، فقد كانت لها خصوصية في التكوين على غير إمارات الهوسا الأخرى. ويبدو أن تاريخ هذه المملكة لا يعرف منها إلا الندر القليل ، فقدر مرت بتطور مواز لتاريخ مملكة كانوا ، فالوثيقة التي ذكرنها سلفا ، والتي اكتشفها الطبيب والمستكشف سنة 1903م، وترجمها المؤرخ الانجليزي(R.Palmer) إلى اللغة الانجليزية، والتي جاء فيها ذكر حكام والملوك الذين تعاقبوا على مدينتي كانو، وكاتسنا، والتطور السياسي ونظام الحكم والحياة الاقتصادية والقوافل التجارية.[3] التي كانت رائجة في المدينة آنذاك.

---

(1) محمد كاني احمد، ،" غرب إفريقيا" ، المرجع السابق، ص، 37.

(2) زندر: مدينة وسط النيجر على بعد حوالي 100كم شمالي الحدود شمالي مع نيجيريا، تقع على الطريق البري الواصل إلى نيامي عاصمة النيجر، والمسافة بينها وبين نيامي700كم وهي مركز تجاري وزراعي، علي عبد القادر علي، خالد، المرجع السابق،ص،55.

(2) Robert, Cornevin, **Histoire de L'Afrique, (l'Afrique précoloniale :1500-1900)** Tome, II, Payot, Paris,1966, p,231.

ولقد تم التوفيق بين ما أورده الحسن الوزان وما هو موجود في تراث الهوسا و الدراسات الأثرية حول تحديد مكان مدينة كاتسينا واهم المرافق التي كانت موجودة فيما من منازل ومساجد و السور الذي يحيط بالمدينة والإضافات التي تمت في فترات متعاقبة، كما إن الربط المنطقي لتاريخ كاتسينا السياسي يتفق مع منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، تقول أن أول مؤسس لهذه المملكة هو ساركن محمد كوري، وهذا التاريخ موجود في الجزء الخاص بمدينة كاتسينا ، وبظهوره سلالته على رأس المملكة بدا العصر الذهبي لكاتسينا ,الذي حكم في الفترة الممتدة ما بين 1545م .1495م، وعمل خلالها على تامين خطوط التجارة والاهتمام بالمناجم، كما عمل على فرض نظام سياسي الذي كان يدين فيه الجميع بالولاء التام إليه. وعمل على تقويض سلطة الكهنة والسحرة وحاول إيجاد نوع من الرابطة القوية بينه و بين الأرض والأم في محاولة منه لتغير المعتقد المحلي من اجل فرض نظامه السياسي مما أدى الربط علاقات واسعة مع جماعات مسلمة.[1]

وفي الحديث عن كاتسينا والإسلام نستطيع القول بأنه ليس صحيحا أن الإسلام لم يدخل هذه الإمارة إلا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بفضل بعثة تبشريه من مصر سنة 1493م. كما رأى بعض المؤرخين المحدثين. والصحيح إن الإسلام دخلها في النصف الأول من القرن الرابع عشر أي قبل مجيء الونقارة وذلك في عهد الملك محمد كوروي سنة (1320م .1352م).

وقد لعبت هجرات قبائل الونقارة لبلاد الهوسا دورا كبيرا في نشر الإسلام في هذه المناطق، وكان إسلام أهل كاتسينا على أيديهم. وتسلسل حكم ملوك المسلمين هذه المدينة منذ ذلك الوقت إلى أن وصلت حكم الملك ماجي إبراهيم (1494م .1530م) الذي صبغ الدولة كلها بصبغة إسلامية واضحة، فقد أمر جميع السكان إن يبنوا أماكن للصلاة ومن يعصي هذا الأمر يقوم بسجنه، وفي الفترة عرفت المدينة ظهور حركة علمية وفكرية ابتدأ من زيارة الفقيه العالم الجزائرية عبد الكريم المغيلي الذي زار مدينة كانو وبعدها كاتسينا.[2]

فنرى المؤرخ الغربي (**Robert,Cornevin**) في كتابه تاريخ إفريقيا، أن مدينة كاتسينا وصلت تطور وازدهارا اقتصاديا كبير وذلك منذ سنة 1591م حتى أصبحت قبلة لتجار السودان الغربي، وحتى أنها استطاعت أن تخلف مدينتي غاو و تنبكت ، وتصبح مركزا تجاريا هام في المنطقة ، وازدادت علاقتها التجارية مع كل من مملكتي صنغي وبرنو.[3]

وفي أواخر القرن الخامس عشر أوائل القرن السادس عشر الميلادي عرفت ممالك الهوسا عامة ومملكة كاتسينا خاصة حركة اقتصادية وعلمية دينية. وفي ظل هذه الأجواء العلمية و الدينية، ساعدت على إيجاد لفيف من العلماء والفقهاء في هذه البلاد الذين أسهموا في نشر الإسلام وبث ثقافته، ومن بين هؤلاء العلماء الذي بزوا في هذه الفترة القاضي محمد بن احمد التادخي، وهو من علماء كاتسينا الذي لقي

---

(1) Soper.R. S, « The Stone, Age in Northern Nigeria », **Journal of african History,III,2**,1965,pp,193-196.

(2) مهدي ادامو، **تاريخ افريقيا العام**، المرجع السابق، 280.

(3) Robert,Cornevin, **Histoire de L'Afrique ,**op ,cit ,p,236.

المغيلي وزكريا الأنصاري، وعبد الحق السنباطي وتوفي سنة **930**هـ، وكذلك الشيخ عبد الله الفلاني الكشناوي من علماء المدينة ، وتصدى لتدريس بها له منظومة في المواعظ والحكم في نحو ألف وخمسمائة بيت والشيخ هارون الزكزكي شيخ الشيوخ اخذ عنه العلم عدد كبير يحصى من العلماء ، ومن أشهر علمائها أيضا. الشيخ جبريل بن عمر شيخ شيوخ زمانه وهو الرجل الذي اثر في الشيخ عثمان دان فودي، وكان له الدور البارز في محاربة الفساد والبدع والخرافات في بلاد الهوسا.[1]

. إمارة زاريا،Zaria:

معلومات عن هذه الإمارة قليلة جدا فالموجود أساس يعتمد على الروايات المحلية وبعض الدراسات الأثرية حول بعض المواقع داخل هذا الإقليم وتقع زاريا في جنوب بلاد الهوسا من الشرق تجدها إمارة كانو، من الغرب كل من إمارة زمفرا وجواري من الشمال إمارة كاتسينا أما من الجنوب فتحدها ارض الوثنيين والتي تفصل بينها وبين المحيط الأطلسي، ولقد ذكرت بعض المصادر إن هذا الإقليم هو أوسع أقاليم بلاد الهوسا بسبب سيطرته على إقليم بوشي الذي يضم قرى ومدن كثيرة جدان كما انه يعتبر المصدر المهم للذهب والملح والرقيق.

إن هذه المساحة الشاسعة ، كما يؤكده الحسن الوزان كانت تحتوي على منطقتين الأول حارة ويبدو أنها منخفضة على سطح الأرض و الثانية باردة لدرجة إن سكانها ابتكروا طرقا لمواجهة هدا البرد القارص، فجعلوا الجمر تحت أسرتهم أثناء الليل من اجل اتقاء البرد.[2]

إن التاريخ السياسي لهذه الإمارة غير واضح بسبب نقص المصادر، ولكن الآراء المطروحة حول تأسيس الإمارة، والأسرة التي حكمتها والمواطن كثيرة جدا لا يمكن الخوض فيه كلها، والمهم إن بعض الوثائق المحلية قدمت رأيا يعتمد على أساس إن أصل سلالة حكام زاريا باو ابن بنياجدا، وذكرت بعض الأسماء من الأمراء مثل يموسي، وادم وزاكي، وتقول هذه المصادر إن زمن دخول الإسلام كن في عهد الساركن ربو، ثم جاء بعده السلطان عبد الكريم، والذي حارب الوثنيين وأقام المساجد.

أما الأهالي فقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الرابع عشر ن وذلك نتيجة لموقع زاريا الاستراتيجي.[3]،

. إمارة غوبر،Gobir :

هي من إحدى إمارات الهوسا الأصلية تقع في الطرف الشمالي من بلاد الهوسا يحدها من الشمال اغاديس ومن الجنوب مدينة كاتسينا ومن الشرق إقليم زندر، أما من الغرب فإن إقليم الاير الجبلي الذي يعرف عند الهوسا اسبن، الذي كان بمثابة الحاجز الغربي له، ويمر فرع من نهر سوكوتو، على حدودها ومدينة غوبير اليوم تبعد عن غاو بحوالي

1000كم وهي جزء من نيجيريا الحالية.

---

(1) عمر موسى محمد الثاني،" الشيخ عثمان بن فودي و الطريق لاستعادة الهوية"، **مجلة قراءات افريقية**،المنتدى الإسلامي، لندن ،العدد الأول، أكتوبر، 2004م، ص، 33.

(2) عبد القادر علي خالد، **انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر و نيجيريا** ، المرجع السابق، ص، 63.

(3) محمد بلو، **اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور** ، المصدر السابق،176.

ويعتبر المؤرخ الغربي روبرت كرنوفان أن سكان هذه الإمارة عبارة عن خليط بين قبائل الطوارق وقبائل الفولاني وعدة قبائل أخرى[1]، فقد كان لتجار المسلمين دور هام في نشر الإسلام في هده الإمارة مند بداية القرن الرابع عشر، وان كان أهل هده البلاد يقولون أن حكامهم قبلوا الإسلام والوافد إليهم من سلطنة صنغي في عصر الاسيكا محمد الأول، ومعروف إن هذه الإمارة كانت تقع في شمال بلاد الهوسا، فكانت مرتبطة بطرق القوافل التجارية، ويذكر ابن بطوطة الذي زار مدينة تكدا سنة 1353م إن هذه المدينة كانت تصدر إلى غوبير النحاس ويقول إن هذه البلاد في دلك الوقت كانت بلاد كفار، وان سلطانها لم يكن مسلما آنذاك.[2]

ولما كانت تكدا من المراكز الإسلامية التي تقع في الصحراء، وكانت مركز لنشر الإسلام في المناطق الجنوبية، فإنها من المعقول إن تكون إن تكدا لم تصدر النحاس فقط بل صدرت الأفكار والثقافة الإسلامية، فمن الممكن وجود مسلمين في غوبير أثناء زيارة ابن بطوطة. مما يدل أن الإسلام ربما يكون قد عرف طريقة إلى هذه الإمارة منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي أو قبله نتيجة نشاط التجاري الذي كان موجود في المنطقة منذ قرون سابقة، وهو ما أشار إليه حسن الوزان في بداية القرن السادس عشر، إن سكان غوبير كانوا قديما يحققون أرباحا طائلة قبل أن يغزوهم الاسكيا محمد الأول سنة 1513م، وأنهم متحضري جدا، وفيهم من يشتغل في صناعة الأحذية التي تصدر إلى كل من تمبكتو غاو عاصمة سنغي.[3]

ولاشك أن وصول الاسكيا محمد إليها أدى إلى وصول وفد كبير من العلماء و الفقهاء إليها والى غيرها من بلاد الهوسا والدين ساهم في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية رغم كل هذه الجهود إلا إن الإسلام لم ينتشر بين كل أهلها ، فقد ظل بعضهم على وثنيتهم حتى بداية القرن التاسع عشر، ولم يتحول هؤلاء الوثنيون إلى الإسلام إلى إن جاءهم المصلح الكبير الشيخ عثمان بن فودي الفولاني وحول هذه الإمارات وغيرها إلى الإسلام وجعلها دولة واحدة.[4]ولى جانب هده الإمارات هناك إمارة رانوا وإمارة دورا، وهما إمارتين كان لهم تاريخ عظيما في بلاد الهوسا وكانت لهم علاقات تجارية بين مملكة برنو مملكة سنغي، ويبقى كذلك تاريخهم غير واضح لقلة المصادر التاريخية.

كان للعلماء الذين رافقوا الشيخ محمد المغيلي أو من اتبعوا أثره إلى بلا الهوسا وفي أواخر القرن الخامس عشر الفضل الكبير في نشأة الحركة العلمية في كامل بلاد الهوسا، فمذ بداية القرن السادس عشر بدأت دوائر صغيرة للعلماء المحليين في التطور والازدهار، فهؤلاء العلماء المهاجرين لبلاد الهوسا من الأقاليم الإسلامية الأخرى وبالأخص مملكة كانم برنو أو الذين كانوا على علاقة بها يمثلون في

(1) Robert,Cornevin, **Histoire de L'Afrique ,**op ,cit,238.

(2) ابن بطوطة، **تحفة الانظار** ، المصدر السابق، ص، 680.

(3) الحسن الوزان، **وصف افريقيا** ، المصدر السابق، 170

(4) محمد عبد الحليم رجب ، **انتشار الاسلام** ، المرجع السابق ، ص، 215.

الحقيقة الجذوة التي انطلقت منها الحركة الفكرية والعلمية والأدبية بالغة العربية، إلى إن جاء الشيخ عثمان دان فودي أكمل المسيرة.[1]

إن مجمل القول عن إمارات الهوسا يتمحور حول وجود غموض وإشكاليات لم تحسم بعد وخصوصا في مسألة النشأة والتكوين والأصل، ولهذا انقسم المؤرخون بين أراء كثيرة اتفقت حول عدم عرقية واثنيه الهوسا الذين توزعوا داخل هذا الإقليم المترامي الأطراف، والفاصل بين كيانات سياسية لم تتصادم ولكنها تتنافس فيما بينها للحصول على ثروات التي تزح ربها إمارات الهوسا بطرق متعددة ولكنها دون اللجوء إلى الحرب.

إن الإطار السياسي في إمارات الهوسا كان متفرقا إلى حدا كبير، فبالرغم من الادعاء بان سلالة الحكام من أصل واحد، إلا أن إمارات متفرقة ومتناحرة فيما بينها، وعلى اية حال فقد انتشر الدين الإسلام والثقافة الإسلامية بفضل الدعاة والعلماء و التجار، وظهرت مدن ومراكز إسلامية، مثال ذلك مدينتي كانو و كاتسينا.[2]

- مملكة اليوروبا (yoruba):

حينما عرف الأوربيون بلاد نيجيريا الداخلية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت المناطق من بين مناطق المكتشفة وطنا لشعوب زنجية أول مغربة اعتنقت الإسلام وأسست إمارات قوية متحضرة، ومن هذه الشعوب شعب اليوروبا في نيجيريا الشمالية.[3] تقع مملكة اليوروبا في جنوبي غربي مصب نهر النيجر، وتمتد من حدود هذا النهر شمالا وشرقا إلى المحيط الأطلسي جنوبا، وحدود بنين غربا وهي ذات انهار ورمال وجبال، وتعتبر مملكة يوروبا من ممالك الهوسا الفرعية المتدرجة ، وقيل إن تاريخ قبائل اليوروبا يعود إلى ألف سنة، ويكنها قوم من البرابرة و الزنوج ، والنوبة، قبل نزول اليوروبا ، والذين هم من العرب.[4]

وهناك اختلاف بين المؤرخين حول أصلهم كغيرهم من القبائل الإفريقية. فمنهم من يعتقد أنهم جاءوا من مكة، رأي أخر يرى أنهم من الشرق أما الرأي الثالث فيعتقد أنهم من صعيد مصر لان طريقة دفنهم لموتاهم تشبه طريقة دفن أهل مصر القدماء، وهناك رأي رابعا يقول أنهم أتوا إلى غرب افريقية بعد أن تم طردهم من طرف يعرب من قطان من بلاد العرب ، ومما يكن فان الدراسات الجنسية (الإثنوغرافية) اثبت أنهم لم يكونوا من أصل زنجي، وإنما اختلطوا بدماء الزنجية على نطاق واسع.[5]

وأقدم مدن اليوروبا جمعيا هي مدينة إيليا يفي ثم ايكوبي وبعدها اويولي هذه المدن الثلاث هي التي كنت بمثابة الأصل لسائر بلاد اليوروبا البائدة منها والقائمة حتى اليوم، ومن نزحت القبائل المنتشرة وأسست جميع البلاد الحاضرة.

---

(1)Hiskett.M ,**History of Hausa,Islamic,** Verse, London, soas,1975,p79

(2) عبد القادر علي خالد، **انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر و نيجيريا** ، المرجع السابق، ص، 71.

(3) Sir Alan Burns: **History of Nigeria** London,1978.p,47-50

(4) محمد لواء الدين احمد، **الإسلام في نيجيريا**، المرجع السابق ، ص،71.

(5) Ibid,p,88.

يتميز شعب مملكة اليوروبا بتنظيمه المتقدم إلى حد ما، ويعتبر أكثر شعوب غرب إفريقيا تقدما بحيث يسود الأمن والطمأنينة في الأرواح والممتلكات، إضافة على ذلك يتمتع في سلوكه بقسط كبير من الحرية، ولديهم قيم اجتماعية أسمى بكثير عما سائد في القبائل المجاورة لهم، وتظهر مدنهم أكثر اتساعا وعمرانا عن غيرها.[1]

وإذا كان الوافدون من البربر الذين كونوا ممالك الهوسا قد غرسوا فيها أصول لغتهم البربرية، فان البربر القادمين إلى اليوروبا لم يستطيعوا إن يطبعوا مقرهم الجديد بأصول لغتهم البربرية، بل ذابت لغتهم في لغة المغلوبين، وظلت لغة اليوروبا لغة زنجية، وسب في ذلك إن الوافدين إلى أراضي الهوسا كانوا كثرة، أما القادمين إلى أراضي اليوروبا، فكانوا قلة بالمقارنة مع السكان الأصلين. وهناك فرق أخر بين منطقة اليوروبا وبلاد الهوسا، فالبربر الذين أتوا إلى بلاد الهوسا حملوا معه لغتهم وحضارتهم العمرانية، اذ كانت مدينتهم اسمي من المناطق التي أقيمت بها ممالك الهوسا، أما البربر الذين جاءوا إلى بلاد اليوروبا، فلم يقيموا فيها حضارة ذات بال.[2]

والمتتبع لما كتبه الرحالة الأوروبيون عن مدن اليوروبا يجد أن الحضارة قد بلغت شأوا بعيد في الازدهار، فقد كانت مدنها متسعة كثيفة بسكانها وعمرانها، وكما تشير الروايات التاريخية إلى إن مدينة الاويو(Oyo)، نافست مدينة أيلي أيفي(Ile Ife) عاصمة مملكة اليوروبا. وبدأ نجمها منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي بالأفول عندما وصلتها الهجرات الإسلامية من الشمال، بينما كانت تمزقها من الدخل الفتن والتنازع على السلطة بين حكامها.

ومن هنا يتضح أن نشوء المدن في مملكة اليوروبا قد خضع لمرحلتين الأولى مرحلة المعسكرات والتجمعات للمهاجرين، ثم تحولت في المرحلة الثانية مركز الاستقرار والنمو بفضل ممارستهم الزراعة. وقد تحولت بعض المدن إلى عواصم تجارية استطاعت إن تصبح بفضل ما وصلت اليه من تطور اقتصادي واسع ومزدهر، أدى إلى وجود مراكز تجارية في مملكة كلها. ونجحت المواصلات المنتظمة في ربط هذه المدن ببعضها البعض، التي كانت في عزلة من قبل، وبانتهاء الحروب القبيلة، والغزوات المتعاقبة، وخاصة بين مملكة بنين، وانهيار السلطة المركزية في القرن التاسع عشر الميلادي، أسهمت جميعها في تشكيل مرحلة ثالثة في مدن اليوروبا حين أصبح وجودها متعلقا بمدى مستواها الدفاعي وكذلك تحالفاتها السياسية وحجم سكانها.[3]

ولم يكن اليوروبا مجموعة عرقية واحدة، بل كانوا تنوعا من قبائل توحد بينها الأعراف الحضارية، للمجموعة الحاكمة. وكانت معابدهم ومراتبهم الاجتماعية شبيهة بمثيلاتها عند الهنود، وتعتبر المجموعات القبيلة المختلفة أعضاء في مجتمع اليوروبا شريطة اعترافها بسلطة أوني ايفه الروحية وسلطة

---

(1) دي جي فيج، **تاريخ غرب إفريقيا**، المرجع السابق، ص،93.

(2) احمد شلبي، ، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية الجزء** ، 10 مكتبة النهضة المصرية، ط6، 1998م، ص،133.

(3) حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م، ص، 125.

الألالفين(الحاكم) السياسية. والنتيجة أن اليوروبا كانوا على غرار الهوسا نظام لحكم أكثر منهم دولة واحدة.[1]

ولكن بينما كانوا يفتقرون إلى سلطة مفردة فان سلطة الاونى الروحية وسلطة الحاكم السياسية لم تكونا محل صراع. وكذلك لم يكن من الأمور السياسية أن تتعرض الدول البعيدة عن المركز للغزو. فأي حاكم يعلم أن ثمن فشله هو فقدانه حياته، فكان يفضل أن ينشأ لنفسه دولة جديدة على أن يتراجع. والحكام لم يكونوا مستبدين، وكانوا يخضعون للمراقبة من طرف كبار موظفي الدولة الذين يتولى بعضهم مناصبهم بالوراثة. وأيضا يتعرض لرقابة رؤساء العشائر، وقبل كل شيء للجمعيات السرية والكهنة.

وتنظيم الدولة عند اليوروبا بسيط جدا ، فالحاكم يحظى بالاحترام على غرار، ولكن الشعب لا يرغب في طاعته إلا عندما تكون لديه القوة الكافية لإملاء إرادته ولحاكم حرسه الخاص به.[2]

. دخول الإسلام إلى مملكة يوروبا:

دخل الإسلام مملكة اليوروبا منذ عهد منسى موسى سلطان إمبراطورية مالي في القرن الثالث عشر الميلادي، وإنما يعود ضعف انتشار الإسلام فيه لكون ملوكها وثنيين ولعدم وجود زعيم يجمع بين الدعوة والجهاد في سبيل الإسلام كما في ممالك الهوسا.[3]

وكانت مدينة ابادن في الجنوب الغربي النيجيري مركزا مهما للثقافة الإسلامية والعربية، ويقصدها الطلاب من كافة أنحاء مملكة اليوروبا ومن الذين علموا على رفعة شأنها في الدراسات الإسلامية الوالي عثمان بشرون الذي أوفد إليها جلة العلماء من بلاد الهوسا وكذلك من العلماء الذين كرسوا حياتهم للدراسات الإسلامية والعربية في مدينة إبادان، ثم الإمام هارون ابن السلطان الذي يدعى بالشيخ الأكبر لأهل ابادان وكانت وفاته سنة 1935م، وقد تعاون هؤلاء العلماء مع رؤساء وحكام بلاد اليوروبا في توطيد الإسلام واستقدموا المرشدين والمدرسين إلى مملكة اليوروبا من ممالك الهوسا ومن غيرها، وكان لجهودهم ثمارها التي نشرت الإسلام والفكر الإسلامي بهذه المناطق.[4]

وخير دليل اليوم عن تواجد الإسلام ما تشهد جامعة ابادن النيجيرية من تطور في العلوم الإسلامية، وما تحتويه مكتبتها من مجموعة مخطوطات إسلامية يرجع تاريخها إلى سنة 1945م، وتأتي معظم محتويات هذه المجموعة عن سوكوتو والإمارات المحيطة بها ومؤلفات أدبية وسياسة وثقافية، وبها خزانة مكتبة جامعة ابادان أقدم مجموعة عمومية للمخطوطات العربية في نيجيريا والتي تأسست عام 1900م والتي تتضمن مخطوطات لأهم مؤلفات علماء نيجيريا شمالا وغربا من القرنيين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة. وأضحت جامعة ابادان منارة إسلامية في نيجيريا.[5]

---

(1) ما دهو بانيكار.ك, **الوثنية والإسلام**، المرجع السابق ،ص، 241.
(2) ما دهو بانيكار.ك, **الوثنية والإسلام**، المرجع السابق ،ص، 241.
(3) الالوري، ادم عبد الله، **الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فودي الفلاني**، الصدر السابق، ص، 34
(4) احمد شلبي، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية الجزء** ، المرجع السابق، ص، 580.
(5) محمد بابا يونس،، **فهرس مخطوطات مكتب جامعة أبيادان نيجيريا**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،2001.، ص،4.

- **المحور الخامس: انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء (دور التجار الفقهاء، دور الهجرة، والطرق الصوفية، الحركات الاسلامية الحديثة):**

ب- انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:

يرى بعض مؤرخي الغرب، وخاصة النزهاء منهم إلى أن الإسلام هو الذي فتح باب التاريخ لإفريقيا السوداء. أما قبل الفتح الإسلامي، فتاريخ إفريقيا لم يبتعد ولم يخرج عن ضفاف البحر المتوسط. والأحداث الجسام التي عرفتها القارة لم يصل صداها إلى العالم الخارجي إلا بعد الفتح الإسلامي لها.

ويرجع تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء إلى القرن السابع الميلادي، وفي هذه الفترة التاريخية المتقدمة لإسلام حمل التاجر المسلم دينه معه عبر رحلاته التجارية إلى ربوع مناطق إفريقيا السوداء.[1]

وقد ذكر المؤرخ الغربي برمنجهام بان انتشار الإسلام في القارة الإفريقية يتميز بأربعة فترات زمنية أو مراحل تاريخية متتابعة تمثل عمق انتشاره في القارة، كما أنها تمثل درجات مختلفة من حياة شعوب الإسلام، وهي، انتشار الإسلام عن طريق شمال إفريقيا من مصر غربا إلى المغرب (638م .1050م)، وهذه المرحلة الأولى التي اندمج فيها الإسلام في حياة شعوب القارة الإفريقية.

أما المرحلة الثانية ،والتي انتشر فيها الإسلام في نطاق السوداني(1050م .1750م) عبر البحر الأحمر عن طريق شرق إفريقيا حيث انتشر إلى السهول في القرن الإفريقي والصومال، حيث ظهر الطابع الإسلامي في جميع الحالات السكانية، وهذه مرحلة الإسلام التقليدي في إفريقيا، ثم انتشار عبر الصحراء جنوب إلى شمال السودان (1300م .1500م)، ثم اتجه نحو الشرق، والمرحلة الأخيرة، وهي فترة تأسيس الممالك الإسلامية (1701م . 1901م) وتميزت هذه الفترة بظهور الممالك في نطاق السوداني من غينيا و السنغال غربا إلى المهدية في السودان، وهنا اندمج الإسلام وقوانينه في أنماط الحياة الاجتماعية.[2]

انتشر الإسلام في غرب إفريقيا بفضل هجرات القبائل العربية وقبائل البربر التي أخذت تهاجر إلى غرب القارة، وتبسط نفوذها هناك، وخصوصا قبائل بني هلال وسليم هذه القبائل التي اتجهت نحو الصحراء الكبرى باحثة عن ظروف تتشابه مع الحياة السائدة في بيئتها الأصلية.

ونتج على هذا التحرك وتلك الهجرات أن اضطرت القبائل المحلية من البربر و الزنوج إلى التوسع جنوبا بعد اعتناقها الإسلام، فتحركت قبيلة جدال.[3] جنوبا ، وعبرت نهر النيجر في طريقها إلى السودان الغربي. وكانت هذه القبائل حلقة الاتصال بين المغرب بشعوبه وثقافته وعاداته وتقاليده والمحيط الزنجي الذي يمتد حتى بحيرة تشاد. ولما قامت دولة المرابطين في شمال إفريقيا كونت جبهة إسلامية قوية

---

(1) عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 1988م ،ص،21.

(2) سليمان خاطر، " إفريقيا الإسلامية" **مجلة الدراسات الإفريقية**، القاهرة، العدد الخامس، 1972م،ص،ص،226-227.

(3) قبيلة جدالة: إلى الجنوب من مضارب لمتونه تمتد صحراء تسير او ازواد إلى البحر المحيط ، ثم تمتد جنوب نحو السودان، حيث تحتل قبيلة جدالة جنوب ذلك النطاق حتى مصب نهر النيجر، متخذة من مدينة اوليل مركزا لهان بحيث يكثر الملح التي تحمله القوافل إلى الشمال و الجنوب بصفة خاصة، وهي إحدى بطون قبائل الملثمين. عبد اللطيف دندش عصمت **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، ارا لغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص،32.

امتدت من غرب إفريقيا إلى بلاد المغرب و الأندلس وكان لها الفضل الكبير في انتشار الإسلام في هذه الجهات.[1]

وبداية دخول الإسلام في إفريقيا مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الفتوحات الإسلامية في مصر وشمال إفريقيا والأندلس ومرحلة الأولى من انتشار الإسلام تبدأ سنة**641**م عند وصول المسلمين إليها وتنتهي سنة1050 م ولذلك بانسياب الإسلام، وتسربه إلى أن وصل إلى مرتفعات الفوت جالون بلاد التكرور قديما.

وفي عهد معاوية اتجه عقبة بن نافع وأسس مدينة القيروان ووصلت الموجة الأولى للمسلمين إلى مراكش، وفي سنة 711م وصلت الموجة الثانية إلى المحيط والأندلس وقد ظل الإسلام في بدايات انتشاره الأولى متمركز في المدن لان المسلمين لم يكونوا بكثرة حتى يتغلغلوا في الريف. أما دخول الفعلي الإسلام لغرب القارة فقد كان في القرن السابع الميلادي كما سبق ذكرهّ وذلك بعد فتح مصر، وكانت التجارة الصحراوية في أيدي التجار المسلمين، ويمكن أن نقول انه منذ ذلك الوقت بدا الدين الإسلامي يتسرب عبر الصحراء في بلاد السودان حسب المفهوم الجغرافي.

وتتكلم المصادر العربية عن المسلمين في غرب إفريقيا واعتناق الملوك للإسلام.... وأول هذه المصادر كتاب عبيد الله البكري في المسالك والممالك، ويتضح من خلال قوله آن وجود الإسلام قد سبق اعتناق الملوك له في القرن الحادي عشر بمدة طويلة، وذكر انه رغم أن ملوك غانة لم يكونوا من المسلمين إلا آن وزرائهم وكتابهم كانوا من المسلمين ووصف عاصمة مملكة غانا، وذكر أن بها مدينتان إحداهما للمسلمين و أخرى جامعة وبها 12مسجدا

ومع بداية القرن التاسع الميلادي أصبح لدينا دليلا كافا على أن الإسلام صار الدين الرسمي على الأقل لإحدى ممالك غرب إفريقيا، وكانت تلك المملكة هي إمبراطورية اودغست الإسلامية التي بلغت ذروتها وقواتها وعظمتها خلال القرنيين التاسع والعاشر الميلاديين وقامت بدور كبير في الدعوة إلى الإسلام ، جنبا إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين السودان وشمالي إفريقيا عبر الصحراء ولعبت سلعة الملح دور كبير في التجارة الخارجية بين دول شمال القارة وغربها.[2]

ويذكر ابن حوقل حول أهمية الملح كسلعة هامة ويقول» وحاجة ملوك السودان إلى ملوك اودغست ماسة من اجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام.... وملك اودغست يخالط مللك غانة ».[3]

ويذكر البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب «أن الملك تين يروثان ابن ونسيو نزار الادوغستي، كان قد بلغ من سعة النفوذ وقوة السلطان ما جعله سيدا على أكثر من عشرين من ملوك السودان كلهم كانوا يؤدون له الجزية.»

---

(1)عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو، 1989م، ص37.

(2) دياب إبراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، المرجع السابق ، ص،47.

(3) نفسه ،ص،49.

ويعتبر إسلام الملك الذي حكم مملكة غانة ما بين 961م- 971م، وجهوده وجهود غير من ملوك إمبراطورية اودغست الإسلامية كان لها أثرها لاشك في دخول أعداد كبيرة في الإسلام قبل القرن الحادي عشر. فمن البديهي أن إسلام ملك التكرور لم يأت فجأة بل كان نتيجة الوجود الطويل للإسلام في شمال المنطقة، ولكن مطلع القرن الحادي عشر الميلادي يمثل عنصرا هاما في اتساع رقعة انتشار الإسلام وخاصة بعد إسلام ورجاني بن رابيس حوالي 1040م مللك التكرور الذي يمثل إسلام أول عائلة في أقصى الغرب من إقليم السودان وكان له الفضل في إسلام التكرور وأهل سلا Silla، والمسافة بين سلا وبين غانة عشرون يوما كما يقول البكري ومن ثم فان أعدادا كبيرة من سكان غانة
قد اعتنقت الإسلام على يد التكرور وملكهم. وهذا يثبت أن التكرور لعبوا الدور الأول والأساسي في انتشر الإسلام بين قبائل الواقعة في النطاق السوداني (السافنا) قبل ظهور المرابطين بفترة كما لعبوا بعد ذلك دور هاما في حركات التجديد الإسلامي على يد الشيخ عثمان دان فوديو في القرن التاسع عشر.[1]
وكان من نتائج الفتح العربي لشمال إفريقيا، ومن نتائج هجرات القبائل العربية إلى الغرب والأندلس أن امتزج الدم العربي بالسلالات، التي سبقت العرب إلى إفريقيا من البربر الذين سبق لهم الامتزاج بسلالات زنجية خلال رحلاتهم التجارية وغزواتهم الحربية بالأقاليم المحيطة بالصحراء الكبرى.

وتولد عن الامتزاج شعوب وقبائل ولغات لاهي عربية بحتة، ولا هي زنجية صرفة، ولكن الرابط الوحيد بينهم الذي كان يصلهم بعضهم بعض وهو الدين الإسلام.[2]

ج . طرق انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:

لم يكن ارتباط العرب في غرب القارة الإفريقية يقل قوة عن ارتباطهم بشرق القارة ووسطها، فكما اتصل الوسط والشرق بسواحل جنوبي الجزيرة العربية والخليج العربي، اتصل غرب القارة بالشمال الإفريقي عن طريق الصحراء الكبرى وتؤكد الحقائق التاريخية بما لا يدع مجالا للشك أن الصحراء كانت وسيلة اتصال، ولم تكن وسيلة انفصال، وهذا ما تشير إليه معظم الدراسات التاريخية بما في ذلك الأجنبية منها التي أكدت وحدة القارة وذلك قبل ظهور فكرة التقسيم في مؤتمر برلين.

أما عن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، فقد تعددت الأساليب، وقلما نجدها متجمعة في مناطق محددة، فالفتوحات العسكرية كانت الحجر الأساس لانتشار الإسلام في فارس و المشرق العربي، وفي القوقاز كان للطرق الصوفية الدور الكبير في نشر الاستلام ،أما فيما يخص غرب إفريقيا او السودان الغربي، فقد اجتمعت عدة طرق دخل الإسلام بواسطتها إلى تلك المناطق الإفريقية.[3]

- التجارة:

لعبت التجارة دورا هاما في ربط العلاقات بين العرب في المشرق العربي وشمال إفريقيا، وشعوب بلاد السودان الغربي والأوسط كما هو الحال مع غيرها من شعوب القارة. ويذكر المؤرخون اليونانيين آن اليمن

---

(1) دياب إبراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، المرجع السابق.، ص، 50.
(2) محمد عبد العزيز إسحاق، تقديم، د عبد الملك عودة، **نهضة افريقية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط1981،1م، ص،51.
(3) جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات الإفريقية**، دار الفكر العربي، مصر،ط1، 1996م، ص،147.

كان لها أسطول ضخم ينقل البضائع بين موانئ اليمن وبين موانئ الهند والصين والصومال بحيث كان أهل اليمن يحتكرون التجارة. لما يمتازون به من الدهاء و الذكاء لدرجة أنهم حافظوا على أسرار تجارتهم حتى أن بعض المؤرخين ظنوا مصادر البضائع هي من إنتاج اليمن ولكن الحقيقية أنها كانت ترد لهم من الهند و اندونيسيا و الصين.[1]

علاقات العرب بالشعوب الإفريقية قديمة قدم التاريخ، وتعود هذه العلاقات إلى أكثر من ألفي سنة، وربما كانت العلاقة التي ربطت بين إفريقيا وسكان الجزيرة العربية أقدم من ذلك بكثير ومما يعزز هذا الاعتقاد أن إفريقيا، ومنطقة شبه الجزيرة العربية كانتا تمثلان رقعة أرضية واحدة. حتى انشطرت الأرض كجزء من الأخدود الإفريقي العظيم، وأصبح البحر الأحمر يفصل بين المنطقتين، ورغم وجود الحاجز المائي إلا انه لم يحل دون الاتصال البشري بين الشعوب، إلى جانب المنفذ تم التواصل بين المنطقتين عن طريق شبه جزيرة سيناء عن طريق باب المندب.

وقد أدى التشابه اللغوي والثقافي والعرقي بين السكان الناطقين باللغات الحامية ورصائفهم من الناطقين باللغات السامية إلى أن يرجح بعض الباحثين أن شعوب هاتين المجموعتين قد استوطنت مكان واحد، بل قد يكون ينتمون في أصولهم البعيدة إلى شعب واحد.[2]

لعبت الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى ادوار كبيرة في تاريخ المنطقتين الواقعتين على طرفيها الشمالي والجنوبي فقد تم عبرها التبادل التجاري منذ العصور القديمة، ومع نشاط الحركة التجارية اتصلت إفريقيا جنوب الصحراء بحضارات العالم القديم المطلة على حوض البحر المتوسط.

ومنذ الألف الأخير قبل الميلاد خرج نطاق التبادل التجاري من محيطه الداخل في إفريقيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، والذي ساهم فيه الفينيقيون واليونيون والرومان، وقد خلف لنا هؤلاء كثيرا من المعلومات، والتي تعتبر من أقدم المصادر عن مسالك الصحراء والشعوب القاطنة جنوبيها.

والى جانب ذلك فهناك بعض المصادر المحلية الهامة عن طرق الصحراوية، وهي عبارة عن النقوش والرسومات التي خلفتها الشعوب الصحراوية في فترات تاريخية متتالية. وقد تمت دراسة الكثير من تلك الآثار، فساعدت إلى حد كبير في تتبع طرق الصحراء، وارتباطاتها القديمة بالمراكز والشعوب الإفريقية على حوض نهري السنغال والنيجر.[3]

غير أن العصر الذهبي للمصادر الطرق التجارية في إفريقيا جنوب الصحراء يبدأ بدخول الإسلام في شمال إفريقيا حيث استقر المسلمون في المغرب العربي إبان القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وكثفوا علاقاتهم واتصالاتهم بجنوبي الصحراء ما بين حوض بحيرة تشاد شرق والمحيط الأطلسي غربا وهي المنطقة التي أركز عليها في الدراسة وخاصة نيجيريا بمفهومها اليوم والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا.

---

(1) محمد بازينة عبد الله سالم، **انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، الإدارة العامة للمكتبات و للمطبوعات و النشر، مصرانه، ليبيا,ط1، 2010م، ص،14.

(2) محمد علي رجب، **انتشار الإسلام في إفريقيا**، المرجع السابق ، ص، 107.

(3) احمد اليأس حسين، " طرق القوافل عبر الصحراء و الممالك الإفريقية في جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية في القرن السادس الهجري العاشر الميلادي" **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد الثاني، شهر ابريل 1986م، ص،107.

وقد سجلت كتب التراث العربي معلومات جمة عن هده المنطقة تعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الطرق إليها وعلاقاتها بالمغرب العربي وحوض البحر المتوسط. وقد تضمنت المعلومات الواردة الأنشطة الاقتصادية والثقافية والعلاقات الاجتماعية لسكان المنطقة و الأنظمة السياسية التي سادت فيها.[1]

وجاءت هذه المعلومات في المصادر العربية الجغرافية القديمة التي درجت على تقسيم العالم إلى أقاليم وتتم دراسة الأقاليم من جوانب متعددة، مثل مظاهر السطح والمناخ والنبات الحيوان والسكان بأنشطتهم الاقتصادية والثقافية والنظم السياسية.

وقد حملت هذه المؤلفات الجغرافية أسماء مختلفة أشهرها (المسالك والممالك) كتب البلدان، وصورة الأرض في الطول والعرضً، "وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم".

كما وردت بعض المعلومات أيضا في المؤلفات التي تحمل اسمً كتب العجائبً و وعجائب البر والبحرً، كما تمثل المعاجم القديمة، وكتب الرحالة مصادر أساسية لدراسة مراكز ومدن وعواصم إفريقيا جنوبي الصحراء، والتي احتوت في مضامينها معلومات كثيرة عن تاريخ العلاقات عبر الصحراء الكبرى.[2]

ولم تهتم مصادر التاريخ العام كثيرا بطرق الصحراء، وتاريخ العلاقات عبرها وبالممالك الإفريقية جنوبي الصحراء، كما يلاحظ كذلك مثلا عند الطبري وابن الأثير.

ولإشارة، فان المؤلفات التاريخية التي اهتمت بهذا الجانب هي الكتب الخاصة بتاريخ المغرب وتاريخ ومصر والمصادر السودانية، فنجد اليعقوبي ومن خلال تجواله في شمال إفريقيا وفي مستهل حديث عن الدولة الرستمية والتي كانت تسيطر على اغلب الطرق التجارية الواقعة شمال الصحراء.

فجمع معلومات قيمة تضمنها كتابه البلدان الذي ألفه في مصر عام 891م. وغيره من المؤلفين من أمثال ابن حوقل و البكري ابن خلدون وابن بطوطة وحسن الوزان وابن الصغير المالكي في القرن الثالث لهجرة وكلها قدمت لنا معلومات قيمة.[3]

ـ القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى:

ـ طرق القوافل التجارية الصحراوية

كانت هناك بإفريقية مسالك عرفه التجار منذ أمد بعيد، وكانت هذه الطرق والمسالك تربط بين شمال الصحراء وجنوبها، أو تصل بين شرق القارة ووسطها، أو بين الغرب والوسط، وقد سار الرحالة العرب الذين سوف نتحدث عنهم ومن خلال الدراسة الوجيزة لمؤلفاتهم يتضح لنا الطرق والمسالك التي سلكها التجار العرب والمسلمين واستطاعوا أن ينشاؤ مراكز ومدن مازالت خالدة في التاريخ إلى اليوم مثل جني وتنبكتو وجني وغاوو وغيرها. ومن المصادر التي تطرقت عن مسالك القوافل التجارية الصحراوية.[4]

---

(1) محمد علي رجب، **انتشار الإسلام**، المرجع السابق، ص،112.

(2) ، محمد علي رجب، **انتشار الإسلام**، المرجع السابق،.ص، 113.

(3) احمد الياس حسين، المرجع السابق ، ص،108م.

(4) احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن الواضح اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت،1960م ,ص،193.

. اليعقوبي احمد ابن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح 284هـ . 897م، والذي استفاد من تجواله في شمال إفريقيا وبخاصة في الدولة الرستمية التي كانت تسيطر على اغلب محطات الطرق الواقعة شمالي الصحراء فجمع معلومات غزيرة عن تلك المنطقة واليعقوبي أول جغرافي عربي أمدنا بمعلومات مباشرة عن الطرق التجارية الصحراوية فأشار إلى طريق الذهب من سجلماسة إلى مملكة غانة عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى. وهناك الطريق الشرقي الذي بدا من فزان[1] عبر كوار جنوبا إلى حوض بحيرة تشاد، ووضح نشاط الاباضية التجاري على هذا الطريق من مركزهم زويلة، وأشار إلى الأمم الإفريقية التي ارتبطت عبره.

ـ ابن الفقيه احمد بن إبراهيم (290هـ/903م). والذي ألف كتابه المكون من خمسة أجزاء، ويتضمن الكتاب معلومات قيمة عن مملكة غانا والطريق الشرقي الذي يخرج من الواحات المصرية عبر كوار نحو النيجر تم يتجه نحو غربا نحو غانة، كما أشار كذلك أيضا إلى الطريق الغربي من السوس الأقصى إلى غانا والمعلومات التي أوردها قليلة بالمقارنة مع ما ذكره اليعقوبي و الخوارزمي.

. أبو جعفر محمد بن موسى(272هـ/847م) لم يأت الخوارزمي بمعلومات مفصلة عن الممالك والطرق في (كتابه صورة) والذي أكمل تألفه عام847م. وذكر الخوارزمي بعض مراكز التجارية لجنوب الصحراء مثل المراكز الموجودة في مملكة غانا وكوار وزغاوة[2] وله خريطة كبيرة أوضح عليها خط الاستواء ، وظهرت عليها مدينتي غانة وكوكو ونهر النيجر.[3]

ـ ابن حوقل النصيبي أبو القاسم (367هـ/977م) يعتبر من ابن حوقل من أشهر مؤلفي القرن العاشر الميلادي وهو من الرحالة الذين تركوا لنا معلومات قيمة في كتابه صورة الأرض الذي جمع مادته من إفريقيا أثناء تجواله وانشغاله بتجارة فقد طاف بلاد المغرب حتى وصل إلى درعة ما بين (947م – 951م) من ودخل الصحراء الكبرى حتى اودغست، فكان بذلك أول جغرافي عربي يصل إلى تلك المناطق.

ووقف ابن حوقل على أحوال المنطقة فجاءت معلوماته دقيقة عن الجزء الغربي من الصحراء الكبرى ويبدو من خلال وصفه أن النشاط التجاري ربط المنطقة كلها ربط تاما ما بين سجلماسة واودغست غربا حتى زويلة شرقا وبين ارتباط سلع المنطقة بتجارة حوض البحر المتوسط.

ويقول ابن حوقل:« عرف العرب التجارة مع إفريقيا منذ أمد بعيد، ولما ظهر الإسلام وأصبح التاج مسلما زاد النشاط التجاري الذي كان يقوم به العرب، فقد عنى المسلمون بالطرق والأمن، وحددوا المكاييل

---

(1) تقع فزان جنوب مدينة طرابلس كانت مركز حضاريا وتجاريا توثقت علاقاتها مع المراكز الحضارية على جانبي الصحراء، مثل تنبكت ، وغاو،وكانم برنو،ودرس فيها مشاهير العلماء من أمثال حسن الوزان صاحب كتاب وصف إفريقيا الذي قال فيها " بانها منطقة كبيرة جدا مكونة فيها قصور كبيرة عامرة بالناس أغنياء يملكون النخيل، انظر حسن الوزان، المصدر السابق ،ص،140.

(2) قال ابن خلدون:« زغاوة مسلمون ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم » فهي بلاد واسعة، وسكانها قبيلة من السودان وهم فرع من قبائل التيبو العربية، وبعض الزنوج، وهي محاذية لبلاد النوبة، ويذكر الإدريسي أن المدينة كانت لها علاقات تجارية مع القوافل التجارية خلال القرن الثالث عشر الهجري. .....)، محمد عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق ،149.

(3) Trimngham, J,speacer,A. **History of Islam in West Africa** ,op,cit, p,48

والموازين والمقاييس وأشاع التاجر المسلم حوله جوا من الثقة فوجد ترحابا أينما حل، وأصبح بيته منارة للفكر الإسلامي بما يحمله من مدينة وحضارة، قيأ ذلك للإسلام فرصة الانتشار مع التجارة.» [1]

ـ المسعودي أبو حسين علي ابن الحسين(347هـ/957م) بالرغم من غزارة ما كتبه المسعودي في الجغرافيا إلا أن معلوماته عن غرب إفريقيا قليلة بالمقارنة مع ما كتبه عن بحر القزم وساح الزنج فلم يرد شيء يتعلق بموضوعنا في كتابه التنبيه و الأشراف، والكتاب الذي أورد فيه بعض المعلومات عن العلاقات التجارية عبر الصحراء، هو كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر.[2]

ـ البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز487هـ. تعرض البكري بتفصيل دقيق للصحراء المغربية وغرب إفريقيا، فتناول الطرق بمراحلها وأماكن وجود المياه الجوفية والمخاطر التي تواجه القوافل وأورد تفاصيل وافية عن دور المراكز التجارية في النشاط التجاري، ولكن الملاحظ على كتابة البكري أن المعلومات تقل كل بصورة واضحة كلما اتجه من غرب إفريقيا شرقا نحو انحناءة نهر النيجر الوسطى وحوض بحيرة تشاد.

وقد يعود السبب في ذلك هوان مصادره التي تركزت معلوماتها على الجزء الغربي من المنطقة، فقد اعتمدت على التجار الذين ارتبطوا في عصر المرابطين خاصة في الفترة الأولى من قيام دولة، فكان الارتباط ارتباطا قويا بين حوض نهر السنغال والأندلس حيث ألف البكري في ذلك الوقت كتابه بالإضافة إلى الوثائق الرسمية التي توافرت في الأندلس في ذلك الوقت عن غرب إفريقيا.

ولا يبدو أن البكري دخل إلى الصحراء الغربية أو مملكة غانة، كما رجح بعض المؤرخين، فرغم التفاصيل الوافية لمعلومات المقدمة، إلا أنها لم تحمل أي إشارة لحوله المنطقة ، وما يوضح ذلك مصاحبته للقوافل التجارية التي أسهب في وصفها، فقد ذكر البكري أربعة طرق عبر الصحراء الغربي من الصحراء الكبرى فلو انه سلك احد الطرق جنوبا لا اتضح ذلك في كتاباته عنها.[3]

. ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(770هـ/1368م). يعتبر من ابن بطوطة من أعظم الرحالة في العصور الوسطى وتعد المادة الغزيرة التي سجلها في رحلته من أهم المصادر لدراسة أوضاع المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية في المنطقة ما بين الهند والمغرب الأقصى بما في ذلك غربا إفريقيا جنوب الصحراء.

فبدا ابن بطوطة رحلته إلى غرب إفريقيا عام **754هـ** من مدينة سجلماسة المحطة الشمالية على الطريق الغربي في الصحراء الكبرى والذي يمر جنوبا عبر تغازا حيث ذكر أنها مدينة لا خير فيها ومن عجائبها أنها مدينة مسجدها و بيوتها من حجارة الملح[4]

ومن تغازا إلى وولاته إلى داخل مملكة مالي ، و قد تعرض إلى وصف الطريق و المدن التي مر بها حتى وصوله عاصمة المملكة في جمادى الأولى 753هـ ومكث فيها حتى 22محرم754هـ، فخرج منها

---

(1) أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، **صورة الأرض**، المصدر السابق، ، ص،24.

(2) أبو الحسين علي ابن الحسين المسعودي **مروج الذهب ومعادن الجوهر**،ج2، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1973م،ص،223.

(3) إبراهيم طرخان، " الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي و الأوسط" ، **مجلة ام درمان الإسلامية**، العدد الثاني،1969م ، ص 10.

(4) أبو عبد الله محمد بن محمد ابراهيم ابن بطوطة، **تحفة الانظار** ، المصدر السابق، ص ص457-459.

متجها نحو الشرق عن طريق نهر النيجر فزار تمكتو، ثم اتجه منها إلى مدينة كوكو وهي المدينة التي ترداد ذكرها في المصادر العربية من القرن الثالث الهجري ن وقد عرفت فيما بعد باسم جاو، وأصبحت عاصمة دولة صنغي في القرن التاسع للهجرة حيث اتجه ابن بطوطة بعدها شمالا إلى مدينة تكدا المشهورة بإنتاج النحاس، وخرج من تكدا في الحادي عشر شعبان 754هـ في طريق عودته مارا بكاهر وهكار إلى سجلماسة إلى مدينة فاس. والى جانب ذلك تناول وصف القوافل و الطرق البرية و النهرية التي سلكها فوصف النشاط التجاري و الأسواق وما فيها من سلع محلية ومستوردة.[1]

. ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد(808هـ/1405م). تناول ابن خلدون في القسم الجغرافي من مقدمته العبر وديوان المبتدأ و الخبر منطقتي الصحراء و غرب إفريقيا الإقليمين الأول والثاني فتناول اوليل، غانة ، تكرور مالي، كوكو ، كانم، وتحدث عن حركة القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وركز أيضا على قبائل الملثمين واستقرارهم في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى وتحدث عن قبائل هوارة ومواطنهم في الصحراء شرقي الملثمين ن ووضح النشاط التجاري لتلك القبائل من مراكزهم الصحراوية مثل ورقلان وولاته ، ومركز فزان حيث وضح مساهمة تلك القبائل الكبيرة في خدمة التجارة عبر الصحراء الكبرى كأدلاء للقوافل أو حراس لها مقابل ما كانوا يأخذونه من ضرائب التي دفعها القوافل التجارية.

وقد غطت كتابات ابن خلدون عن غرب إفريقيا إلى جانب الأوضاع السياسية النواحي الثقافية والحركة التي التجارية التي استسقاء منها مادته من مصادره الخاصة معتمدا في ذلك دراسة بعض الشخصيات التي عاشت في غرب إفريقيا أو أهالي المنطقة نفسها مما أعطى معلوماته درجة خاصة من الأهمية.[2]

هكذا جاءت المعلومات الغزيرة التي أوردتها ا المصادر العربية التي ذكرت سلف معبرة على الوصف الدقيق لطرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى، وأضحت أثر القوافل في انتشار الإسلام والازدهار الاقتصادي بغرب إفريقيا، خاصة تلك التي تحرج من تونس إلى برنو غرب بحيرة تشاد ومن جنوب الجزائر إلى بلاد الهوسة شمال نيجيريا، ومن جنوب مراكش إلى مصب نهر السنيغال ومنحى نهر النيجر، وطريق شمال إفريقيا المار بمصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب وبلاد سوسن، وحيث عبرته كل الهجرات العربية.

وطريق أخر كذلك من المحيط حتى حوض النيجر وغرب إفريقيا وعبرته قبائل البربر التي اعتنقت الإسلام.[3]

وعلى هذه الطرق والمسالك قامت مدن تجارية لعبت دور مهما في خدمة الإسلام وهذا يدل على صلة انتشار الإسلام بالتجارة، فإذا برزت مدينة تجارية يؤمها الباع والمشترين فسرعان ما تصبح مركزا ثقافيا يلوج إليه المعلم، وقد تغلب الجانب الاقتصادي على بعض المراكز مثل جني وتغلب جانب العلم والمعرفة على مراكز أخرى مثل كانو.

(**1**) محمود كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار المدن و الجيوش و أكابر الناس**، المصدر السابق، ، ص178.

(**2**) عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، **المسمى ، ديوان المبتدأ و الخبر ج6**، المصدر السابق، ص ص،266-267.

(**3**) حورية توفيق مجاهد، " تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد والوسائل" **،مجلة قراءات افريقية**، العدد السادس، سبتمبر،2010م،ص ص، 17-18.

وقد اشتهرت تمبكتو بالأمرين معا، حيث قال المؤرخ الغربي في هذا الشأنBasil Davidson: إن تمبكتو وجنى وولاته وغاو كانت في السودان تمثل ميلانو ونورمبرج بالعصور الوسطى" والازدهار هذه الحواضر العلمية والمراكز الثقافية والتجارية دلالة على ما كان يحمله التاجر المسلم.[1] فكان التاجر يمزج بين التجارة وتعليم القرآن فكان على صلة مباشرة بينه وبين كثير من الأهالي وهذا الاحتكاك أدى للكثير من سكان للدخول في الإسلام، فسلوك التجار وسمو أخلاقهم وبعده عن شرب الخمر وعدم ارتكاب المعاصي وحفاظهم على صلواتهم وحسن معاملة الأفارقة هذه الصفات الحميدة استمالت قلوب إليهم وفرضوا من خلالها احترامهم وثقة أهالي المنطقة فيهم مما دفع الكثير منهم لدخول في الإسلام والتاجر سوءا كان من العرب أو البول أم الماندنجو يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته وإذا ما دخل هذا الرجل قرية وثنية، فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئهن وانتظام أوقات صلاته وعبادته، هذا ما جعل الإسلام ينتشر في غرب إفريقيا، مما يؤكد الدور الكبير الذي قام به التجار في سبيل خدمة الرسالة النبيلة وهي نشر الدين الحنيف.[2]

2- دور اللغة العربية في انتشار الإسلام في غرب القارة :

للغة العربية أهمية كبيرة في غرب إفريقيا، ولها تاريخ قديم في المنطقة. عبرت الثقافة العربية الصحراء الكبرى من شمال إفريقيا الى غربها. بسب العلاقات التجارية بين إفريقيا وسكان غربها.[3] وكانت هذه التجارة، نقطة انطلاقا للغة العربية وآدابها في غرب إفريقيا، ومن هنا بدا التجار المنطقتين يستخدمون اللغة العربية في البيع والشراء، وبمرور الزمن بعض الكلمات العربية في اللغة المحلية وذلك لكثرة استعمالها وخاصة بعد انتشار الإسلام، ولقد ارتبطت الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط و الغربي، كما في غيرها من مناطق القارة، باللغة العربية لغة القران والعلوم الإسلامية، وسار الإسلام واللغة العربية جنبا إلى جنب مع الجهاد في نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية.[4]

ومنذ فجر التاريخ والقلم العربي وهو القلم المعروف في إفريقيا دون غيرها، وكانت هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم المغرب وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي أي قبل دخول الإسلام إلى القارة الإفريقية. وقد اشتهرت عدة طرق للقوافل، كانت تبدأ من مراكش و تلمسان وتونس و الجزائر وطرابلس متجهة نحو الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز التجارية الرئيسية في غرب إفريقيا ، مثل غانا القديمة، وتمبكتو ومارات الهوسا وكانم برنو وغيرها.[5]

---

(1) احمد شلبي ، المرجع السابق، صن193.

(2) محمد عوض الله الأمين، **العلاقات بين المغرب الأقصى و السودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي**، المرجع السابق ، ص،181.

(3)عبد الرحيم عيسى الأول **الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب إفريقيا**، مطبعة فاتا برم، ط1، لاغوس، نيجيريا، 1999م، ص،175

(4) نفسه، ص، 176.

(5)علي إبراهيم طرخان، " الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي و الأوسط" ، المرجع السابق ، ،ص،8.

ونستطيع القول أن هذه العلاقات التجارية بين العرب وغربي إفريقيا التي بدأت في القرن السابع الميلادي وازدهرت بعد القرن الحادي عشر، فكانت للغة العربية الأولوية في هذه العلاقة، فالتجارة بطبيعة الحال تلزمها لغة يتخاطب بها التجار في مبادلاتهم التجارية. وبما أن اللغة العربية كانت أرقى اللغات المحلية، فمن الطبيعي تكون اللغة المستعملة في ذلك الزمن. ومن الطبيعي أيضا أن يلتقطها التجار الأهالي من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم، وهذه العلاقة التجارية إذن هي التي وضعت الحجر الأساسي للعربية في إفريقيا. وبدا التجار يدخلون كلمات وتعابير عربية في تلك المناطق.

فانتشرت الكلمات العربية تدريجيا حتى توغلت في ربوع القارة الإفريقية، واندمج بعضها في اللغات المحلية. وخاصة بعد انتشار الإسلام. ومما يؤكد هذا وجود كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الإفريقية مثل لغتي الهوسا والفولاني وخاصة أسماء البضائع التي كانت تصدر إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة[1]

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها فضلا عن الجانب الديني المرتبط بها ، أن الكثير من الشعوب الإفريقية من السودان الأوسط والغربي قد ادعت الأصول الشرقية ومن بينهم ملوك مالي و التكرور وسنغاي و وبرنو والهوسة والفولان وغيرهم، أنهم انحدروا أصلا عن العرب عربي، وان أسلافهم الأوائل جاءوا من الشرق، ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في إفريقيا الغربية هجرة القبائل إلى تلك المناطق والاستقرار فيها ، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام المنطقة مما زاد انتشارها مصاهرة العرب والبربر مع القبائل الإفريقية ، وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد ، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها.[2]

وللغة العربية انتشارا واسع في إفريقيا، وتعتبر أم لعدد كبير من الشعوب الإفريقية كما هي لغة اتصال بين العديد من القبائل الإفريقية التي لازالت تحتفظ بلغتها الخاصة فهي لغة تواصل الأساسية بين قبائل الإفريقية في جنوب السودان و كنيا ويوغندا توجد لغة تعرف ب عربي جوبا والتي مفرداتها عربية غير أن طريقة استعملها لا تلتزم قواعد اللغة العربية، فضلا عن التحريف في النطق واستخدام المفردات.[3]

وقد عبر المؤرخ الانجليزي توماس ارلوند عن انتشار اللغة العربية في إفريقيا(أن اللغة العربية وهي لغة الديانة الإسلامية قد بلغت يفوق جدا يفوق كل الوصف)، فقد أضحت لغة التخاطب في عدد من أقطار القارة.[4] ويعبر المؤرخ الغربي ديشان عن تطور وانتشار اللغة العربية بقوله:" ولم تكتف قبائل الممالك الإفريقية بدخول الإسلام، بل طبعت بطابع عربي بسب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد.[5]

---

(1) احمد العراقي السر سيد، " انتشار اللغة العربية في بلاد افريقية عبر التاريخ" **مجلة دراسات افريقية**، العدد الأول، ابريل،1985م،ص،102.

(**2**) Fage,J, **An Altas of african history,Cambridge,** london,1958,p,52.

(3) محمد علي رجب، **انتشار الاسلام** ، المرجع السابق،130.

(4)توماس ارنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، دار مكتبة النهضة المصرية،1970، ص،11.

(5)هوبير ديشان، **الديانات في إفريقيا السوداء**، ترجمة احمد الصادق، ومراجعة محمد الله دراز، المركز القومي لترجمة والنشر القاهرة، السلسلة رقم 1769، 2011م،ص، 132.

ولقد اخذ الأفارقة مسؤولية نشر اللغة العربية، وتدريسها، وتلقين معارفها، فلم يعتبروا يوما أنها غريبة عنهم وان نشرها من اختصاص العرب وحدهم دون غيره ولهذا انتشرت أين لا يتواجد العرب في مساحات شاسعة من القارة الإفريقية.

وما يؤكد قوة حضور اللغة العربية في إفريقيا أن لها وقعا واضحا في لغات تتحدثا شعوب لا يشكل المسلمون منها إلا نسبة ضئيلة فعلى سبيل المثال نجد المسلمين اليوم في جزيرة مدغشقر لا يمثلون إلا نسبة 7.6% أن الشواهد تؤكد قوة اللغة العربية في الملغاشية وفي المصطلحات التجارية، وغيرها من المبادلات الأخرى.[1]

أما صلة اللغة العربية بلغات الفولاني والهوسا والسواحيلية، وغيرها من اللغات المحلية الإفريقية، فهي صلات وثيقة جدا، فالسواحيلية استعارات مجموعة من المفردات العربية بحوالي 75% وفي مجال الدين فان 90% من المصطلحات مشتقة من اللغة العربية، وسنحاول توضيح تأثير اللغة العربية في لغة الهوسا، وهو ما يهمنا في الدراسة.[2] لا يتم الاتصال بين الشعوب إلا بتواصل، ولا يتم التواصل إلا عبر اللغة، لذلك نجد أن ضرورة التواصل تقضي تعلم احد الشعبيين لغة الأخر، وعند الحاجة القصوى تنشا لغة هجين أساسها اللغة الأقوى, إما من حيث المتحدثين بها او من حيث نفوذهم السياسي والاقتصادي، وتتغذى بكمية من ألفاظ و عبارات اللغة أو اللغات الأضعف، وفي كل الأحوال نجد أن اللغة أهم عنصر في عمليتي الاتصال و التواصل.[3]

ظل الحرف العربي هو الأساس الذي تكتب به معظم اللغات الإفريقية السواحيلية والفولانية و الهوسا ،حيث ظلت حتى عهد قريب تكتب بالحرف العربي، و هناك مخطوطات عديدة مكتوبة بهذه اللغات محفوظة في عدد من خزائن الكتب في البلاد الإفريقية[4] ، حيث تعتبر مخطوطات جامعة إبادان من أقدم مجموعات المخطوطات الإسلامية في نيجيريا ،إذ يرجع تاريخها إلى عام 1945م. وتأتي معظم محتوياتها من سوكوتو و الإمارات المحيطة بها و التي تحمل مؤلفات زعماء هذه الخلافة.

كما يوجد عدد من المخطوطات والتي جمعت من الإمارات الأخرى مثل إمارة اليوروبا والتي عادة ما تكتب بالحروف العربية وهي بالتأكيد مجموعة قيمة تغطي عددا متنوعا من الموضوعات حول الإسلام والتاريخ والطب وعلم الاجتماع والعقيدة والفقه والتعليم... وعلى سبيل المثال مخطوط للمؤلف عثمان بن محمد فوديو (تمييز المسلمين من الكافرين المحفوظ تحت رقم **82/528** ومخطوط للمؤلف عبد الله بن محمد فودي بن عثمان(اللؤلؤ المصون في صدف قواعد العيون محفوظ تحت رقم **82/11**).[5]

---

(1) المبروك الهادي الدالي، **التاريخ السياسي**، المرجع السابق ، ص،169.

(2) عبد الرحمان احمد عثمان، **المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية**، دار العالمية للطبع و النشر، الخرطوم ، السودان، 2001م،ص،50.

(3) علي بوترعة، " الوجود الحضاري العربي الإسلامي في غرب إفريقي، **مجلة كان التاريخية**، السنة السادسة، العدد التاسع عشر، مارس،2013م، ص،65.

(4)علي محمد رجب، **انتشار الاسلام** ، المرجع السابق، ص،131.

(5) محمد بابا يونس **فهرس مخطوطات مكتب جامعة إبيادان نيجيريا**، المرجع السابق، 3-5

لقد رأينا في حالة شرق إفريقيا أن الاتصال بين اللغة العربية واللغة البانتوية والتي تطورت عنها اللغة السواحيلية كان اتصال مباشر جرى متحدثي اللغتين ، بل إننا نرى أن العرب هم اللذين تحدثوا اللغة البانتوية أولا وأتقنوا ألفاظها و مفاهيمها من العربية ، على العكس من ذلك الاتصال بين الهوسة و العربية كان في أغلب حالاته الاتصال الغير مباشر أي عن طريق التقاليد الأدبية أهمها : البربرية والكانورية.[1]

تعتبر لغة شعوب الهوسا من أكبر اللغات الإفريقية وأكثرها انتشارا بعد اللغة العربية، فهي منتشرة في نطاق واسع من غرب إفريقيا حيث تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى جمهورية السودان شرقا وإلى الحدود الجماهيرية العظمى(ليبيا) والجزائر شمالا و تظم جمهورية تشاد و النيجر و الطوغو والكاميرون و غانا... و نتيجة لانتشارها الواسع صارت لغة التفاهم هذه المناطق إضافة لذلك أن شعب الهوسة على درجة كبيرة من الرقي الحضاري و أكثرهم يقطنون المدن، فكانوا في أمس الحاجة إلى استعارة أكثر الكلمات التي تعبر عن الحضارة و العمران.[2]

صحيح أن المصادر التاريخية قد أشارت إلى وجود العرب في مدينتي كانو وكاسينينا في شمال نيجيريا منذ القرن الخامس عشر ميلادي في شكل أفرادا ومجموعات، وأن العرب قد استقروا حول بحيرة تشاد (في نيجيريا وتشاد والكاميرون). منذ أمد بعيد إلا أن هؤلاء العرب لم يكونوا يوما من الأيام مؤثرين على الأوضاع اللغوية الاجتماعية في أماكن استقرارهم بل كانوا بحكم أنهم أقلية يتكلمون اللغات السائدة في تلك المناطق ويتواصلون بها.

وفي حقيقة الأمر أن تاريخ اللغة العربية في بلد الهوسة مرتبطا ارتباطا وثيقا بانتشار الإسلام و الهوسة أنفسهم ،ينظرون إلى اللغة العربية و الدين الإسلامي بوصفهما عملة ذات وجهين، فأربعة قرون من الاتصال بين اللغتين عن طريق الإسلام و الأدب و التجارة و بعض مناحي الحياة الأخرى تكفي للسماح للغة الهوسة باستيعاب كمية من الألفاظ و العبارات من كلا المصدرين الشفوي و التحريري ، اذ تضمنت قائمة الباحث اللغوي الأمريكي "جوزيف غرينبيرج" (**1947م**) حوالي460 كلمة عربية مقترضة من الهوسا.[3]

ومن نقاط التلاقي بين اللغتين العربية والهوسا في التأنيث والتذكير، ففي لغة الهوسا كل الأسماء مؤنثة تكون نهايتها بالفتحة الممدودة ومثال ذلك كلمة سندا (عصا) و كجير (مقعد) ، فهذه الفتحة جزء من علامة التأنيث مشتركة في اللغتين وصورتها الكاملة تتشكل من عنصرين صوتين وهما الفتحة والتاء معا، وقد استبعدت التاء بقصد التحقيق، وأبقيت الفتحة لتقوم مقامها، وتلعب اللغة العربية دورا كبيرا في قافية شعر الهوسا ، وكان الشاعر الهوسي يلجأ إليها ليثري بها شعره من حيث المعاني و الصور البيانية، و تمده بالنفس الطويل في نظم القصائد.[4] ومما تقدم يتضح أن للغة العربية اثر بارز في اللغة

(**1**)علي بوترعة، المرجع السابق ،ص،65.

(**2**)عبد الفتاح محمد الغنيمي ، "اثر اللغة العربية في الشعب الفولاني والهوسا"، **مجلة الفيصل**، العدد ،98، السنة السادسة، ديسمبر،1982م، ص،79.

(**3**) محمد بلو بن فودي، **اتفاق الميسور** ، المصدر السابق، ص ص ،54-56.

(**4**) محمد علي رجب ، **الموسوعة الإفريقية**، المجلد الثالث ،المرجع السابق، ص،45.

الهوسا سواء كان في النثر أو الشعر و هذا من خلال مواقع الكلمات و العبارات المقترضة من اللغة العربية.

ويرتبط العهد الزاهر في اللغة العربية والعلوم الإسلامية في غرب إفريقيا بعهود الإمبراطوريات والمماليك الكبرى التي نشأت بالمنطقة مثل غانا ومالي وبرنو و غيرها من الممالك التي استخدمت اللغة العربية كلغة رسمية في شتى الأغراض و المجالات من إدارة وقضاء وحكم، ثم لغة المكاتبات الرسمية بين هذه المماليك وبين العالم الإسلامي الخارجي ، ووجد في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربية لمخاطبة ملوك تلك البلاد من تصدير المكاتبات بها.[1]

يتضح عن هذا العرض السريع أن اللغة العربية كانت اللغة الدولية في العصور الوسطى في جميع البلاد الإسلامية واستمرت حتى قيام الخلافة السوكونية التي أسسها الشيخ عثمان فوديو في بداية القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين ،فكانت اللغة العربية لغة الدين والثقافة والتجارة وحتى المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات.[2]

3ـ دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا :

نشأت الصوفية والتصوف خلال عهود متقدمة في تاريخ الإسلام ولا شك أن هدف الصوفيين منذ البداية كان يتمثل في التعبد و الورع والتنزه عن حطام الدنيا كما يقول الصوفيون، وبهذه الصورة استطاعوا إن يلحقوا و يدرجوا الحركة الصوفية ضمن مفاهيم الإسلام ، و قد التصقت بالحركة الصوفية أثناء العهدين العباسي والعثماني بصورة خاصة كثيرا من البدع و الخرافات مما جعل بعض المصلحين و في مقدمتهم الإمام عبد الحميد بن باديس بالجزائر والإمام محمد بن عبد الوهاب بالجزيرة العربية إلى اعتبار الأفعال و الأقوال التي يقوم بها بعض الصوفيين يتبنونها خارج نطاق الإسلام.[3]

و يذهب المؤرخون إلى أن انتشار الحركات الصوفية وأخذ الناس بها يعود سببه الأساسي إلى الخلل الذي حصل في جسم الدولة الإسلامية أثناء فترات ضعفها مما جعل الناس في كل ناحية بالأقوال وسلوك من يتصلون به من علماء المتعبدين في مناطقهم و ذلك كي تستقيل أمورهم من الناحية الدينية والأخلاقية، وقد يتجاوز الأمر ليصل إلى المجال السياسي.[4]

وقد كانت الطرق الصوفية واسعة الانتشار في المغرب العربي ومصر وفيما سواها من البلاد الإسلامية، وكانت أكثر تطورا في البلاد التي يوجد فيها الفراغ الروحي والفكري، فمن الطبيعي انا تزدهر الطرق الصوفية في إفريقيا حيث بساطة الحياة وفراغ الوقت، وحيث أفاقت القارة من الوثنية وعبادة الأنهار والأشجار والأشخاص ومالت إلى ما يملأ فراغها الروحي فوجد الناس في التجمع حول الشيخ والانضمام إلى حلقات الذكر ما يشبع هذا الظمأ ويسد الحاجة

---

(1) علي إبراهيم طرخان،، " الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي و الأوسط" ، المرجع السابق،38,

(2)ا حمد العراقي السر سيد، المرجع سابق، ص،103 .

(3) عبد القادر زبادية، **دراسة عن إفريقيا جنوبا الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين** ،ديوان المطبوعات الجامعية،2010من ص،224.

(4) عبد القادر زبادية، **دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء** المرجع السابق،224.

ولا طالما جذبت الطرق الصوفية إلى الإسلام جموعا إفريقية، فقد كان الشيخ و مريدوه ينزلون عن القبيلة، و يقيمون بها حلقات الذكر و ينشدون الأناشيد و التراتيل الدينية.[1]

وفي افريقيا جنوب الصحراء كان للطرق الصوفية دورها الكبير لدرجة أن جميع الأفراد كانوا لا يزولون يربطون إسلامهم بالانتساب إلى إحدى الطرق الصوفية، وسبب ذلك أن الإسلام قد وصل إلى إفريقيا جنوب الصحراء بواسطة رجال الصوفية، ومن هنا أصبح من العادة إن يكون الفرد الإفريقي إلى الجنوب من الصحراء فقط مسلما قادريا أو تيجانيا أو مسلما سنوسيا، ولكن من غير العادة في الغالب أن يكون مسلما غير منتسب لإحدى الطرق المعروفة أو الطرق الصغيرة المتفرعة عنها.

و يجد المتتبع لما كتبه العلماء الأفارقة بالذات من تراجم لفقهائهم و لرجالات العلم لديهم ضروبا من الإيمان بخوارق العادات لدى هؤلاء العلماء و بالإيمان و التجليات، التي يلصقونها بأولئك الفقهاء والعلماء بحيث يصبح لكل واحد منهم صفته ونصيبه الخاص به من المعجزات، التي تؤهله إلى إيمان الناس بعمله ويكون من أولياء الله الصالحين[2] ، ومن يتتبع الطرق الصوفية يقف بنفسه على مواقف مشرفة لرجالاتها، الذين في أغلب الأحيان ضحوا بالنفس والنفيس لبلوغ الهدف الأسمى روحيا و أخلاقيا و ثقافيا، ومن رجال التصوف الحقيقيين من رمى ورائه وتخلى عن ملاذ الحياة و ترفها وكرس حياته من أجل الثقافة والعلم و نشرهما بين أقوام لا علاقة له بهم سوى لكونهم أناسا مثلهم لهم الحق في المعرفة ، شأنهم شأن الناس الآخرين، وفي الأصقاع و البقاع النائية في إفريقيا السوداء نجد كثيرا من هذه الأمثلة.[3]

وفي هذا المجال لا نستطيع أن نتجاهل الدور الذي قامت به الطرق الصوفية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا صفة عامة وبلاد الهوسا بصفة خاصة، وأهم الطرق التي ساهمت بدور ملموس هي كل من الطريقة القادرية والطريقة التيجانية والطريقة السنوسية.

يرتبط معظم السودانيين في غرب إفريقيا برجال الدين بواسطة إحدى الطريقتين القادرية و التيجانية، ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين، ولاسيما التيجانية في أثناء القرن التاسع عشر الميلادي ولا يمكن تفهم انتشار الدعوة الإسلامية على حقيقتها تماما، كذلك المنافسة الداخلية ضمن المجموعة الإسلامية دون النظر إلى ارتباط الزعماء المسلمين بإحدى الطرق الدينية، لان النفوذ السياسي لإحداهما كان يرتبط إلى حد كبير بمدى الزعامة الدينية التي يتمتعون بها.[4]

1- القادرية :

تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني الذي ولد بمدينة جيلان وهي تقع إلى الجنوب من بحر قزوين (471هـ /1078م).[5] ثم انتقل إلى بغداد سنة **488**هـ وله من

(1) احمد شلبي، المرجع السابق،ص،209.
(2) عبد القادر زبادية ،**دراسات عن إفريقيا**، المرجع السابق، ص،225.
(3) عمار هلال، المرجع السابق،ص،96.
(4) الهام محمد علي الذهبي، **جهاد المالك الإسلامية غي غرب إفريقيا**... المرجع السابق، ص،30.
(5)عبد القادر بن أبي صالح سيدي الجيلاني، **الفتح الرباني والفيض الرحماني** ،المكتبة العصرية، بيروت،2004،ص،11

العمر 18سنة وهي نفس السنة التي تخرج فيها أبو حامد الغزالي إذ تتلمذ الشيخ الجيلاني على يد كبار الشيوخ و اتصل بعلماء الفقه و لتصوف و برز في أساليب الوعظ و تفقه وسمع الحديث و قرأ الأدب ،كان الشيخ عبد القادر كريم الخلق جليل القدر ، متواضعا للفقراء، مهيبا لدى الحكام لم يلم قطا لباب وزير ولا سلطان و كان على الهمة شيخا مؤثر الغيرة رحيما رحب الصدر، و قد اتفق المؤرخون على كثرة كرماته، يقول العز بن عبد السلام:"انه لم تتواتر كرامات أحد م المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كرامته نقلت بالتواتر".[1]

ومات الجيلاني عام 1166م ودفن ببغداد وقد انتشرت طريقته في السودان الأوسط وزحفت إلى بلاد الهوسا وأصبحت أكثر معتنقيها من الفولانيين وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن فودي.

دخلت الطريقة القادرية إلى إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر على أيدي مهاجرين كانوا قد اتخذوا من توات مركز لهم، ثم امتدت إلى تمبكت، ولم يمض زمن طويل حتى أعجب سكان إفريقيا الغربية بالدعاة القادرين والفقهاء الذين كانوا يبنون المدارس، ويشرفون عليها، وكان نشاطهم يعتمد على الإرشاد والنصح والتمسك بالفضيلة و البعد عن الرذيلة.[2]

وما أن جاء القرن التاسع عشر حتى كانت السيطرة الروحية والفكرية للجماعات القادرية في أكثر نواحي إفريقيا الغربية، مما ساعد على تحول جماعات كثيرة إلى الدين الإسلامي ومن أشهر قادة القادرية في إفريقيا سيدي أحمد البكاي الذي عاش في القرن الخامس عشر ميلادي وعمل على نشر الدعوة في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى وتعرف طريقته بالطريقة البكائية.

و قد ازدهرت في إفريقيا، ومنهم محمد عبد الكريم التلمساني الذي اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء من بلاد الهوسا و الشيخ السيد التأرازي الذي عمل على نشر القادرية في غامبيا و غينيا و ساحر الذهب، وتعتبر الطريقة القادرية من الطرق الرئيسية في دولة سوكوتو.[3]

2. التيجانية :

تنتسب الطريقة التيجانية إلى الشيخ أحمد بن محمد المختار بن سليم التيجاني، وهو فقيه جزائري ولد بعين ماضي الواقعة على مقربة مدينة الأغواط في الوسط الغربي من مدينة الجزائر وتنتسب عائلته إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ، حيث درس احمد التيجاني في البداية في مدينة عين ماضي فتلقى ما تيسر له من المبادئ في العلوم وخاصة منها اللغوية والفقهية و حفظ القرآن و في عام **1753**م[4] انتقل إلى مدينة فاس التي كانت عاصمة شهيرة بالعلم والثقافة في ذلك الزمن وواصل دراسته فيها لعدد من السنين، ذهب بعدها إلى مدينة البيض غرب الجزائر حاليا التي كان بها عددا من الأئمة والوعاظ، فمكث بها خمس سنوات ، وبعدها انتقل إلى مدينة تلمسان التي كانت في ذلك الوقت تنافس مدينة فأس في العلم والثقافة.

---

(1) محمد علي رجب، **الموسوعة الافريقية المجلد الثالث** ، المرجع السابق،ص،203.
(2) نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، الجزائر،ط2،1974،ص،89.
(3) علي حسين الشطشاط، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار قباء للطباعة، القاهرة،2001م،ص،204.
(4) عبد القادر زبادية، **دراسات**.... المرجع السابق، ص،233.

وفي عام **1773**م.

أخذ طريقه لزيارة مكة المكرمة و المدينة المنورة فاستغرقت هذه الزيارة بضعا من السنين و من مكة عاد إلى القاهرة إذ انضم إلى الطريقة الخلواتية التي تنتسب إلى كريم الدين الخلواتي المصري ولكن التيجاني سرعان ما اتخذ لنفسه اتجاها جديدا ضمن الطريقة الخلواتية ، مما جعل بعض الباحثين يرى أن الطريقة التيجانية فرع من الخلواتية ، ثم اتخذ التيجاني مدينة فاس مقرا له ينشر منه طرقته التيجانية، ومن هنا رأت طريقته انتشارا كبيرا و أصبح لها ممثلون في كل البلاد الإسلامية تقريبا، توفي احمد التيجاني عام **1818**م.[1]

وبعدها انتقلت الوصاية إلى ولديه محمد الكبير و محمد الصغير، و قد سلكت الطريقة التجانية نفس الطريق الذي سلكته مثليتها الطريقة القادرية التي سبقتها في الظهور ،واتخذت من الجسر الذي أقامته هذه الأخيرة من العالم الإسلامي و غرب إفريقيا معبرا من المنطقتين و قد نظر إليها الناس بعين ملأها الرضا خلال القرن الثامن عشر و ذلك لأنها خلافا لبعض الطرق الصوفية الأخرى ،امتازت التجانية بتعاليمها البسيطة و مذهبه الواضح الذي كان قريبا جدا من تفكير الشعب السائد آنذاك في جميع العالم الإسلامي[2]

وظهرت الطريقة التيجانية في السودان الغربي على يد الحاج عمر الفوتي الذي كان أبوه من المرابطين وقامت على أساليب القادرية في الدعوة، وساعدت كثرة المدارس التيجانية على نشر تعاليمها و مبادئها التي كانت متأثرة بتعاليم القادرية و المرابطين في سنة 1841م بلغ الحاج عمار(جبال الفولطا جنوب) و بدأت سلسلة من الحملات لنشر تعاليم التجانية بين القبائل التي لا تزال على الوثنية و التي كانت تقيم حول النيجر الأعلى و السنغال و بظهور حركة الحاج عمر بلغت التجانية أقصى انتشارها في غرب إفريقيا السوداء و ذلك باستثناء بعض المناطق التي بقيت بعيدة عن تأثيرات حركته مثل شمال السنغال و موريتانيا التي اتخذت القادرية معقل لها.

ولقد كان للتجانية أكثر من دور خاصة في غرب إفريقيا السوداء حيث لم يقتصر دورها على الجانبين الديني والاجتماعي بل تعدى ذلك ليشمل ميادين عدة منها الميداني والسياسي الذي ساهمت فيه بظهور عددا من الدويلات والإمارات التي اشتدت أساسا على تعاليمها ومبادئها. اما الدور الذي لعبته في غرب إفريقيا السوداء فقد اختلف تماما عن الدور الذي قامت به في الجزائر في نفس الفترة تدهورت أوضاعها من جميع النواحي بينما ازدهرت أوضاعها في السودان الغربي و ظهرت بمظهر القوة و التأثير في جميع أوساطها الإفريقية ،و إذا كان دورها السياسي في الجزائر يكاد لا يذكر ففي غرب إفريقيا السوداء لعبت دورا مهما لا يستهان به و ما يدل على ذلك قيام عدة دول افريقية محلية تبنى زعمائها الطريقة التجانية[3]

(**1**)Trimingham, j, S, op, cit, pp,31-34.

(**2**)عمار هلال ،المرجع، السابق، ص ص122-123.

(**3**) احمد شلبي ، المرجع، السابق، ص،219.

3. السنوسية :

نسبت الطريقة السنوسية إلى مؤسسها الفقيه محمد على ابن السنوسي الخطاب الإدريسي، ولد عام **1798**م في بلدة مستغانم بالجزائر وتلقى بها مبادئ دراسته ثم رحل بها إلى فاس حيث التحق بجامعة القيروان و رحل بعد ذلك إلى الأزهر فتعلم وعلم بها ثم سافر إلى الحجاز حيث التقى بكبار المشايخ و استفاد من علمهم و أعجب بالكثير منهم[1] و أدرك حاجة الدعوى الإسلامية من الإصلاح فراح يعمل بحزم و إصرار، فوضع مبادئ السنوسية، و يتضح من قراءة المبادئ التي قامت عليها الطريقة السنوسية أن الحدود السياسية للعالم الإسلامي حدودا وهمية وأن الحركة الإصلاحية ينبغي أن تقوم للعالم الإسلامي و تتخطى حدوده و تتجه إلى محاربة الانحراف والبدع. ومما يلاحظ أن الحركة السنوسية تأثرت بالحركة الوهابية وبتعاليمها واستطاع صاحبها أن يكيف هذه التعاليم ويجعلها تتماشى مع الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية للمناطق التي انتشرت فيها السنوسية في غرب إفريقيا. وكانت الطريقة السنوسية من مركزها الجغبوب ترسل المئات من الدعاة في كل العالم وفي إفريقيا الشمالية وفي شتى أرجاء السودان والصومال.

وكان السنوسيون يقومون بشراء العبيد يعلمونهم في مركزهم و إذا ما رأوا أنهم تعلموا مبادئ الفرقة تعليما كافيا اعتقوهم و أعادوهم إلى أوطانهم ليدخلوا إخوانهم في الإسلام.[2] ولقد كان للجهود الصادقة التي بذلتها الطرق الصوفية لنشر الإسلام بالتعليم و الدعوة الخالصة أكبر الأثر في تحويل و إدخال الأفارقة من الوثنية إلى الإسلام و تثبيته في نفوسهم ويقول بعض المؤخرين أنه لم تكن الطرق الصوفية العامل الأوحد في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ولكن سرعان ما كان الالتحاق في إحدى الطرق الصوفية مرادا لاعتناق الإسلام. وأصبح كل مسلم يتبع طريقة ،والشيء الأكيد أن الانتشار الأوسع لهذه الطرق سواء في شمال القارة أو غربها أو في جنوبها قادريا، تيجانيا،سنوسيا كلها جذبت للرجل الإفريقي وملأت الفراغ الروحي والفكري عنده و احتلت مكانة مرموقة في نفوس الأفارقة.[3]

ـ دور الدعاة والفقهاء في نشر الإسلام في غرب إفريقيا:

إن الاهتمام الأول للدعاة كان منصبا على الدعوة للدين الحنيف، حيث قاموا بتثقيف وتعليم الناس بأمور دينهم ودنياهم، وشرح ما يستوجب شرحه لهم، وأنشأ بعضهم المدارس والمساجد، وكثيرا ما كانوا يختارون الطلاب المميزين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة في المشرق والمغرب ليتتلمذوا وينهلوا العلم على أيدي كبار علماء مكة الأزهر والقيروان والزيتونة وطرابلس وفاس ومكناس وتلمسان، وغيرها. من المراكز الشهيرة، ويعودوا قادة للفكر في يحملون راية نشر الإسلام والثقافة الإسلامية.[4] ومن أهم الدعاة و الفقهاء الذين كان لهم الدور في نشر الإسلام في غربا إفريقيا احمد بابا التمبكتي.

(**1**) عمار هلال، المرجع، السابق، ص ص،132-133.
(2) توماس أرنولد ، المصدر السابق ،ص.ص 372.371
(3) عبد الله الأروي آدم ،**الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان ابن الفولاني** ،ط2 ،1971م،ص ص،40-41.
(**4**) مخزوم عطية ،**دراسات في تاريخ شرق إفريقيا**، المرجع السابق، ص،105.

كان للعواصم والمراكز العلمية التي ذاع ضاع صيتها في غرب إفريقيا مثل تمبكتو وجني، واغدشت وكنو وكتشا، الفضل الكبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة. ووصلت ذروة ازدهارها خلال القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وذلك في عهد إمبراطورية سنغي الإسلامية، التي اشتهرت بكرة علمائها ومؤلفاتهم العلمية، والتي أسهمت بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية في غرب القارة وخارجها، وقد خلفت مدينة تمبكتو العاصمة الثقافية لإمبراطورية سنغي العديد من الفقهاء و العلماء الذين تركوا مؤلفات ضخمة في جميع التخصصات و المجالات، الدينية واللغوية و التاريخية.[1]

ـ احمد بابا التمبكتي (1556م/1627م):

نشا احمد بابا التمبكتي في عائلة عرفت بالعلم والثقافة، وهي عائلة أقيت ، التي يعود أصلها إلى قبيلة والانا في ناحية الغرب، ثم انتقلت إلى تمبكتو، واستقرت بها وهنالك ولد عالمنا الجليل ، واخذ دروسه الأولى عن أبيه وعمه، حيث كان كل منها عالما مثقفا، ثم انتقل إلى الأخذ عن علماء تمبكتو الكثيرين في ذلك الوقت، وعرف عنه أثناء فترة دراسته الذكاء الحاد و كذلك المداومة و الاجتهاد، وقد ظل يتلقى العلم ويلازم حلقات الدروس في مختلف المواد حتى بلغ سن الثلاثين أين اتجه لتدريس و التأليف بعد ذلك، وقد ألف العديد من الكتب في ميادين النحو والفقه و التراجم على الخصوص.[2]

ويعتبر احمد بابا من أشهر علماء مدينة تمبكتوxbh في القرن السادس عشر، إذ لم يحظ عالم بمثل سعة علمه وشهرتهن كان عالما موسوعيا مؤرخا عالما بأمور الشريعة الإسلامية. وهو من الضالعين في اللغة العربية وآدابها، ويذكر مترجموه انه ألف ما يزيد على أربعين كتابا.[3]، ويذكرنا أستاذنا رحمه الله عبد القادر زبادية انه ألف حوالي خمسين كتابا. وقد درس في دولة سنغي وخارجها.

وذلك في مدينة مراكش المغربية بعدما نفي إليها، وحضر دروسه مئات من طلاب العلم في مراكش وخارجها. ومن أشهر مؤلفاته:(كتاب ن ي ل الابتهاج بتطريز الديباج)، وكتاب ذيل به كتاب ابن فرحون المالكي(الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)، و(كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج) والذي يعتبر مصدر مهما للتراجم و والسير لبعض علماء بلاد السودان الغربي، والكتاب أيضا مصدر لبعض أخبار السودان الغربي وطائفة من أعلامه علاوة على الفوائد العلمية والفقيه و اللغوية و التاريخية التي يذكرها الكاتب على سبيل الاستطراد.[4]

وشهد الشيخ احمد بابا انهيار مملكة سنغي، وألقي عليه القبض مع 169عالما من علماء تنبكتو بحبة أفراد أسرهم، ونهبت كتبهم، وقال احمد بابا انا اقل عائلتي كتبا، وقد نهبت مني ستمائة وألف كتابا. وكان لأحمد بابا أثر ثقافي على المغرب فقد كان يقوم بالإفتاء وبالتدريس وعرض عليه منصب القضاء إلا انه

---

(1) ابراهيم طرخان ، المرجع السابق ص، 19.

(2) احمد بابا التنبكي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ،ج1**، دراسة وتحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب،2000م,،ص،8.

(3) أبي عبد الله لطالب محمد بن ابي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان بلاد التكرور**، تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني، منشورات الية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 1981م،ص،36.

(4) علي يعقوب،" جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية و العربية(غرب إفريقيا أنموذجا)"،**مجلة قراءات**، العدد الثالث، ديسمبر،2008، ص،17.

رفضن وما قام به احمد بابا من أثر يؤكد متانة العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، وان كليهما يؤثر في صاحبه. وإذا كان الشيخ عبد الكريم المغيلي هو المثال الذي نستشهد به في اثر علماء المغرب على السودان، فالشيخ احمد بابا يعتبر المثال الذي نستشهد به بالنسبة لأثر علماء السودان على المغرب، ونحن لا نشك مطلقا على إن اثر المغرب الأقصى الثقافي على السودان الغربي لا يداينه أي اثر أخر. [1]

وقد عمت شهرة السيخ وأصبح معروف في العديد من أقاليم من أقاليم المغرب والسودان فيعبر عن ذلك ويقول:" ..... واشتهر اسمي في البلاد من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها، وقد قال بعض طلبة الجزائر لما قدم علينا مراكش لا نسمع في بلدنا إلا باسمك فقط..... هذا من قلة التحصيل وعدم المعرفة...." ويصف الشيخ كذلك قوة الازدحام في حضور حلقاته، فلم يبق عالم أو قاض إلا وجاء يتلمذ عليه، ويقول: «وازدحم الخلق على واعيان ولازموني بل قرأ على قضاتها كقاضي الجماعة بفاس العلامة ابن القاسم بن أبي النعيم... وهو كبير نيف على ستين.... وكذا قاضي مكناسة.... ومفتي مراكش الرجراجي وغيرهم».[2]

والشيخ احمد بابا التنبكتي من الذين أسهموا في نشر الثقافة العربية الإسلامية ومن الذين ساهموا في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي وكانت له علاقة التأثير والتأثر بين بلاد المغرب وبين بلاد السودان الغربي فتتلمذ على يد كثير من طلاب المغرب الكبير سواء من الجزائر او المغرب او من خارجه وفي الأخير رحمه الله هذا العالم الجليل وجزاه الله على ما ترك لنا من علما تنتفع به الأمة الإسلامية والعربية.

ـ الشيخ عبد الكريم الميغلي الجزائري:

وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، والمغيلي نسبة إلى قبيلة مغيلة التي تقطن قريبة مدينة تلمسان غرب الجزائر العاصمة، وقد عاش الرجل في فترة كانت الحاضرة العلمية تلمسان تتخبط في مشاكل وأحداث واضطرابات سياسية خطيرة داخليا وخارجيا، ولسنا في صدد الحديث عن هذه الأوضاع والصراعات التي كانت قائمة بين الأمراء والسلاطين وبين العرش و السلطة وغيرها من هذه النزاعات في تلك المرحلة.[3]

ولا نعرف تاريخا محددا لمولد الشيخ المغلي لأن الذين ترجموا له لم يشيروا في تراجمهم إلى تاريخ ميلاد، وكذلك في كتاباته لا توجد إشارة إلى تاريخ ولادته ، ومن الأرجح أن يكون ولد في مطلع القرنيين التاسع الهجري و الخامس عشر الميلادي، وذلك استناد إلى تاريخ وفاته.[4] ، وقضى شابه في دراسة مبادئ القران الكريم وحفظه، ثم عكف على دراسة العلوم العربية الإسلامية اللغوية، والدينية والعقلية و

---

(1) الأمين محمد عوض الله، المرجع السابق،ص،194.

(2)نفسه 196.

(3) يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**،دار هومة، للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر،ط1،2001م، ص ص،69-70.

(4) المدوني ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات والنشر، الجزائر،1908،ص صن253-256.

النقلية علي يد كبار المشايخ و العلماء المشهورين في ذلك العصر، وعلى رأسهم الشيخ الإمام عبد الرحمان الثعالبي والذي اخذ عنه علم التصوف، والشيخ يحي بن يدير، وغيرهم من العلماء ، واخذ عنه الكثيرون من جماعة العاقب الأنصمي، ومحمد بن عبد الجبار الفيجيجي، وعمر الشيخ الكنتي، وغيرهم، فأصبح من العلماء الذين يشار إليهم بالبيان[1]، وقد نعته ابن مريم المدوني، والذي عاصر الشيخ المغيلي ، في كتابه البستان بأنه:« خاتمة المحققين الإمام العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الحرن احد كبار أذكياء العالم واحد أفراد العلماء اللذين أولوا بسطة في العلم و التقدم و النسبة في الدين المشهور بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغض أعدائه جرى بين وبين جماعة مشاحنة وأمور....).[2]

لقد كان عصر الشيخ المغيلي بمثابة الفترة الانتقالية اجتماعيا في داخل البلدان المغاربية، ذلك إن اليهود جاءوا بأعداد كبيرة بعد طردهم وإخراج المسلمين من بلاد الأندلس.

كما هو معلوم، وقد استقرت أعداد كبيرة منهم في المدن الساحلية فكانت تلمسان إحدى هذه المدن التي استقر فيها اليهود، وشهد الشيخ ما شهده من تعفن مس كل النواحي السياسية والاجتماعية الذي ساد في فترة الزيانين من خروج سلاطينها عن جادة الدين وانغماسهم في الملذات وانصياعهم لأهواء الأجانب من اليهود، فأنف الشيخ العيش.

في ظل هذا الانحلال قرر الشيخ الهجرة نحو توات التي كانت في هذه الفترة عبارة عن ممالك صحراوية صغيرة، يسيطر على أمورها السياسية كبار التجار والأثرياء.([3]) وذو الجاه و النفوذ الديني و الاقتصادي، فكان الناس يهتمون بالقوافل التجارية الصحراوية التي تغدو وتروح بين موانئ الشمال الساحلية و مدينة تمبكتو في أعماق الصحراء، فوجد كذلك الشيخ اليهود هناك شبه متحكمين في زمام الأمور سواء فيما تعلق بتجارة أو التحكم في السلطة ومن ثم التحكم في رقاب المسلمين، فقرر مواجهة هذه المرة والتقليص من نفوذهم وذلك بتقليص من عدد الكنائس في المنطقة ودخل معهم في صراح مرير إلى درجة انه أمر بان تعطى لكل من يقتل يهوديا سبعة مثاقيل ذهب بعملة ذلك العصر.[4]ومن اغرب الأمور إن الشيخ كشف الغطاء عن يهوديا كان متنكرا في زي إمام مسلم أم المسلمين طيلة أربعين عام، وعندما كشف أمره حاول الفرار ،فلاحقه الشيخ المغيلي وقتله بنفسه، وقد أوردت هذه القصة في دراسة عن واحات توات.

ورغم كل هذه المجهودات التي قام بها عالمنا المغيلي إلا انه وجد انقسام الناس بين مناصر ومخالفا لأعماله وأفكاره ضد اليهود وابرز من أنكر عليه عمله في تمنطيط بالذات قاضيها أبو عبد الله العضوي، وهو ما أدى بالشيخ يكاتب علماء فاس و تلمسان وتونس مستفتيا وراجيا منهم موافاته بآرائهم في هذا الموضوع.[5]

---

(1) محمد بازينة عبد الله سالم، المرجع السابق،ص،189.
(2) عبد القادر زبادية ، **دراسات عن جنوب الصحراء**، المرجع السابق،ص،130.
(3) المدوني بن مريم، المصدر السابق، ص ص،254-256.
(4) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص،74.
(5) المدوني ابن مريم، المصدر السابق، ص، ص250-256.

وبعد هذه الأحداث قرر الشيخ التوجه نحو بلاد السواد الغربي كانت النقطة الأولى بلاد اهير شمال نيجيريا التي شملت مدينة اغاديس وتقيدا وقد أسهمتا في ازدهار الثقافة العربية والإسلامية في منطقة اهير(ايـر) وخارجها إسهاما بارزا وذلك لكثرة علمائها ومؤلفاتهم، وقد بدأت النهضة العملية إلى هذه المنطقة بمجيء الشيخ المغيلي إليها عام 1479م وافتتاحه مدرسة قرآنية للصغار، وأخرى للكبار لتعليم علوم الدين واللغة العربية.

وبقي فيها فترة قبل مواصلة رحلته نحو مدينة كتسينا ومدينة كانو[1] ، وهذه المدينة التي أصبحت منذ القرن التاسع الخامس الميلادي عشر مركز تجاريا كبيرا وملتقى للقوافل المتنقلة بين بلدان المغرب ومصر، ومحطة مقصودة للحجاج وقيل أن عبد الرحمن ابن سقين وهو احد علماء بلاد المغرب وله كذلك مساهمات فكرية وعلمية في بلاد الهوسا وقد وصلها سنة 909هـ ،وهو تاريخ وفاة عالمنا الجليل ولا ربما يكون قد اخذ الأخبار عن هذه المدينة عن المغيلي لأنه وجد عند وصوله إلى مدينة كتسينا وكنو من بلاد الهوسا كانت هذه المدينين على قدر كبير من معرفة الإسلام واللغة العربية، وهذا حسب تقدير والله اعلم.[2]

وقد تتلمذ على يد الشيخ كثيرون في كانو وكنتسينا ومن أشهر طلابه الذين برزوا و أسهموا في نشر الثقافة الإسلامية العربية الشيخ العاقب بن عبد الله الأنسمني الاغدسي، وقد ترجم له الشيخ احمد بابا التنمبكتي في نيل لابتهاج، وقال عنه: انه فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذهن ، وقاد الخاطر مشتغل بالعلم ، في لسانه حدة له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل« وخصصت نية الحالف » ن وقد اختصر الشيخ احمد بابا هذا التعليق وسماه (تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف).[3]

فقد كان لشيخ المغيلي في مدينة كانوا شان عظيم فقام بنصح سلطنها ،وكتب له رسالة في السلطنة يحثه من خلال على أتباع الشرع ولأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلمهم أحكام الشرع وقواعده، وقام الشيخ بدور في حياتها السياسية و الثقافية و الاجتماعية، وبعد إقامة طويلة في بلاد الهوسا انتقل الشيخ المغيلي إلى بلاد التكرور بفولتا العليا شمال السنيغال غرب بلاد غانة القديمة، ثم اتجه صوب مدينة غاو عاصمة مملكة سنغاي والتقى بأميرها الأسقيا محمد الكبير الذي حكم من عام 1493 إلى غاية **1528**من وحج عامي 1499–1500من وعند عودته وجد قواته العسكرية قد ضمت إلى مملكته بلاد الكبي شمال نيجيريا الحالية بين مملكة برنو، ومملكة سنغاي.[4]

وقد أرسل إليه الاسكيا الأول الحاج محمد العديد من الأسئلة الدينية يطلب من الإجابة عليها، فأجابه على أسئلته، في (كتاب المسائل) ويرجع الفضل في تحقيق هذا المخطوط إلى أستاذنا الفاضل رحم هو الله

(1) علي يعقوب، المرجع، السابق،ص،18.

(2) محمد بن شريفة، **مساهمة المغاربة في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر(زيارة عبد الرحمن سقين إلى بلاد الحوس)**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب،1993م، ص،16

(3) احمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ج2، تحقيق، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2004م،ج2،ص،218.

(4) يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص،81.

عبد القادر زبادية تحت عنوان (أسئلة الاسقيا محمد وأجوبة المغيلي)، ومن بين الأسئلة التي طرح الاسكيا محمد الكبير والتي تتعلق بأمور الملك وتسير شؤون البلاد، فأجابه الشيخ الميغلي عن ذلك فقال:« .... إنما أنت مملوك لا تملك شيئا،وقد رفعك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم،لا لتكون سيدهم ومولاهم، وأنت في جميع مملكتك راع لا مالك..).[1]

ويتضح لكل دارسا لمحتويات هذه الأسئلة أن يلاحظ مدى تمسك الاسكيا محمد ملك سنغاي، وحرصه على استمرار في سيره على منهاج الحكم الإسلامي الواضح، فإجابة الإمام المغيلي ، إجابة تتسم بالشجاعة، وكلمة الحق، وما يتعلق بجهاد الكفار و أنصارهم من العلماء و العوام، وبيان الفرق بين علماء السوء ، وحكم قتال المسلمين الذين لم يدخلوا تحت بيعة احد من الأمراء، وحكم قتال المحاربين من المسلمين ظلما وعدوانا، وبيان ما يجب على أمراء الإسلام من إقامة شعائر الدين و تعاليمه ، وإصلاح البلاد ومحاربة الفساد، وان الملك لله تعالى وحده، وان رفعته ما هي إلا مرتبة من الله أعطها إياه، لكي يصلح بها أمر راعيته.[2]

خلف الإمام المغيلي وراءه تلاميذ كثيرون يعدون بالآلاف في غرب إفريقيا ما يزالون حتى اليوم يدينون له بالولاء الفكري والأدبي ويعترفون بفضله على مجتمعاتهم السودانية الإسلامية وكتب كثيرون عنه وعن سيرته الشخصية والاجتماعية والثقافية مثل أحمد بابا التمبكتي، وابن مريم المليتي، وبروكلمان، وغيرهم وعدوه من كبار المصلحين ببلاد السودان الغربي خلال القرنين التاسع الهجري والخامس عشر ميلادي، ومع ذلك فإن جوانب كثيرة من حياة المغيلي ما تزال مجهولة وتحتاج إلى بحث وتدقيق وتمحيص.

وترك المغيلي من ورائه انتاجا فكريا غزيرا في ميدان التأليف ما يزال الكثير منه مخطوطا ومحفوظا لدى تلاميذه والمتشيعين له من الأسر الإسلامية في بلاد السودان الغربي ومن ضمن ذلك وحسب ما ورد في البستان لابن مريم:

. البدر المنير في علوم التفسير.

. مصباح الأرواح في أصول الفلاح، يقع في كرسيين اثنين وقد أشاد به الشيخ السنوسي وابن غازي ونشره الأستاذ رابح بونار.

. شرح بيوع الآجال.

. شرح خطبة المختصر.

. تأليف في المنبهات.[3]

وقد كان للمغيلي دور هام في نشر ودعم مفاهيم الإسلام في بلاد الهوس، ورسائله التي وجهه إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كانوا دليلا على ما كان له من بصيرة نافذة وجرأة في مواجهة أي انحراف وباطل والتصدي له بالإصلاح كما كان له مواقف مشرفة في مدينة توات حيث ملتقى التجارة

---

(1) عبد القادر زبادية، **أسئلة الاسقيا محمد وأجوبة المغيلي**،المرجع السابق، ،ص،70.

(2) علي فاي منصور، **اسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاى الإسلامية**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، 1997م ن ط1،ص ص 98-100.

(3) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص،85-86.

والقوافل الصحراوية، ومحاربته لليهود وسلطانهم في توات لدليل قاطع على نصرة الإسلام والتصدي لأعدائه. لقد كان الإمام المغيلي من المحافظين على سلامة العقيدة والمجتمع، وكان له تأثيرا كبيرا حتى في المناطق وصب اهتمامه لمواجهة الحكام وتوجيهم و تطبيعهم بالطابع الإسلامي و درء الكفر والمفاسد، وتوف الإمام المغيلي عن عمر يناهز المائة سنة(909هـ-1505م).[1] بعد أن نشر و دعا للإسلام في بلاد الهوسا وسنغاي ليأتي بعده داعية كبير من الشعب الفولاني وهو الشيخ عثمان دان فوديو الذي أتم حركة نشر الإسلام في هذه البلاد و خاصة نيجيريا و الكاميرون.[2]

ـ هجرة البربر ودورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا:

جاءت هجرات عربية عن طريق مصر وهي قبائل بني هلال ، وبني سليم في أعداد كبيرة فانتشروا في بلاد الصحراء تارة بالحرب وتارة أخرى بالهجرة والإقامة وتصاهروا مع سكان المنطقة الأصلين فاختلطت دمائهم وامتزجت أنسابهم، وعمروا السهول والواحات، وانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم ثم انطلقت منهم هجرات إسلامية لكنها قليلة العدد، اتجهت جنوبا إلى الصحراء الكبرى ومنها إلى حوض السنغال والنيجر وبحيرة تشاد.[3] وإذا كان العرب قد هاجروا إلى البلدان الإفريقية، تركوا أثرهم الكبير في نشر الإسلام ولغته وثقافته وإقامة مملكات إسلامية، فقد كانت لهجرات البربر أيضا اثر عظيم جدا في نشر الإسلام خصوصا في غربها، وكانت غارات الهلاليين سببا في هجرات قبائل كثيرة من البربر الى منطقة الصحراء، ثم توجه نحو الدنو بالى منطقة السنغال والنيجر، ومن هذه القبائل قبيلة هراوة، ولواته ونفزاوة. وكان للطوارق أيضا دور كبير في نشر الإسلام في هده المناطق الصحراوية، وظلت هجراتهم تؤثر في هذه الجهات حتى القرن الثامن عشر الميلادي.[4]

بدا انتشار الإسلام في البربر مبكرا، ونمى وتطور في قبائلهم في الجنوب، تلك القبائل التي بطبعها تميل إلى الهجرة، وتتخذ من الصحراء وأطرافها مرتحلا ومهجرا إلى بلاد السودان تستوطنه وتقوم بنشر الإسلام أينما حلت، ومن أشهر كما سبق ذكره قبيلة صنهاجة ببطونها المختلفة، ويذكر ابن خلدون على وجه التعميم لا التخصيص:« إن الملثمين كانوا في كل نهضة من نهضاتهم يقيمون ملكا واسعا يتجه عادة نحو بلاد السودان وأنهم أقاموا منذ وقت مبكر جسرا عبر الصحراء وصل السودان بالحضارة الإسلامية ».[5]

وهكذا اختلط البربر بالزنوج والعرب في الصحراء الكبرى، وعلى أطراف غربا وجنوبا وامتزجت الدماء والعادات والتقاليد، وارتبطت العلاقات مع بعضها البعض، وتمخض عن دلك الامتزاج شعب

(**1**) سعد مطير غيث، **الثقافة الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي** ، دار المنار الإسلامي ، ط1، بنغازي ،2005،ص،269.

(**2**) عبد الحليم رجب مجمد، **المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء**، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، القاهرة، دت، ،1999 م، ص،11.

(**3**) نفسه ص،17-18.

(4) محمود حسن احمد، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط1986،1م، ص،60-61.

(**5**)عبد الظاهر حسن عيسى، **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني** ،الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة،1991م، ص،61.

الهوسا الذي أصبح يتكلم لغة واحدة هي لغة الهوسا(هذا رأي بعض المؤرخين).[1] لان أصل الهوسا كأرض وشعب مازال لم يفصل فيه، وسنتعرض لهذه القضية في دراسة ممالك الهوسا.

فالهجرة التي قامت بها قبائل البربر على اختلف مضاربها، ومنذ دخولهم الإسلام حملوا على عاتقهم مسؤولية نشره في المدن و القرى و الواحات ، وحتى ساحل المحيط الأطلسي ومشارف السودان، وكان لقبيلة لمتونة دور بارزا في نشر الإسلام بين الزنوج وقد بلغ من قوة سلطانها ونفوذها ما جعلها سيدة على العديد من ملوك السودان وخاصة في عهد (تين يروتان الأوردغستي)، ونتيجة لهذه الهجرات اسلم مللك التكرور (وارجاني بن رايس سنة 1040م) على يد البربر، وكان ذلك عامل في ازدياد نشر الإسلام في غرب إفريقيا حتى وصل إلى غانة واعتنقه كثير من سكانها.[2]

لعبت هجرات القبائل البربرية دور وتحركاتها دورا هام في نشر الإسلام في منطقة جنوب الصحراء، وكونت هذه الهجرات ومع غيرها من العرب الفارين من مذابح الصليبين في أوروبا أيام انهيار دولة المسلمين في الأندلس, بعد سقوط غرناطة، ونزوح الكثير منهم إلى إفريقيا وخاصة صوب السودان الغربي وعاشوا فيه، فساهموا مساهمة فعالة في حركة انتشار الإسلام في إفريقيا الغربية، وارسوا دعائمها وعملوا على إنجاحها في فترة وجيزة من الزمن.[3]

وخلاصة القول أن تعاقب الهجرات العربية الإسلامية على إفريقيا جنوب الصحراء أو غربا إفريقيا، وإظهار قبائلها قدرات عالية في التأثير على المجتمعات التي اختلطت بها وسكنت معها. وظهور عدد كبير من القادة المسلمين سواء كانوا من العرب والبربر أو أهل السودان أنفسهم. كان لهم دور كبير في نشر دين الله في هذه الأوطان.

- د الحركات الاسلامية الحديثة:

وقامت على أنقاض دولة مالي مملكة سنغاي التي سارت على نفس خطى مملكة مالي في ، فتوسعت جنوبا وغربا وظلت تنشر الإسلام حتى القرن السادس عشر إلى إن جاءت حملة المنصورة السعدي لها، وعلى أثرها دخلت المملكة حالة من الاضطراب في الأحوال الاقتصادية والسياسية و الاجتماعية والثقافية، فانخفض مستوى المعيشة وانتشر الفقر والبؤس، كما فر اغلب المنشغلين بالعلم والمعرفة، والقائمين على مختلف الفنون والحرف.[4]

وفي ظل هذه الظروف السيئة سيطر الرماة المغاربة على الثروات والأملاك وكونوا طبقة ارستقراطية ممتازة تمكنت من السيطرة و التحكم في جميع مناحي الحياة المختلفة في بلاد السودان الغربي، وفي هذا الجو المتعفن والمنذر بالانهيار التام والشامل ازداد الأمن تدهوران فاغتنم البدو الطوارق هذا المناخ شاهرين سيوفهم يشنون الغارة تلو الأخرى على المدن الإسلامية ليزيدوا في خراب عمرانها ودمار منشاتها،

(1) رجب عبد الحليم، **المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء**، المرجع السابق، ص،51.
(2) عبد الظاهر حسن عيسى، المرجع ، السابق، ص، 95-96.
(3) محمد زبانية عبد الله سالم، المرجع السابق، ص،104.
(4) عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الاسقيين**، المرجع السابق، ص ص،24-25.

وهكذا انقسمت دولة سنغاي وتشتت قبائلها إلى عشائر تسود بينها الصراعات و النزاعات لم يعد هناك نفوذ يجمع شاة بطون هذه القائل في مملكة واحدة.[1]

وفي أواخر القرن الثامن عشر سادت حالة من الفوضى و التغيرات المستمرة، فلقد تخلت دولة برنو عن الإمارات التي كانت تسيطر عليها من بلاد الهوسا، وزاد من حدة هذا التوتر إمارة جوبير بناء إمبراطورية واسعة على حساب إمارات أخرى، ونظرا لعدم وجود قوة سياسية تستطيع السيطرة على هذه المناطق، وتفرض عليها نظاما موحد.[2]

وفي ظل هذه البيئة الاجتماعية والسياسية الفاسدة التي تتحكم فيها الحروب والصراعات والتقاليد المحلية الساعية لتحقيق الأغراض الدنيوية، انتشرت البدع والخرافات والعادات الوثنية، إذ اختلطت هذه الأخيرة بالتقاليد، وصار الحكام يحملون لقب المسلمين شكلا دون فهم واعي لأصول الدين الإسلامي. فانتشرت الفواحش وتعمقت الرذيلة، فتفاقمت أعمال السطو والعدوان والصراعات المستمرة الدائرة على السلطة خلال أواخر القرن الثامن عشر.

وفي هذه الظروف المضطربة في غرب إفريقيا ظهر الشيخ عثمان دان فودي وكان إيذانا لمرحلة جديدة في تاريخ غرب إفريقيا وظهور فكرة الجهاد وقيام دولة سوكوتو التي لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة.[3]

ـ عثمان دان فودي وحركته الجهادية في نيجيريا:

إن الحديث عن الشيخ عثمان بن فودي يعني الحديث عن غرب إفريقيا الإسلامي بكل ما تعنيه العبارة من معادن، وما تحميله من حيثيات، في حينما يعتبر كثير من المؤرخين والباحثين في العالم الإسلام أن القرن التاسع عشر قرن عصر الانحطاط، فان هذه العبارة إن صحت من الناحية العلمية والتاريخية على قلب العالم الإسلامي و أطرافه الشرقية والجنوبية والشمالية إلا أنها لا تنطبق على بلاد السودان الأوسط والغربي فيما اصطلح عليه جغرافيا بغرب إفريقيا، فهذا الجزء من القارة الإفريقية، قد شهد في أوقات متعددة نشوء العديد من الممالك الإسلامية حكمت شعوبها باسم الإسلام، وأسست نظم حكمها على مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي، ومن بين هذه الممالك (مملكة سوكتو الإسلامية) التي قادها هذا الرجل العظيم، الذي اتسم بشجاعة و التقوى و الورع وقام بمحاربة الفساد العقائدي و والسلوكي و السياسي، وقاد الجهاد ضد القبائل الوثنية، وضد الاستعمار الانجليزي لبلاد الهوسا في شمال نيجيريا[4]

وقبل التطرق إلى شخصية الشيخ عثمان دان فودي ومسيرته التاريخية الحافلة بإنجازات على مختلفة الأصعدة السياسة والدينية والثقافية ومحاربة الفساد كل أنواعه ومقاومة الاستعمار الانجليزي في منطقة غرب إفريقيا عامة وبلاد الهوسا خاصة. كان لزاما أن نعطي فكرة عن مفهوم الجهاد في تلك لفترة وعن

---

(1) عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الاسقيين**، المرجع السابق، ص ،105.
(2) عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **الإسلام و الحضارة الإسلامية في نيجيريا**، المرجع السابق، 34.
(3) عبده بدوي، " دول إسلامية في إفريقيا" **مجلة منبر الإسلام** ،العدد السادس، 1963م، ص،74
(4) عمر موسى محمد الثاني، المرج السابق ، 31.

الأسباب الدافعة لظهور هاته الفكرة، والتي جعلت مت شخصية الشيخ عثمان دان فودي رمزا تاريخيا في المنطقة.

أ . فكرة الجهاد:

لعل أهم ميزة تميز بها القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي في إفريقيا جنوب الصحراء هي ظهور فكرة الجهاد الإسلامي ونشر الدعوة الإسلامية وإصلاح العقيدة الإسلامية، التي اختلطت في كثير من المناطق بالطقوس الدينية، وقد امتدت هذه الفكرة في أماكن متعددة وفي أوقات مختلفة، وكانت الفكرة الأساسية لدى روادها هي التطلع لإقامة حكومات دول إسلامية تحكم شعوب غرب القارة وتنشر الإسلام وتحارب الاستعمار في المنطقة. ويمكن تلخيص الأسباب التي أدت إلى ظهور ونمو فكرة الجهاد في المنطقة.[1] على النحو التالي:

. اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية، مما أدى إلى انتشار ظاهرة عبادة الموتى وتقديسهم حتى بين المسلمين في كثير من مناطق غرب إفريقيا.

. ظاهرة الاحتكاك، وذلك بانتقال بعض الزعماء ، وطلبة العلم من مناطق غرب إفريقيا، صوب حواضر ومراكز الثقافة الإسلامية كالأزهر الشريف في القاهرة لتلقي العلوم المعارف، ولما عادوا إلى بلدانهم ، عادوا وكلهم عزم وحماس على نشر الدين الإسلامي بمبادئ وتعاليمه، وإصلاحه وتنقيته مما علق به من أدران، وكذلك الدور الذي يعلبه جامعة الزيتونة بتونس وجامعة القيروان بفاس.[2]

. أدى قيام الزعماء الأفارقة بأداء فريضة الحج إلى تأثرهم بالحركة الوهابية التي ناد أتباعها بالجهاد لإصلاح أحوال المسلمين والقضاء على كل ما يتعارض مع مبادئ الإسلام من البدع والخرافات، وقد مثلت رحلة الحج لدى مسلمي غرب إفريقيا أهمية كبرى، إذ أدرك الفرنسيون خطورتها، فذكر الحاكم العام بونتيpontier ، بان فريضة الحج تثير تشويش في أذهان الأفارقة وتبدل نفوسهم لالتقائهم بإخوانهم المسلمين، فتقوي فيهم روح التضامن والنضال والثورة ضد الفرنسيين.

. المراكز الثقافية: ظهور وانتشار المراكز الثقافية الإسلامية في منطقة غرب إفريقيا، حيث انتشرت على نطاق واسع وزاد نشاطها لاسيما في مدينتي سوكوتو حمد الله، فكان لهذه المراكز الفضل الكبير في إنارة الطريق لسكان المنطقة.

. الطرق الصوفية: مثل القادرية والتيجانية والسنوسية، وقد حرص أتباع هذه الطرق على نشر الإسلام بين الوثنيين، ثم دعوا بعد ذلك لمحاربة ومقاومة الغزو الأوربي عن طريق استخدم القوة أي الدعوة لجهادهم والتصدي لهم

. تبلور الوعي و الدعوة للجهاد: لم تقتصر على منطقة معينة، بل امتدت في كل الغرب الإفريقي، ونتج انتشارها ثورة عميقة ،شملت مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية.[3]

---

(1) Ajavi,J,F,A,: **History of,West,Africa**,Great Britain,Vol,II,1974,p,25.

(2) احمد شلبي، المرجع السابق، ص ص،177-180.

(3) الهام محمد على ذهني، المرجع السابق، ص،37.

وقد تفاعلت هذه الأسباب وانصهرت في بوتقة واحدة، فاستغلتها الحركات الإصلاحية والدعوة العديدة ووظفتها أحسن توظيف، فاتبعتها شعوب المنطقة تتطلع من خلالها لتحقيق ما كانت تطمح إليه من تغير وتسعى إلى تحقيقه من اجل مستقبل أفضل. وهكذا عرفت غرب إفريقيا حركة واسعة ونهضة شاملة في إطار الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي، أدت في نهاية المطاف إلى قيام دول إسلامية مازال التاريخ يشهد على عظمة شموخها، وما بلغته من قوة وتنظيم وحضارة، وعلى عبقرية مؤسسيها، ومنهم الداعية الشيخ عثمان دان فودي، فمن هو هذا المصلح والداعية وعثمان بن فودي؟

ب ـ حياته:

يعد الشيخ أبو محمد عثمان بن محمد ابن عثمان المعروف بابن فودي الفولاني شخصية بارزة في تاريخ الفكر الإسلامي في غرب إفريقيا. ولد سنة**1754**م في قرية ماراتا (Marata).[1] في مدينة غوبر Gobir إحدى إمارات الهوسا التي تقع في شمال نيجيريا الحديثة. وهو من قبيلة فلانية كبيرة تشتهر بالقضاء والعلم وهي قبيلة تورنكاوا **Toron kawa** التي هاجرت من سلطنة مللي و استقرت في جوبير، ويعتبر عثمان دان فودي من سلالة زعيم هذه الأسرة.[2]

اشتهر بلقب الشيخ حتى صار علما له، وكل من يولد بعده إلى اليوم يلقب بالشيخ إذا كان اسمه عثمان تيمنا به، ويلقب أحيانا بألقاب أخرى مثل المجدد، ونور الزمان، وابن فودي، وذي، وهناك بعض الألقاب بالغة الفولانية منها، ما في ابن ب ياي العالم المتبع، وغيغامي ابن تمبرا، والتي تعني الطبل الذي يعلو صوته على كل الطبول. أما كنيته فهي أبو محمد.[3]

للأسرة أثر كبير في شخصية الإنسان فالتربية الدينية والعلمية والاجتماعية الصحيحة تساهم مساهمة فعالة في تكوين عقليته، وتوجهيه نحو الحياة الفاضلة، وقد نشأ الشيخ عثمان بن فودي في أسرة مسلمة صالحة على التربية الإسلامية، والخلق الحسن طاهرا زكيا، حتى اعتدل عوده على التدين والاخلاق الكريمة. فكان نسيجا وحده، امة في عصره ومجتمعه. نشأ في حجر والديه الصالحين، وكان لهما فضل في توجيهه إلى الدين والعلم و العبادة.[4]، واشتهر والده باسم فودي واو فودين والتي تعني باللغة الفولانية المتعلم أو العالم. مما يدل على ما كان له من درجة علمية في قومه حتى لقبه بهذا اللقب السامي

فقد طلب والد الشيخ هذا العلم وتلقه وأخذه عن شيوخ كبار، وكان رجلا تقيا وعالما وفقيها سنينا مالكيا ربى أبناءه على المذهب المالكي، وعلمهم تعليم صحيحا ليصبحوا علماء في المستقبل، وفي تلك الأيام كان التعليم في غربي افريقية بالغة العربية و آدابها و الفقه الإسلامي، وكان لامه وجدته دور بارز في صقل شخصيته العلمية والأدبية.[5] على العموم فإن بيت الشيخ عثمان بن فودي بيت كثر فيه العلماء

---

(1) الشيخ عثمان دان فوديو، **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن و الظواهر**، تحقيق وتعليق، سالم الحسن، وسيني مومونى، فرنسا، ط1، 2011م،ص،7

(2) كوثر عبد الرسول، " عثمان دن فوديو"، **مجلة نهضة افريقية**، العدد الثاني، السنة،1957م،ص،34.

(3) محمد بلو بن عثمان ابن فودي، اتفاق الميسور، المصدر السابق، 57.

(4) الالوري، ادم عبد الله ، **الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فودي الفلاني**، دن، 1978م، ص،57.

(5) Monteil,Vincent, **L'Islam noir,**op,cit,pp,106-107.

الأعلام في علوم اللغة والعقائد والتفسير والحديث والفقه. فبهذا نستطيع أن نؤكد أن الشيخ نشأ و ترعرع في بيئته الخالصة بعلم وصلاح الأمر الذي سهل له الطريق في الدعوة إلى الله وتأسيس دولة الإسلام.[1]

بدا عثمان دان فودي تعليمه كبقية أقارنه من طلبة العلم في ذلك الزمن فقد اتجه إلى الكتاب وحفظ القران الكريم على يد والده الشيخ محمد فودي، كما درس علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية من فقه وأصول وتفسير وحديث، على يد أستاذه الشيخ عبد الرحمان، حمدا، وبعض أعمامه.[2] كما درس على جدته رقية وآمه حواء.[3] تم راح ينتقل من بلد إلى بلد بغية جمع العلوم و استزادة من المعارف على عادة طلاب عصره، حيث كانوا يعتمدون في الدراسة أساسا على أستاذ متفوقا في علما من العلوم أو فن من الفنون، وبعد إجازاتهم ينتقلون إلى شيخ أخر وهكذا. وعلى هذا المنهاج تعلم ودرس عثمان "مختصر خليل "على عمه الشيخ عثمان بن الأمين و لم تتوقف شهرة هذا الأخير على معرفته العميقة بمختصر الخليل وفهمه للعلوم الإسلامية، بل اشتهر أيضا بورعه وتقواه ودعواته للإصلاح عن طريق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.[4]

التقى الشيخ عثمان دان فودي في لده و في رحلاته الطويلة مع كثير من العلماء والأدباء والفقهاء وسمع منهم واخذ عن كثير من الشيوخ فتلقى عن هؤلاء علوم القرن والتفسير والحديث وعلومه والفقه والفرائض والأصول و والقراءات والتوحيد والأدب وعلوم اللغة والشعر والعروض و المنطق والتاريخ و السير و الجغرافيا والتصوف و الحساب و الحبر وغيرها، وظل ينهل من معين هؤلاء الشيوخ وعلومهم حتى وصل من العلم درجة رفيعة.[5]

لقد تأثر الشيخ عثمان بن فودي بعمه فلازمه مدة سنتين كاملتين نهل من ينبوع علمه وتطبع بطباعه وسجاياه الحميدة. و لم يلبث أن غادر مدرسة عمه ورحل إلى الشيخ جبريل بن عمر الأغديسي، وكان من أفاضل علماء السودان وأغزرهم علما و فصاحة، فصاحبه في حله و ترحاله مدة سنة كاملة يرتوي من ينبوع علمه المتدفق و يستفيد من تقواه و ورعه و تصوره الإسلامي.[6] فاخذ عنه العلوم الدينية من فقه وسيرة نبوية وعلوم الحديث، ومن الكتب التي درس على يد الشيخ جبريل كتاب الشيخ احمد بن إدريس المتوفى 1285م.

وكذلك مؤلفات الشيخ محمد بن يوسف السنوسي في التوحيد مثال ذلك كتاب العقيدة الصغرى، والوسطى و الكبرى، على مذهب المالكية، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض وكتب جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، وكذلك كتب العلم الجزائري عبد الكريم المغيلي

---

(1) ادم بمبا، " الهجرة في واقع الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا"، **مجلة قراءات**، يناير-مارس،العدد، السابع،2011م،ص،26.

(2) محمد عبد الرحيم الطيب، **المخطوطات العربية في نيجيريا الاتحادية**، المنظمة العربية للتربية والعلوم، الكويت، ط1، 1985م، ص ص،20-21.

(3) حسن احمد محمود، **الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا**، دار لفكر العربي، القاهرة، ط1986،1م، ص،2061.

(4) ناجي أيوب علي، **لمحات عن الإسلام في نيجيريا**، المرجع السابق،ص،64.

(5) محمد لواء الدين احمد، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان المرجع السابق، ص،100.

(6)الالوري، ادم عبد الله ، **الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فودي الفلاني**، دن، 1978م، ص،57.

التلمساني، لذلك كان لهذا العالم الجليل الأثر البالغ في تكوين شخصية عثمان دان فودي الحركية والعلمية.[1]

ولما بلغ العشرين من معمره بدأ حلقات التعليم، وسلك طريق القادرين، حيث كانت الطريقة القادرية أكثر انتشار في غرب إفريقيا في تلك الفترة، ويصفه ابنه محمد بلو في كتابه اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور« إن والده نشأ عفيفا متدينا، ذا خصال مرضية،، وهو عالم العلماء ورافع لواء الدين، أحيا السنة وأمات البدعة، ونشر العلوم وكشف الغموم، وبهر عمله العقول، وكان فصيحا، فاصلا حسن الخلق، جميل العشرة... ».[2]

كان الشيخ عثمان بن فودي عميق الفهم، أذكى الشيوخ قريحة، محبا للعلم وأهله ناشر له، برع فيما درسه وأتقنه غاية الإتقان، ويبث ذلك الخير في أبناء الأمة، فما تكاد تجد عالما كبيرا في بلاد الهوسا إلا وهو من تلاميذه أو من الطلبة الذين اخذوا عن تلاميذه، وهم جميعا ناهلوا من معينه، ومتعلمون بين يديه ومتتلمذون عليه. وأما التلاميذ الذين تلقوا العلم منه، وتفقهوا عليه ونشروا علمه ومصنفاته وكتبه لا يبلغهم الحصر ولا يأتي عليهم الذكر. وتخرج على يديه نحو المائة من العلماء ممن بلغوا مرتبة الاجتهاد المذهبي في الفقه المالكي الواسع الانتشار في غربي إفريقيا.[3]

وأشهر هؤلاء التلاميذ العالم العلامة الشيخ محمد بن أبي بكر الونكري التنبكتي والشيخ عبد السلام بن إبراهيم، وأخوه الشيخ عبد الله بن محمد فودين وابنه محمد بلو وابنته أسماء.[4]

كرس الشيخ عثمان بن محمد فودي حياته في التدريس والتأليف فألف ما يقاربه من **103**عناوين منشورة أو مخطوطة. واكتسب شهرة كبيرة في السودان الأوسط وأطلق عليه اسم الزعيم الروحي أي المجدد المصلح والجامع لأقوال أسيادهم السابقين. ومازال ضريحه في وسط الزاوية المسمى " حوبيري" يزوره العديد من المسلمين الذين يأتون زيارة للتبرك به، وعلى مر الزمن أصبحت زيارة الضريح ذات أهمية كبيرة وقد تناولها الباحثون في دراستهم حياة الشيخ عثمان بن محمد بن فودي وأثاره منذ سنوات عديدة ومن أعمالهم (التحقيق والنقد والترجمة والدراسات والبحوث الأخرى). ومن مؤلفاته:

. كتابه ولما بلغت، والذي يعرض فيه وجه نظر الشيخ الثاقب في التصوف الإسلامي وخبرته الروحية، ويشكل هذا الكتاب مصدر هاما، وحججا بالغة في التصوف.

. فتح البصائر: ويتضمن موقف الشيخ من الاجتهاد وتحصيل العلوم الإسلامية والعلاقات الاجتماعية والثقافية بين مختلف الطبقات الاجتماعية في التنظيم الداخلي لإمبراطورية.

. الفرق بين علم التصوف لتخلق وعلم التصوف للتحقق، ويتضمن هذا الكاتب كذلك داريته الواسعة لمصادر التصوف القديمة.

---

(1)الشيخ عثمان دان فوديو، **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن و الظواهر**، المصدر السابق،ص،7.

(2) محمد بلو، **اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور** المصدر السابق ، ص ص،57-59.

(3) حورية توفيق مجاهد، **الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية** ، المكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2002م،ص، ق، ص،258.

(4) ادم عبد الله الالوري، **الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان**.... المصدر السابق، ص، 94.

. السلاسل القادرية والسلاسل الذهبية والسلاسل الصوفية: ويحتوي على معلومات قيمة عن بداية دخول الطرق الصوفية إلى إفريقيا، وانتماءاتها، وتزودنا هذه المؤلفات المذكورة بمعلومات نادرة تمكننا من تقويم أهمية التصوف في عملية الإصلاح الاجتماعي والسياسي والثقافي.

. إحياء السنة وإخماد البدعة. والأصل مخطوط في مكتبة ابادان تحت رقم55/82

. تميز المسلمين الكافرين.[1]ونسخة المخطوط محفوظة في مكتبة ابادان في نيجيريا تحت رقم562/82

. عمدة البيان في العلوم التي وجبت على الأعيان. محفوظة تحت رقم 405/82. في المكتبة جامعة ابادان.

. الضياء الطويل وهو تفسير للقران الكريم في أربعة مجلدات.

. تنبيه الإخوان على أحوال ارض السودان.

. نور الألباب

- الفرق بين ولاية أهل الإسلام وبين ولاية أهل الكفر.

- بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد. ونسخة المخطوط الأصلية محفوظة في مكتبة جامعة ابادان تحت رقم53/82

وهي أكثر المؤلفات التي تحظى بموضوعية كبيرة ،و تتمتع بعمق في المحتوى وجمال في التعبير و أصالة في الموضوع.[2]

كانت حياة الشيخ عثمان دان فودي في إمارة غوبر أو جوبير التي تعتبر أقوى إمارات الهوسا في ذلك الوقت ن وشاهد الشيخ عثمان ما يسود في مجتمع الإمارة من فساد ديني وخلقي وسياسي، ورغم أن بلاد الهوسا عرفت دخول الإسلام في وقت مبكر، وبإضافة إلى إن سلاطينها عملوا بأحكام الدين الإسلامي في تسير شؤون بلادهم إلا انه ومع مرور الزمن بدا تيار وثني يصاحب حركة التحول الواسعة التي شهدتها البلاد إلى الإسلام عبر مراحله المختلفة، ويؤكد محمد بلو إذ" يقول لقد حدثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطن يركبون إليها، ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها ، ويفعلون لبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها وهم وقراؤهم وسلاطينهم وعامتهم إلا يحضرها غيره ويسمون ذلك عاد البلد....").[3]

لقد قسم الشيخ عثمان بن فودي في كتابه (نور الألباب) سكان بلاد الهوسا إلى ثلاثة أقسام رئيسة.

قسم يعمل أعمال الإسلام، لا يظهر منه شيء من أعمال الكفر ولا يسمع منه شيء مما يناقض الإسلام، وأكد صحة عقيدة هذا النوع من الناس والقسم الثاني مخلط يعمل أعمال الإسلام يظهر أعمال

([1]) محمد يونس بابا، **فهرس المخطوطات**، المرجع السابق، ص،ص،11-12-13.

(2) الجمل شوقي عطا الله وآخرون، **تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم**، دار الثقافة لنشر والتوزيع القاهرة، 1996م،ص ص، 96-97.

(3) محمد بلو، 1964 **اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، المصدر السابق،ص،34.

الكفر، يسمع من قوله ما يناقض الإسلام فحكم على هؤلاء بالكفر. والقسم الأخر هم الذين لم يشموا رائحة الإسلام، فهؤلاء كفار بالأصالة تجري عليهم أحكام الإسلام.[1]

ج- مراحل تأسيس الدولة:

. المرحلة الأولى (1774م .1803م):

اتبع الشيخ عثمان بن فودي في محاولته لإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية في هذه البلاد منهجا علميا دقيقا، وذلك بتركيز على ثلاثة نقاط أساسية.

. العناية التامة بتعليم العامة أصول الدين ومسائل التوحيد، وأبعادهم عما يناقض هذه الأصول أو ينافي كمالها.

. التحذير من البدع الشيطانية والعادات المخالفة لشرع الإسلامي الحنيف.

. محاربة فساد سلاطين بلاد الهوسا ورفع الظلم عن الشعوب المغلوبة.

ولأجل تحقيق هذه الأهداف السامية سعى الشيخ عثمان دان فودي والى تكوين مجموعة من الأتباع المخلصين كان معظمهم من غير قبيلته، كما يذكر أخوه عبد الله بن فودي، ولذلك لنشر أفكاره الإصلاحية ودحض دعاوي المناوئين من علماء السوء

وكان للشيخ مجلسان للعلم، احدهما لتدريس يدرس فيهما التفسير و الحديث والفقه وغيرها من العلوم، والمجلس الأخر لوعظ والتذكير، ويخرج له كل ليلة جمعة، ويحضره جمع كبير، رجالا ونساء.[2]

فكان الشيخ عثمان دان فودي في هذه المرحلة يتنقل بين البلدان أو إمارات الهوسا داعيا وواعظ، تم يعود إلى بلدهن حتى ذاع صيته، وأصبح يقصده الداني والقاصين وتكونت من حاضرين والمستمعين إليه فئة سميت بالجماعة وهم الذي صار إليه أنصار لحركته الإصلاحية.

وتجدر الإشارة أن الشيخ وهو أتباعه قد اتبعوا في بداية دعواتهم أسلوب الابتعاد عن الاحتكاك بالسلطات السياسية، وعدم الاختلاط بها، وذلك بهدف عدم فرض حمايتها عليهم، وسيطرتها السياسية ومنهجها المخالف لإسلام وقواعده، وحتى إلا يدخل في مجابهة السلطة في تلك الفترة.

وتعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الأولى التي مرت بها دعوة وهي مرحلة التحدي

ومن السمات المميزة لهذه الفترة تركيز الشيخ عثمان بن فودي على دعوة الناس بكافة طبقاتهم إلى الله، وتعليمهم المبادئ الأساسية لإسلام، ومحو الأمية الدينية ورفع مستوى الوعي الاجتماعي.[3]

وفي عام **1786**م بدا الشيخ في إرسال البعثات، فأرسل بعثة إلى زمفارة كما راسل العديد من قادة الفولاني شارحا لهم أفكارها ولم سمع ملك حوبير لما وصل إليه الشيخ من شهرة في علوم الدين وورعة وتقواه ،

---

(1) عمر موسى الثاني محمد الثاني، المرجع السابق،ص،34.

(2) كوثر عبد الرسول،" عثمان دان فودي، **مجلة النهضة الإفريقية**، العدد الثاني،1957م ،ص،34.

(2) Urvoy.Y**. Histoire population du soudan central colonie du Niger**,op ,cit,p,274.

فدعاه إلى قصره بغية تربية أبناءه على تعاليم الدين.[1]، وخلال هذه الزيارة والتي كانت سنة **1788م** قام الشيخ عثمان بتقدم بعض المطالب:

- أن يحترم الحاكم أصحاب العمائم أي العلماء.
- أن لاقف في طريق أي شخص آو جماعة تريد الاستجابة لدعوته.
- أن يطلق سراح المسجونين.
- إن يمتنع الحاكم عن فرض الضرائب الباهظة على رعاياه.

وكان يهدف الشيخ من وراء هذه المطالب إلى تحقيق أهداف سياسية بعيدة المدى، وليس بإمكانه في هذه الفترة إلا أن يقوم عن طريق الدعوة، ثم إن مستوى التفكير والاعتقادات الدينية المخلوطة بالعادات الوثنية الجاهلية لا تسمح بالخطاب السياسي في تلك الآونة، لان عامة الناس تحتاج إلى تربية دينية صحيحة تبين لهم أركان الدين الإسلامي وقواعده، ثم إن دخول في معركة خاسرة مع إمارة غوبر القوية وبقية إمارات الهوسا تعني نهاية الحركة قبل بدايتها أصلا.[2] لهذا يمكن أن نطلق كذلك على هذه المرحلة من حياة الشيخ مرحلة الدعوة السلمية.

- المرحلة الثانية (1804م .1810):

وبدأت هذه المرحلة الثانية للشيخ عثمان دان فودي بما يسمى الازدواجية في الجهاد جهاد سلمي عن طريق الدعوة ودخول في مواجهة سلاطين إمارات الهوسا، بعد أن قويت شوكته، واستجاب لدعوته الشعب المظلوم.

وتذكر المراجع أن الشيخ عثمان دان فودي في البداية كان عازفا عن زيارة الملوك والسلاطين ولا يتعامل معهم ولا يتدخل في شؤونهم، وكان يحارب رذيلتين انتشرتا في السودان الغربي في ذلك الوقت شرب الخمر وفساد الأخلاق. وفي هذه المرحلة بدا الناس يلتفون حوله، لما وصل إليه من مكانة دينية ذات الصيت، وتكاثر مريدوه ومنهم كثير من أتباع أمير جوبير، وجنده.[3]

وبدا بعض العلماء يضمرون له العداء والكراهية لما ناله من شان عظيم عند أمير جوبير، ولكن ومع ذلك استمر أمر الشيخ يترقى عنده وتزداد جماعته ويزداد احترامهم وتقديرهم وطاعتهم إياه مما مملك جوبير يتوجس منه خفية فبدا يغري الشيخ بمال، ولكن الشيخ لم ينساق وراء ذلك، بل بالعكس رفض الشيخ الهدية المقدمة من طرف السلطان، عكس علماء البلاط، الذين كانوا يتنافسون على التقرب والتودد إلى السلطات بل قدم بعض المطالب الأخرى التي تكون في صالح تربية المجتمع ومحاربة الفساد من كل جوانبه. ومن هنا بدا منعطفا جديد في مسار حركة الشيخ عثمان دان فودي.[4]

---

(3) John Anderson, **West Africa East in the Nineteenth and Twentieth Centuries**, London,1972, p,58.

(2) شيخو احمد سيعد غلا دنت، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، المصدر السابق،ص،62.

(3) توماس اورنولد، المصدر السابق،ص،360.

(4) عثمان سيد احمد إسماعيل، " حركتا الشيخ عثمان بن محمد فودي ومحمد احمد بن عبد الله المهدي وأثارهما" **مجلة دراسات افريقية**، الخرطوم، العدد الثاني، ابريل،1986م، ص،ص،38-53.

ومنذ عام 1795م بدا أنصار الشيخ عثمان في التسلح لتكوين جيش قويا' وقد شعر ملك جوبير نفاتهNafataبخطورة الموقف بعد تسلح عثمان، ولذلك عمل على التصدي لإتباعه، فدخل معه في معركة مسلحة وهاجم جماعة عبد الله الفلاني أحد أتباع الشيخ ونكل بهم وقتل منهم الكثير ونهب أموالهم. وأصدر مرسوم يتضمن ثلاثة أمور:

. عدم السماح لأي شخص باعتناق الدين الإسلامي إلا من ورثه عن أجداده.

. لا يسمح لأحد بلبس العامة بعد تاريخ صدور هذا المرسوم، وألا تضرب امرأة بخمارها على وجهها.

. عدم السماح لأحد بالوعظ إلا للشيخ عثمان فقط.

وإذا قمنا بتحليل بنود هذا المسوم النافاتي، نجد الملك النافاتي أراد من وراء هذا المسوم تقليص نفوذ الشيخ، وإخماد حركته الإصلاحية ولذلك عن طريق منع الناس الدخول في الدين الإسلامي وإطلاق العنان للنساء للعودة للسفور والخروج عن الدين الإسلامي، وكل هذه الأمور مسيرة الكفاح والجهاد ونشر الدعوة.[1]

كان من الطبيعي أن تتعارض هذه البنود مع ما يهدف إليه الشيخ وأتباعه وخصوصا عبد الله بن فودي الأخ الصغر للشيخ، وساعده الأمين في حركته الإصلاحية فقرر الوقوف بعزم في وجه هذه الإجراءات مهما كلفهم من مشاق، ولكن الشيخ عارض هذا الرأي لأنه يرى أن الطريق مازال طويل، ولا يريد الدخول في صراع مع الطبقة الحاكمة، حتى لا تتشتت جهوده وتتبدد محاولاتهن وينصرف عن هدفه الأسمى وهو إعلاء كلمة الدين ورفعة راية الإسلام، وفي الوقت نفسه أدرك الشيخ إن الصدام مع الحكام مؤجل إلى حين، فقبل المرسوم وهو يعلم أن الفرصة آتية لا محال، ولأنه يؤمن بأن انتشار الإسلام بالطرائق السلمية حتى يحين الوقت لإعلان الجهاد المسلح ضد كل من يقف في سبيل الله والدين.[2]

اعتبر هذا المسوم مرحلة جديدة في جهاد المسلمين في غرب إفريقيا، ويعتبره بعض المؤرخين الطلقة الأولى التي أشعلت نار الجهاد في تلك المنطقة من إمارات الهوسا، ولكن شاءت الأقدار أن يموت الحاكم قبل إن يرى سريان مرسومه وقبل تحقيق أمانيه فتوفي سنة 1803م.

وخلف نافاتا في الحكم ابنه يونفا yunfa، والذي حكم المملكة مابين (1803م .1808م)،وهو احد تلاميذه الشيخ عثمان، ووعد الحاكم الجديد الشيخ بإلغاء المسوم الذي أصدره والده وإطاعة أوامر أستاذه و السماح له بالوعظ والإرشاد لكن هدا الحاكم شعر بالخطر من الشيخ فانقلب رأسا على عقب محاولا التخلص منه والتآمر عليه وعلى أتباعه.

وتعقدت الأمور وازدادت العلاقات سوء بعد أن رفض الشيخ تسليم أحد رجاله وأتباعه الذي يدعى عبد السلام، فقام يونفا بحملة عسكرية على جماعة عبد السلام، وقتل أهلها وعدد من الفقهاء والعلماء وبالغ في سلب أموالهم وانتهاك أعراضهم. ولكن الشيخ رفض أوامر وقرارات الحاكم الظالم، وقرر التحرك

---

(1) عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، المرجع السابق،ص،42.

(**2**) Adeleye R.A, « Power and Diplomacy in Northern Nigeria, (1804-1906) » IN **Revue française d'histoire d'outre-mer,tome**,59,N°214,1er,trimestre,1972,pp,60-65.

والابتعاد إلى مكان بعيد يدعى Gudo.[1] هنا أصدر الحاكم أمر بالقبض على الشيخ، إضافة إلى ذلك انه طلب من حكام الإمارات قتل المسلمين ومصادرة أموالهم، وغزو قراهم، ونهب ما فيها. فكان هذا العمل بداية الجهاد، و إعلان قيام الإمبراطورية الإسلامية.[2]

ولما رأى الشيخ عثمان لاحق بالمسلمين من قتل واضطهاد قام بإصدار ما يعرف بوثيقة أهل السودان، وبعد قوي عوده وأصبح الشيخ قائدا وإماما لجماعة من المسلمين وهم الفولاني الذين وحدوا فيه سمات القائد الفذ ورافع شأنهم ومحققا لطموحهم، فاعدوا عدتهم لجهاد وأعلن عن بداية رفع السلاح وتأسيس الدولة الإسلامية في تلك المنطقة.[3]

ـ المرحلة الثالثة (1804م -1817م):

ـ الجهاد وبداية تأسي الدولة:

تعتبر الهجرة إلى مدينة جودو بداية تأسيس إمبراطورية الفولاني التي اتخذت من مدينة سوكوتو عاصمة لها، واخذ الشيخ معه أنصار وأتباعه إلى أطراف الصحراء، وهناك اقروا له بالطاعة والولاء وحلفوا اليمن على طاعته على الكتاب والسنة وحمل الشيخ لقب أمير المؤمنين ذلك اللقب الذي استمر مع دولته حتى نهايتها عام 1903من كما حمل لقب الخليفة في بعض الأحيان، وهو للقب الذي حمله أبناءه وذريته من بعده.[4]

وتعتبر مبايعة الشيخ عثمان بداية جديدة ومنطلقا فعليا في تغير أسلوب الدعوة وضع الحركة على سكة الجهاد، إيذانا بإقامة وتأسيس دولة فولانية إسلامية التي لطالما انتظرها المسلمون في بلاد الهوسا. وتناقل الناس إخبار الجهاد ، وقيام الدولة في مختلف أنحاء البلاد، وبعدما علم الناس ما احتوته وثيقة السودان السالفة الذكر، والتي طرح فيه الشيخ عثمان أفكاره وأرائه في النظم المختلفة السائدة في بلاد الهوسا، دعيا سكان السودان إلى الدخول في طاعته والتخلي على ما هم عليه من وثنية وبدع وضلال.[5]

وقد صارت هذه الوثيقة بمثابة الدستور الأول حسب تعبير اليوم، والذي رسم فيه الشيخ الأسس والمبادئ التي بني عليها جهاده، كوجوب الهجرة إلى بلاد الكفر، ووجوب الجهاد وموالاتي المؤمنين وتعين القضاة، وتأمير الأمراء، وإتباع ما جاء في القران والسنة النبوية الشريفة، باعتبارهما مصادر التشريع وتنفيذ أحكام الشرع.[6]

ومن خلال المبادئ التي وردت في وثيقة أهل السودان يبدو واضحا إن الشيخ كان ينتظر الظروف المواتية واللحظة المناسبة للإطاحة بالأنظمة الفاسدة ونسف الحكومات التي تتحكم في رقاب المسلمين في بلاد الهوسا وما حولها من بلدان.

---

(1) Michael .Growder,**Histroy of Nigeria,**op,cit,pp,93-94-95.

(2) Joseph Ki Zebro**. Histoire de L'Afrique Noir** ,p,361.

(5)Urvoy.Y**. Histoire population du soudan central colonie du Niger**,op ,cit,p,275.

(4) Murray,last, **The Sokoto Caliphate** ,London,1887,p,46.

(5) Robert Cornevin,op,cit,p,258.

(6)عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، المرجع السابق، ص،45.

. بداية الجهاد:

كانت ردة الفعل المباشرة على وثيقة أهل السودان بان أرسل حاكم جوبير المسمى يونفا إلى حكام وأمراء كاتسينا، كانو، دورا، يطلب منهم يد المساعدة لإطفاء شرارة من النار التي اشتعلت في إمارة وأهمل إطفائها حتى اتسعت رقعتها، ولم يعد بإمكانه القضاء عليها والتقليل من خطورتها.[1]

قاد سلطان جوبير جبهة المعارضة ضد الشيخ عثمان دان فودين وصارت الحرب وشيكة بين المسلمين والوثنيين، ولم يجد الشيخ بدا إلا أن إعلان الجهاد في سبيل الله، فلبى أتباعه الدعوة، وتحملوا عبء الكفاح المسلح، فعندما هاجم الشيخ إمارة جوبير اثر قرار حاكمها بتأديب الشيخ هو وأعوانه، فحدثت المواجهة بينهما، وانتقلت الدعوة من السلم إلى الحرب، وبعد أن أغار حاكم جوبير على قرى المسلمين وممتلكات الموحدين.[2] وفي الرابع من شهر يونيو عام 1804م تقدمت قوات الجهاد بزعامة عبد الله بن فودي الذي أخلى مواقعه في جودر توقعا لهجوم من ملك حوبير، واتجه نحو بحيرة تابكين كوتو، على ضفاف هذه البحيرة التف المسلمون حولهم والحقوا بهم.[3]

اعتبرت هزيمة يونفا نقطة تحول كبيرة فقد بدا الهوسا يدركون مدى قوة الفولاني وعزمهم وشجاعتهم، ففي عام 1805م سيطرت قوات الشيخ عثمان على مدينة كبي **kebbi** واتخذتها عاصمة للجهاد، كما أرسل ابنه محمد بلل والى زعماء كاتسينا وكانو ودورا، وزمفارة، للتحالف معه، فأقسموا له يمين الولاء وفي نفس السنة استولى على مدينة زاريا، ولكن زعماء الإمارات سرعان ما خشوا على مراكزهم وسلطانهم، وخاصة بعد أن لقب الشيخ عثمان بأمير المؤمنين وملكا على المسلمين وهو اللقب الذي حمله أسلافه السلاطين الحاكمين لسوكوتو، وقد خان هؤلاء عهدهم وانقضوا على أنصار عثمان وقتلوهم، فاشتعلت الحرب مرت ثانية في المنطقة واستئناف الشيخ الجهاد، وأعطى عثمان لكل من يثق به علما دليلا على انه من أتباعه وأنصاره وأمرهم بتخليص العالم من الكفرة.[4]

وفي سنة 1808م سيطرة الشيخ عثمان على إمارة الكالاوا kalawa عاصمة جوبير، فأرسل جيشا قويا بقيادة ابنه محمد بللو الذي نجح في قتل حاكمها يونفا مع عدد من أتباعه وسيطر محمد بللو على المدينة كليا.

وقد كان لهذا الحادث أثر كبير، فقويت شوكة الفولاني وداع صيتهم. وبذلك انتهت مقاومة الوثنيين، وصارت كلمة المؤمنين هي العليا في البلاد وتوافدت القبائل قبيلة تلو الأخرى تعلن الدخول الإسلام وانضمام إلى حلف المسلمين وتوسعت إمبراطورية الفولاني وتكونت إمارة جديدة،

---

(1) Nwabara, Samuel .N. « The fulani conquêts and rule of the Hausa kingdom of Northern, Nigeria (1804-1900) »**.In journal de la société des Africanistes, tome,33 facicule,2, 1963,pp,234-235.**

(2) Ajavi, J, F, A, : **History of, West, Afric, op, cit, pp,7-8.**

(3) Anderson John, **West Africa East in the Nineteenth and Twentieth Centuries**، London,1972.

(4) الهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، المرجع السابق،ص،43.

وأمر الشيخ أتباعه مواصلة الجهاد في مختلف مناطق بلاد الهوسا فتوسعت رقعة الدولة. وفي سنة 1809م سقطت مدينة كانو، وتحرك عثمان نحو سوكوتو ونحج في الاستيلاء على مراكز هامة في أراضي الهوسا ثم اتخذ من مدينة سوكوتو عاصمة لدولته. وفي عام 1814م امتدت إمبراطورية الفولاني حتى نهر بنوي وقد نجح الشيخ عثمان في اجتذاب جميع طبقات المجتمع حتى انضم إليه العبيد و النساء.[1]

وبعد الاستيلاء على كلوة عاصمة جوبير، رأى الشيخ عثمان ضرورة التوجه نحو برنو القوية فقام بإعلان الحرب عليها، فأتصدى له زعيمها الديني محمد الأمين الكانمي الذي دخل معه في عدة صراعات لسنا في صوب التكلم عنها، وهذا الأخير نحج في طرد الفولاني، رغم ذلك ظل الفولاني يغيرون على بورنو تارة تلو أخرى حتى احتلوا الجزء الغربي منها ولكنهم لم ينجوا في السيطرة عليها كلها.

وقد ظلت مملكة برنو على عدائها مع الفولاني نتيجة لاستيلائهم على جزء من أراضيها، واتسمت مناطق الحدود بين المملكتين باضطراب دائما.[2]

يمكن القول أن سنة 1810م أي بعد مرور ست سنوات من تعين الشيخ أميرا المؤمنين في جودر، كان جهاد الشيخ عثمان لإعلاء كلمة الدين الإسلامي في إمارات الهوسا. قد حقق الغرض الذي من اجله أعلن الجهاد، وتحقق الهدف، وانتشت إمبراطورية إسلامية شاسعة بلغت مساحتها 180.000ميل مربع، ويسكنها حوالي 10 ملاين نسمة.[3]

وفي عام 1814م قسم الشيخ عثمان دولته إلى قسمين قسم شرقي ولى عليه ابنه محمد بلو، وقسم غربي عهد به إلى شقيقه عبد الله، وشمل القسم الشرقي زمفارة وكاتسينا، وكانو، وبوشي، وكانت سوكوتو المركز الرئيسي.أما القسم الغربي، فيشمل كل من المدن التالية نوب، Nupe، ودندي Dendi ،وبورجو،Borgou، والمركز الرئيسي جواندو في إقليم كبي، وقد استمر حكم الفولاني لهذه الأجزاء لمدة قرن حتى دخلها الاستعمار البريطاني.[4]

مما لا شك فيه أن الطريق الذي سلكه الشيخ عثمان دان فودي لقيام الدولة لا جدال عليه، ولكن اختلف المؤرخون والمفسرون حول الأسباب الحقيقية لهذا الجهاد والغرض منه. قبل دراسة هذه التفسيرات نلقي نظرة على الأسباب التي ساعدت على نجاح الجهاد في أوائل القرن التاسع عشر.

ويمكن تعليل الأسباب التي أدت إلى نجاح عثمان في بسط نفوذه الديني والسياسي في المنطقة لعدة أسباب:

1. اعتمد الشيخ عثمان على الفولاني في تكوين دولته، وقد عين الكثير منهم حكاما للأقاليم المختلفة التي استولى عليها، كما كون منهم جيشه قواده.

---

(1) Michael. Growder, Histroy **of Nigeria**, op, cit, pp,101-102-103.
(2) ibid, op, cit, pp, 103-104.
(3) عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا**، المرجع السابق، ص،52.
(4)J.Anderson,op,cit,p,62.

2. اتسمت حكومة عثمان بأنها أكثر أمنا واستقرار من غيرها من الحكومات السابقة فتوافد عليه الناس وانضموا إليه فكانت حركته شعبية رائعة.

3. إعلانه الجهاد، ونجاحه في إثارة الحماس الديني لقواده من اجل نشر الإسلام وتصحيح العقيدة فقاتلت قواته كلها عزم وحماس لتحقيق هدفها الأسمى وهو نشر الدين في شمال نيجيريا، ونتج على ذلك أن الحروب قلت بين المدن والأقاليم النيجيرية المختلفة، مما إلى إنعاش التجارة ، وأصبحت مدينة كانوا مركزا تجاريا هاما في المنطقة الشمالية لنيجيريا.[1]

4. حركة عثمان أشبه بثورة اجتماعية، وثورة في مجال الإدارة والقانون وتعليم النساء، ونجح عن طريق القوة العسكرية في نشر الإسلام والقضاء الوثنية، والتخلص من العادات السيئة.[2]

5. أثرت حركة الشيخ عثمان دان فودي تأثير كبيرا على الغربي الإفريقي، وعلى الزعماء الأفارقة، فسعوا إلى تقليدهن وتطلعوا لبناء دول وممالك على غرار مملكة الفولاني في منتصف القرن التاسع عشر، فنجح الحاج عمر في تكوين إمبراطورية التكرور ووجه جهوده لنشر الإسلام بين البمبارا الوثنيين، كما ظهر العديد من القادة الذي رغبوا في القيام بنفس الدور الذي لعبه الشيخ عثمان دان فودي في تأسيس ممالك مماثلة.[3]

6. ضعف إمارة جوبير بعد حروب مستمرة ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر مع إمارتي زمفرا وكاتسينا، وتنازع بينمها، وما نتج عن مشاكل داخلية لهذه الإمارات بعد نشاط حركة الشيخ من مقرها الأول في مدينة ديجل.

7. إحياء الثقافة العربية كان من بين العوامل التي ساعدت على قيام الجهاد ونجاحه، فلقد شهدت المنطقة إحياء لتراث العربي ساهمت حركة الشيخ بقسط وافر فيه.

8. لعب العامل القبلي دور في الجهاد، وسهام في نجاح الجهاد في بلاد الهوسا، على الرغم ان الجهاد لم يكن حربا بين قبائل الهوسا والفولاني إلا أن الاختلافات القبلية بلا شك زادت من حدة الصراع، وكان لعلماء الفولاني دور أساسيا في الجهاد نظرا لما كان يمتازون به من مهارات وقدرات في النواحي الإدارية والعسكرية.[4]

أما الآراء والاختلافات التي أثيرت حول غرض الجهاد الحقيقي لهذه الحركة الدينية الإصلاحية في هذه المنطقة. فنهم من رأى فيه انه صراعا سياسيا بين الهوسا والفولاني استخدم الفولان عامل الدين كهدف، أو مناورة عسكرية من اجل تحقيق أهدافهم للسيطرة الفولانية على بلاد الهوسا.[5]

أما العالم النيجيري عبد الله سيمث فيرى إن الحركة أكثر من محاولة مجموعة من الرجال المحرومين من اجل السيطرة السياسية لصالحهم، بل هي حركة فكرية تهدف إلى خلق مجتمع مثالي تسوده الشريعة

---

(1) J.Anderson,op,cit,p,62.

(2) الهام محمد علي ذهني، المرجع السابق،ص،47.

(3) Smaldone,J,P.،**Warfare in the Sokoto Caliphate**, London, 1960

(4) Ibid.p.23.

(5) Webster.J.B. The Revolutionary years ,West Africa ,Since 1800.p,8.

الغراء.[1]وحاول أعداء الشيخ ومن بينهم الشيخ مجمد الأمين الكانمي شيخ برنو تفسير الجهاد على انه يخفي وراءه أطماعا سياسية في ثوب الإصلاح الديني، وذلك من خلال شرحه رسالة الشيخ بلو، والذي بدوره نفى هذا الطموح السياسي، وأفاد انه على الرغم من تحول سكان الهوسا وحكامهم إلى الدين الإسلامي، إلا أنهم انساقوا في ممارسة العادات الوثنية ولذا وجب في حقهم الحرب.[2]

وذهب فريق أخر هذه الثورة قد خططت من اجل مساعدة الفولاني للسيطرة على أمور بلاد، وتحقيق امتيازات كانوا قد حرموا منها من قبل ومهما اختلفت الآراء والتفسيرات حول أسس الجهاد، فان الكل يتفق على إن الحركة شمولية بنية على أساسا دينيا، وأن الشيخ نفسه حدد الغرض من الجهاد في يما جاء في وثيقة أهل السودان.[3]

د ــ التنظيم السياسي والإداري والديني لدولة الشيخ عثمان:

ــ النظام السياسي والإداري:

تأثرت دولة الشيخ عثمان دان فودي بنمط الحكم الذي كان سائد في الخلافة العباسية. كما أنها قامت بنظام فرديا من نوعه في غرب افريقية، استقى من كل النظم الإسلامية وتمسك المسلمون بمبادئه، وطبقه خلفاء الشيخ من بعده على مدى قرن من الزمن.

أما نظام الخلافة فقد طبقه الشيخ عثمان، ويتضح ذلك في كتابه المسمى (بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد) ويعد أول من طبق هذا النظام في تلك الفترة.[4]

ولعل إجراء مقارنة بسيطة بين نظامي الحكم في دولتي الفولاني و الخلافة العباسية يوضح بجلاء كيف أن المسلمون في غرب إفريقيا كانوا متأثرين إلى حد كبير بالأنظمة العربية الإسلامية في المشرق إبان العصور الإسلامية المزدهرة وسنرى كيف كان هذا التأثر من خلال معرفة التنظيم الإداري والسياسي لهذه الإمبراطورية.[5]

فمن خلال التنظيمات التي أقدم على تطبيقها الشيخ عثمان في بلاده نلاحظ وجود تشابه كبير بين نظم الخلافة العباسية ونظم السياسية التي طبقها الشيخ في دولته فالخلافة اتجهت إلى الأخذ بنظام الاتحادي والقناعة بمجرد الإشراف على الأقاليم وهو الأسلوب الذي اتبعه الشيخ ن كما قبلت حكومة الفولاني ببعض التغيرات على قمة هرم السلطة، حيث تم الجمع بين الإمامة والخلافة، وتحول الداعية الإمام إلى خليفة حاكم بيده الأمر، وهو نفس المنهج الذي اتبعته الخلافة العباسية.

وإن اقتصرت منصب الخلفية أو أمير المؤمنين على سلالة الشيخ عثمان دان فودي إلا إن ولاية العهد كانت للأقدر والأكفأ، وليت وراثية مقصورة على الأبناء وحدهم كما كان معمول به في العهد العباسي. كما أن الخليفة في دولة الفولاني في غرب إفريقيا، كان يسيطر على الولاية ، ويمارس سلطته ويطبق

---

(1).J.H.S.N.2.1961,p,2. Abdulla.Smith.**The Islamic Révolution of the 19h Century**

(2) Meek.C.K. The Northern Tribes of Nigeria,Vol,I,p,100.

(3) عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا**، المرجع السابق،ص،48.

(4) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق وآخرون، **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر**، المرجع السابق، ص،146.

(5) احمد الدين محمد لواء ،**الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ....** المرجع السابق، ص،137.

حكمه في سائر الإقليم بكل حرية، وله كامل حرية التفويض لمن يشاء في ممارسة مهامه، وهو ما كان رائجا عند خلفاء بني العباس، غير أن الخليفة العباسي اتبع مبدأ انتقاء الوزير ليتولى أمر تنفيذ أوامره كاملة غير منقوصة.[1]

فالوزير في دولة سوكوتو يأتي في الدرجة الثانية وله صلاحيات أوسع تتمثل في تنفيذ الأحكام وكذلك التأليف والتدوين، بدا من زمن الشيخ عثمان وانتهاء إلى أخر خلفاء دولة سوكوتو في سنة 1903م، والوزير وهو الصرح الأول لبناء الدولة. وكان لدولة الفولاني مجلس الاختيار يتكون من خارج أسرة الشيخ، وكان لوزير الكلمة النهائية والفصل في هذا الاختيار وتعين الخلفية الجديد يتم بعد وفاة الحاكم عن طريق مجلس الاختيار.[2]

أما على مستوى التسيير فقد استعان الخليفة الفولاني بمجلسين في تسير شؤون الدولة، مجلس استشاري يضم أبرز أعوان الخليفة ومساعديه في تأدية المهام المنوطة به.

والأخر مجلس تنفيذي يسهر على وضع مراسيم وتعليمات وأوامر الخليفة ونواهيه موضع التنفيذ، ويضم هذا الأخير كل من الوزير والقاضي والمحتسب.

أما الخليفة فقد تحددت مهامه واختصاصاته في المجالات التالية:

. الإشراف على حقوق الرعية والمحافظة عليها داخل المجتمع وفق ما تأمر به الشريعة الإسلامية.

. السهر على حماية حدود الدولة الإقليمية وممتلكاتها وتحصين المدن وتسويرها لصد هجومات الأعداء والغزاة.

. الإمارات والأمراء:

انقسمت دولة سوكوتو إلى عدة إمارات يحكم كل منها أمير مسؤول أمام الخليفة عن إمارته وفي بداية تكوين الدولة كان أول أمراء يعينوا من طرف الشيخ عثمان عن طريق التفويض، وكان الأمير في إقليمه وزير وقائد للجيش والإمام الأكبر للصلاة ورئيس للقضاء وغيرها من الأعمال الآخرة.

ومن الناحية النظرية كان لأي رجل من سلالة الأسرة الحاكمة في الإمارة الحق في الترشح لمنصب الخليفة، ولكن من الناحية العلمية انحصر المرشحون في عدد محدود بعد استبعاد ضعاف الشخصية او قليلي الخبرة بالشؤون العامة أو الذين ليست لهم شعبية كبيرة، وعندما يصبح الانتخاب ضروريا، جرت العادة على أن توافق كل عشيرة من الأسرة الحاكمة على مرشح تؤيده، ومن ثم يصبح الانتخاب تنافس بين العشائر الحاكمة. والاختيار النهائي يتم عن طريق مجلس خاص يسمى مجلس اختيار الأمير أو الخليفة.[3]

. الجيش:

دولة سوكوتو كغيرها من دول المنطقة في غرب إفريقيا، قد خاضت معارك عديدة لتامين حدودها ضد القوى المجاورة، أو القيام بحملات الجهاد بغية نشر الدين الإسلامي، أو من اجل مقاومة الأطماع

(1) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **الإسلام و الحضارة الإسلامية في نيجيريا**، المرجع السابق، ص،121.118.
(2) على أيوب ناجي، **لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم**، المرجع السابق،ص،133.
(3)عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **الإسلام و الحضارة الإسلامية في نيجيريا**، المرجع السابق، ص، ص123-125.

الاستعمارية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي للسيطرة على أراضيها، ومن هنا كان النظام الحربي مطلبا أساسيا وضروريا لدولة سوكوتو. لم يكن هناك تنظيم كامل للجيش يضم كل إمارات، بل كانت لكل إمارة وحدة مستقلة في تنظيمها العسكري، وكان الأمراء يقدون الجيوش في الحروب التي يقدونها ضد القبائل الوثنية المتمردة داخل إمارتهم أو الإمارات المجاورة لهم، وللجيش اختصاصات متعددة يقوم بها.[1]

. اللغة الرسمية:

تعتبر دولة سوكوتو الإسلامية نموذجا جيدا لدراسة الدولة الإسلامية في افريقية الغربية، ولذلك لعدة اعتبارات جعلت منها كذلك، فالشيخ عثمان دان فودي اعتمد اللغة العربية لغة رسمية لهذه الدولة، والدليل على ذلك كتابة جميع المدونات والسجلات التاريخية عن غرب إفريقيا باللغة العربية، وإذ أن المستعمر البريطاني لم وصل إلى هذه الدولة وجد كل سجلاتها بالغة العربية وكذلك العلماء والفقهاء الذين عصروا هذه الفترة كلهم يكتبون بالغة العربية. [2]

ولا شك في ذلك ، فالدولة أسست بادئ ذي بدء على أساس إسلامي خاضع لقوانين شرعية ونظم دقيقة لابد من معرفتها قبل تطبيقها، ولابد إن يكون لها ديوان ومحكمة وما إلى ذلك من تنظيم الدولة المسلمة، ولابد لهذه الدولة أن تجد عددا من المثقفين الذين يمكنهم أن يقوموا بإدارة دواوين الدولة، وبما إن اللغة العربية هي لغة التواصل و الثقافة، فلابد إذن من إن تهتم الدولة بتعليم اللغة لأبنائها ، وقد قام العلماء والمثقفين بهذا الدور، فتطورت اللغة العربية في تلك الفترة.[3]

ومما لا شك فيها أيضا أن حركة الشيخ عثمان الفودي، التي أقامت الجهاد بعد أن احدثت ثورة عقائدية وثقافية وسلوكية واجتماعية، وأقامت دولة إسلامية أحيت التراث وجددت الدين، وعاشت قرن من الزمان، جمعت تحت راياتها كل بلاد الهوسا وجزء كبير من بلاد اليوروبا.

وفي الإطار الإسلامي كانت اللغة العربية سيدة اللغات هنالك انذاك، ولا يزال لها من الجذور العميقة في المجتمع النيجيري واللغات النيجيرية المختلفة الهوسا والفولاني وإلى حد ما اليوروبا ما يمكنها تستعيد مكانتها في المجتمع النيجيري. لقد أدت حركة الشيخ عثمان بن فودي من نشر اللغة العربية في نيجيريا خاصة وغرب إفريقيا عامة، ولذلك من خلال تعميم مصلحات وتعابير وكلمات اللغة العربية، فنجد كلمة معلم،مؤدب إشارة مرموقة بين الناس، ومع اللغة العربية انتشر الحرف العربي، كأول حرف للكتابة باللغات الأخرى، وعدلت الحروف العربية لتلائم تلك الحروف العجمية. تماما كما حدث من قبل مع الفارسية والأردنية و التركية العثمانية.[4]

---

(1) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **الإسلام و الحضارة الإسلامية في نيجيريا**، المرجع السابق .142-145.

(2) علي إبراهيم طرخان، **إمبراطورية البرنو الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط1975،1 م، ،ص،8.

(3) احمد شيخو سعيد غلادنت، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، المصدر السابق ،ص،81.

(4) إسماعيل احمد، " حركتا الشيخ عثمان بن محمد بن فودي، (1754م-1817م)،ومحمد احمد بن عبد الله المهدي(1844م-1885م)، وأثرهما" **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد الثاني، ابريل،1986م،ص،44.

. النظام المالي والاقتصادي والتعليمي:

بيت المال وهو من الدعائم النظام المالي والاقتصادي لدولة الشيخ عثمان دان فودين وله موارده ومصارفه التي تتبع المنهج الإسلامي، ويتولى مهمة الإنفاق على مطالب الدولة، وخاصة عندما يكون الخليفة قويا وصارما ومطلع على الفكر الإسلامي.[1]

وقد فرق الشيخ عثمان بين الزكاة، وبين مصادر الموارد الأخرى، والزكاة في رأيه ليست موردا من موارد الدولة، بل إن مصارفها مبينة في القران الكريم تبيانا ووضح الشيخ موارد بيت المال في كتابه (بيان وجوب الهجرة).

ولم يترك الشيخ أي قطاع في الدولة إلا ونظمه وفقا نظام إسلامي فأعطى أوامره وتعليماته لوزيره وكذلك حكام الإمارات، وهو ما يتضح جيلا في كتابه المسمى (بيان البدع الشيطانية)، ولذلك لمنع الجهال من مزاولة البيع والشراء لأنفسهم لان هؤلاء لا يعرفون الحلال والحرام في البيع والشراء، وعلى الذي يريد أن يبيع أو يشتري لابد إن يعرف ما شرع في السوق، والتسعير، والحد العادل من الموازين والمكاييل، وغير ذلك من أمور السوق.[2]

. التجارة والصناعة:

اهتمت دولة سوكوتو الإسلامية بتجارة والصناعة، فشجعت مواطنيها بالقيام بتجارة، وكما سهلت ممارسة الصناعة، وقد عرفت التجارة والصناعة تطور وازدهار كبير في دولة سوكوتو، وخاصة إمارة كانو والعاصمة سوكوتو. وأما بالنسبة لتجارة فقد عرف النشاط التجاري رواجا كبير في غرب إفريقيا، بإضافة إلى ذلك حملوا التجار الفولاني على عاتقهم مهمة نشر الإسلام أينما كانوا.

وأكد الكتاب والمتخصصون في تاريخ دولة سوكوتو أن تطور الاقتصاد ورفاهية مجتمعها كانت من اهتمامات سياسة الشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي زعيم الحركة الواقعية لقيادة جهاد الشيخ عثمان دان فودي، والذي يؤمن إن نجاح الجهاد يرتبط فقط بتعزيز التجارة والصناعة في الدولة.[3]

ولذا طالب بالتسوية بين كبار التجار الفولانيين والهوساويين والقيادة الدينية التي أصبحت بعد إحياء الأرض الموات مالكة لأراضي، اعتمد عليهم جمعيا الشيخ محمد بلو بن عثمان اعتمادا أساسيا لمستقبل نمو الاقتصاد الدولة.[4] والى جانب التجارة والاقتصاد لم يغفل الشيخ عثمان الجانب التعليمي، فقد اهتم منذ البداية بالتعليم، فأسس جامع سوكوتو لتحفيظ القران ونشر العلوم الشريعة سنة 1804م والذي يعتبر بمثابة جامعة إسلامية في هذا العصر.

---

(1) احمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي ،ج6**، المرجع السابق،ص،288.
(2) محمد لواء الدين احمد، **الإسلام في نيجيريا**، المرجع السابق،ص،145.
(3) نفسه،ص،149.
(3) Malami.Hussaini Usman «Financing Islamic, Education in Muslim Minority) States, the Case of Nigeria» **journal Institute of Muslim Minority Affairs** London.1414AH/1994AD, vol,14, N°1-2, p49.

وفي نفس الوقت جعله رباط للجهاد وقاعدة لبناء الدولة الفولانية، ينطلق منها بجيوشه التي نظمها وهو شقيقه الشيخ عبد الله بن فودي وابنه محمد بلو بن فودي حيث كرس الشيخ عثمان نفسه في هذا الجامع لتدريس وتوعية المسلمين بعد أن ترك أمور الدولة لأبنائه وأحفاده من بعده. وبقي يمارس التدريس إلى أن توفي سنة 1817م، وهو في قمة عطائه ومجده ودفن في عاصمة الدولة سوكوتو وعمره ثلاث وستون سنة.[1]

وأسس الشيخ عثمان دان فودي المدارس القرآنية التي قامت بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية في نيجيريا، كما قامت بمجهودات كثيرة في ا المجال.

يرجع الفضل الأكبر في نشر اللغة العربية في القرن التاسع عشر لحركة الشيخ الثورية الإصلاحية التي قام بها الشيخ عثمان دان فودي. ويذكر أن العالم الكبير الرحالة البحاثة الألماني بإرث، الذي قضى سنوات عديدة في دولة الفولاني يتعلم اللغات المحلية وخاصة لغة الهوسا، وكذلك دراسة التاريخ والاقتصاد والمجتمع قد تعلم كل هذه العلوم بالغة التي كتبتن وهي اللغة العربية.[2]

وبهذا يمكننا إن ندحض كل أقوال الباحثين الغربيين والمتغربين غير المنصفين من أبناء الوطن الواحد الذي يقولون بان نسبة المتعلمين في شمال نيجيريا اقل منها في جنوبها، وهذا غير صحيح إلا الذين يجهلون تاريخ الإسلام في المنطقة وخاصة تاريخ إمبراطورية الفولاني.[3] إلى جانب هذه الأعمال التي قام بها الشيخ عثمان دان فودي في شتى المجالات من محاربة الوثنية ونشر الدين وتعليم المرأة ونشر الثقافة الإسلامية، وتطوير الدولة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، لم يتهاون في مقاومة الاحتلال الذي سيأتي التكلم عليه في الفصول الآتية.

وأخير تمتاز إمبراطورية الفولاني بأن منشئها لم يكن فقط بطلا ن ورجل سياسة بل كان عالما ورجلا من كبار المفكرين المسلمين، وله مؤلفات واسعة فيها عمق وبحث ودراسة وقد غلبه هذا الاتجاه، فلم يحفل بالعرش الذي كونه، ولا بالمجد السياسي الذي أحرزه، بل ترك هذا لابنه، ولأخيه، وعكف هو على البحث و الدراسة ووضع قاعدة الفكر السياسي موضع التنفيذ فدان بها أبناءه من بعده، وهي إن الملك لمستحقه لا لوارثه، وان الأمر شورى بينهم والقضاء مستقل عن السلطة التنفيذية ولم يكن للحكومة تدخل في القضاء، وعرف عن القضاة التبحر في العلم والتفقه في القوانين الإسلامية .وبعد وفاة الشيخ عثمان استمرت الإمبراطورية قائمة إلى أن سقطت في يد الاستعمار الانجليزي.[4]

وخلاصة القول أن حركة الشيخ حركة إنسانية قادها رجل مقاوم سعى لكسب إنسان غرب إفريقيا لدعوة الإسلام وضمه في حاضنة الدين الإسلامي وفقد نجاح في مشروعه وأقام دولة إسلامية ابتداء من عام 1883م دامت مائة عام إلى أن سقطت سنة 1903م. أقام الشيخ دولة إسلامية قائمة على مفهوم

---

(1) محمد سعيد القشاط، **أعلام من الصحراء، بيروت** ، دار الملتقى، 1997م،ص،116.

(2)إسماعيل احمد، " حركتا الشيخ عثمان بن محمد بن فودي، (1754م-1817م)، ومحمد احمد بن عبد الله، المرجع السابق،ص،45.

(3) احمد محمد كاني،" غرب إفريقيا والعلاقات العربية الإفريقية،" **مجلة مستقبل العالم الإسلامي** ،المرجع السابق ص،129.

(4) احمد شلبي، المرجع السابق،**ج6**، ص ص،287-288.

دار الإسلام والأمة وقام عقدها الاجتماعي على البيعة، وبرزت عبقرية الدعوية و السياسية في نجاحه على القضاء على شبه الكيانات القبلية في بلاد الهوسا والتي كانت تمثل نموذجا من نماذج النظم السياسية التقليدية الإفريقية وانصهار هذه الكيانات في دولة إسلامية غطت مساحة شاسعة من افريقية الغربية.[1]

ويمكن أن نقول إن الشيخ عثمان دان فودين من أهم الشخصيات التي أنجبتها ارض إفريقيا، فهو مؤسس حركة إصلاحية دينية ثورية انتمت إليها مجموعات وقبائل كبيرة في إفريقيا.

أحدث الشيخ طفرة نوعية في حركة المجتمع الإفريقي، انتقل به من الطقوس اللادينية وفوضى الوثنية إلى مجتمع دعوة إسلامية دون مرحلة انتقالية وتحضيرية طويلة، وبإضافة إلى ذلك نشر اللغة العربية وآدابها في طول وعرض بلاد الهوسا واعتمدها لغة رسمية لدولة ن وكان يجيدها كتابة وكلاما مع انه لم يزر قط بلاد العرب، وأصبحت اللغة بفضله لغة العبادة والتجارة والمعاملات والثقافة والفكر.

قامت حركته على أساس فكري متين، مهد له بمائة مؤلف أو كثر ، ثم توالت حركة التأليف و الإنتاج الفكري على أيادي أحفاده وتلاميذه، مما جعل الحركة ترتكز على أعمدة فكرية وثقافية راسخة مكنتها من تجاوز الاجتياح الانجليزي، إذ انه برغم الاستعمار الفرنسي و الانجليزي للمنطقة، فان روح الثقافة الإسلامية ظلت نافذة في الشعب وما يزال شمال نيجيريا عامرا بالمساجد والمدارس، وما يزال المجتمع النيجيري متمسكا بمراسيم الزوجية الإسلامية إلى اليوم ومازال المدد الفودي الحصن الحصين الذي تحصن به نيجيريا من ضغط الاستلاب الحضاري الغربي.[2]

وأخيرا إن هذه الحركة الإصلاحية للشيخ عثمان دان فودي حركة جديرة بالدراسة والاهتمام حقا في تلك الفترة الزمنية من تاريخ قارة افريقية الغربية وتاريخ نيجيريا خصوصا لما لها من هذه مؤثرات داخلية وخارجية التي ذكرنها سلفا.

---

(1) حسن مكي، " بين دان فودي والمهدي و الأفغاني"، **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد السابع، يونيو،1991م،19.

(2) نفسه،20.

قائمة الببليوغرافيا:

المصادر والمراجع:

اولا: باللغة العربية

- أبي عبد الله لطالب محمد بن ابي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان بلاد التكرور**، تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 1981م.
- ابراهيم علي طرخان، **دولة مالي الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1983م
- ابن سعيد ابو الحسن علي بن الموسى المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق وتعليق، اسماعيل العربي الطبعة الثانية ديوان المطبوعات الجزائر، 1982م
- ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، **اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان الغامر بالماء والعمران**، دار الاندلس، بيروت،1996م
- أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، مكتبة المثنى، 1966م.
- احمد بابا التنبكي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1**، دراسة وتحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب،2000م.
- توماس ارنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، دار مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1970م
- دياب إبراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، دار المريخ، الرياض، ط1، 1981م.
- عبد الرحمان احمد عثمان، **المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية**، دار العالمية للطبع والنشر، الخرطوم، السودان، 2001م
- مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار ابي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1.
- محمد بابا يونس، **فهرس مخطوطات مكتب جامعة إبادان نيجيريا**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،2001.
- محمد عوض محمد، **السلالات والشعوب الافريقية**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1960م
- محمد فاضل علي باري، وسعيد ابراهيم كريديه، **المسلمون في غرب افريقيا (تاريخ وحضارة)**، دار الكتاب العلمي، بيروت، لبنان، ط1، 2007م
- نجم الدين احمد فليحة ، **افريقية دراسة عامة واقليمية لا قطارها غير العربية**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دط،1978م
- يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2001،1م.
- ابراهيم طرخان، **مملكة البرنو الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1 ،1975م
- ابراهيم علي طرخان، دولة **مالي الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1983م.
- ابن فضل الله العمري، **مسالك الابصار في ممالك الامصار**، تحقيق حمزة احمد عباس، الجزء الرابع، المجمع الثقافي، ابو ضبي، 2002م
- ابو القاسم النصيبي ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.
- أبو عبد الله ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار** طبعة، بيروت،1964م.

- ابو عبد الله الشريف الادريسي، **القارة الافريقية وجزيرة الاندلس جزء مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقي**ق وتقديم وتعليق، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجزائر، الطبعة 1، 1982م.
- ابو عبد الله بن عبد العزيز البكري، **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق، أدريان فان ليؤمن، وأندري فيري، **دار** العربية للكتاب، تونس،1992م.
- احمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ج2، تحقيق، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2004م، ج2.
- احمد بلو فودي، **اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق** علي عبد العظيم وآخرين، الاتحاد الاشتراكي العربي 1964م
- احمد بن علي المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، طبعة 1975م
- احمد بن يحي بن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، طبعة بيروت، 1987م
- احمد حسين عبد الرحمان ادم، **الدلالات الاثرية للامتداد السياسي والديني لدولة الفونج**، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2004.
-- احمد شلبي، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية الجزء** 10 مكتبة النهضة المصرية، ط6، 1998م
- احمد علي المقريزي تقي الدين، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق وتعليق، جمال الشبال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،1955م
- احمد لواء الدين احمد، **الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان دان فودي في ترسخيه**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1 ،2009.
- الالوري عبد الله ادم، **الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1985م.
ـــــــــــــــ **الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فوديو** د ط، 1978م.
- الجمل شوقي عطا الله وآخرون، تاريخ **المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم**، درا الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.
- الجمل شوقي عطا الله، **تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها**، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ط 1 ،1971م
ـــــــــــــــ، **دراسات في تاريخ غرب الحديث والمعاصر**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1998م.
- الحسن الوزان بن محمد المسمى ليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**،2ج محمد حجي، ومحمد الخضر، دار العرب الإسلامي، ط2، بيروت،1983م.
ـ السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، تحرير وتعليق وتقديم، حماة الله ولد السالم، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1 1971م
- الشكري احمد، **الاسلام و المجتمع السوداني امبراطورية مالي(1230-1430م)** ، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، ط1، 1990م,
- -الشيخ عثمان دان فوديو، **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**، تحقيق وتعليق، سالو الحسن، وسيني مومونى، فرنسا، ط1، 2011م.
- الشيخ غنيمي رأفت، **تاريخ افريقيا المعاصر**، دار النشر للثقافة، القاهرة، 1982م، ط1، ص، 232.
ـ المبروك الدالي الهادي، **قبائل الهوسا دراسة وثائقية** مطابع الوحدة العربية بالزوايا، ليبيا، ط1، 2005م.

- المدوني ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات والنشر، الجزائر،1908م.
- الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا الغربية فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية، القاهرة ط1، 1999م.
- أيوب ناجي علي، **لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم**، دار الكتاب الحديث، دط، دت.
- جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات الإفريقية**، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1996م.
- جون لويس بوكهارت، **رحلات بوكهارت في بلاد النوبة والسودان**، ترجمة فؤاد اندرواس، مطبعة المعرفة، القاهرة، 1559م، ص، 59.
ـ حجازي السيد مصطفى، وآخرون، **الموسوعة الإفريقية**، اللغات، المجلد الثالث، معهد الدراسات الإفريقية، القاهرة، 1997م.
- حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة، ط3، القاهرة،1984م.
- حسن احمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار لفكر العربي، القاهرة، ط1986،1م،
- حمد بن علي أبو العباس القلقشندي ج5، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، القاهرة،1963م.
- حورية توفيق مجاهد، **الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية**، المكتبة الانجلو المصرية، القاهرة
- خالد علي عبد القادر، **انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر ونيجيريا وأثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، دار الفكر العربي، ط1، 2013م
- دافدسن بازل، إفريقيا تحت **أضواء جديدة**، تر جمال احمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت دن تاريخ
ـ دان فوديو الشيخ عثمان، **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**، تحقيق وتعليق، سال الحسن، وسيني مومونى، فرنسا، ط1، 2011م.
- دياب إبراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، دار المريخ، الرياض، ط1، **1981م.**
ـ ذهني محمد علي الهام، **جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1914م)**، دار المريخ، الرياض، السعودية، ط1 1988م
- روبن هاليت بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، تر، الهادي ابو لقمة، منشورات جامعة بنغازي، ط2، دت.
- زيريو جوزيف كي، تاريخ افريقيا السوداء، تر، يوسف شلب، وزارة الثقافة، دمشق، 1994م، ج1
- سعد أمطير غيث، **التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي**، دار الرواد، بنغازي، ط1996،1م
- عبد الحليم رجب محمد، **المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء**، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، القاهرة، دت، ،1999 م
- عبد الرحمان زكي، **الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية**، القاهرة، 1965م.
- عبد الرحيم عيسى الأول، الكشاف **في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب إفريقيا**، مطبعة فاتا برم، ط1، لاغوس، نيجيريا، 1999م.
ـ عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا**، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1984م.
ـــــــــــــــــــ، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو، 1989م.

- عبد الظاهر حسن عيسى، **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، الزهراء** للإعلام العربي، ط1، القاهرة،1991م.
- عبد القادر بن أبي صالح سيدي الجيلاني، **الفتح الرباني والفيض الرحماني، المكتبة** العصرية، بيروت،2004م
- عبد القادر زبادية، **أسئلة الاسقيا محمد وأجوبة المغيلي**، سلسلة ذخائر المغربي العربي، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974
ـــــــــــــــــــــــ ، دراسة عن إفريقيا جنوبا الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية،2010من ص،224.
أـــــــــــــــــــــــ ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493م-1591م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د
- عبد الملك عودة، سنوات **الحسم في إفريقيا 1960م-1969م.**، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، دط، 1969م.
- علي فاي منصور، **اسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاى الإسلامية**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ط1 1997م
- علي حسين الشطشاط، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار قباء للطباعة، القاهرة،2001م.
- عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 1988، م.
- فيج، جي دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، تر، يوسف نصر دار المعارف الاسكندرية، القاهرة، 1982م.
- ك مادهو باينكار، **الثورة في إفريقيا**، تر، روفائيل، جرحيس، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1964م،
- ك. مادهو، **الوثنية والاسلام تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا**، المجلس الاعلى للثقافة، بيروت ط2، 1998م.
-- كانم جوزفين، **المستكشفون في افريقيا**، تر، السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1982م
- محمد احمد بدين، **الفلانة والفلانيون في السودان الأصل والتاريخ**، دن، القاهرة، دت،
- محمد بازينة عبد الله سالم، **انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، الإدارة العامة للمكتبات وللمطبوعات والنشر، مصرانه، ليبيا، ط1، 2010م.
- محمد بلو، **اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، وزارة الأوقاف، القاهرة، القاهرة، 1964م.
- محمد بن شريفة، **مساهمة المغاربة في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر** (زيارة عبد الرحمن سقين إلى بلاد الحوس)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب،1993م.
- محمد بن عمر التونسي، **تشحيذ الاذهان في سيرة بلاد العرب والسودان**، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، مصر، 1965م، ص، 155
- محمد عبد العزيز إسحاق، تقديم، د، عبد الملك عودة، **نهضة افريقية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،
- محمد علي رجب، **انتشار الإسلام في إفريقيا**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، القاهرة، ط1،2015م،
- محمود حسن احمد، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1962م،

- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي المعاصر غربي افريقية**، المكتب الإسلامي لنشر، بيروت، ط2، 1992م.
- محمود كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار المدن والجيوش وأكابر الناس، طبعة** منقحة 1912م.
- مخزوم الفيتوري عطية، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء**، منشورات جامعة فقاريونس، ب نغازي1998م.
- مهدي ادامو، " الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط "، **تاريخ إفريقيا العام ج4 (من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)** موسوعة اليونسكو، لبنان 1988م.
- نعيم قداح، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، مراجعة عمر الحكيم، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1975م،
- نعيم قداح، حضارة **الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، ط1974،2
- هوبير ديشان، **الديانات في إفريقيا السوداء**، ترجمة احمد الصادق، ومراجعة محمد الله دراز، المركز القومي لترجمة والنشر القاهرة، السلسلة رقم 1769، 2011م.
- يوسف الفضل حسن، **مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي(1450م-1821)**، معهد البحوث والدراسات الافريقية، القاهرة، 1971م، ص، 81-85.
. عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، المسمى، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ج6**، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر والنشر والتوزيع، بيروت 2000 م
. احمد بن علي بن احمد القلقشندى، صبح **الأعشى في صناعة الإنشاء، دار** الكتب العلمية ب يروت1987م.
-الالوري ادم عبد الله، **موجز تاريخ نيجيريا**، دار الحياة، بيروت، دط،1962م.
ـــــــــــــــــــ ، **الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فودي الفلاني**، دن، 1978م،.
- الهادي المبروك الدالي، **قبائل الهوسا دراسة وثائقية** مطابع الوحدة العربية بالزوايا، ليبيان ط1،2005م.
-عبد اللطيف دندش عصمت، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دارا** لغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م
-محمد عبد الرحيم الطيب، **المخطوطات العربية في نيجيريا الاتحادية**، المنظمة العربية للتربية والعلوم، الكويت، ط1، 1985م

ثانيا: المصادر الاجنبية

- Ajavi, J, F, A, History **of, West, Africa**, Great Britain, Vol, II,1974.
- Anderson John، **West Africa East in the Nineteenth and Twentieth Centuries**، London,1972.
- Fage, J, **An Atlas of African history, Cambridge,** london,1958.
- Hiskett.M, History of Hausa, Islamic, Verse, London, soas
- J.B. Webster **The Revolutionary years, West Africa, Since 1800.London**, 1967
- Ki Zebro Joseph. **Histories de L'Afrique Noir (d'hier a Domain), Paris, 1972.**

- Madina, Ly, **T, L'empire, du, Mali a-t-il survécu, jusq, à la fin, du, xvlé,** ?, I, F, A, N, B, XXXVIII,2,1976.
-Mahmoud, kati, Tarikh el fettach, traduction française par, O,Hodas et,M, Delafosse ,éditions, Ernest, Leroux, Paris,1913
- Maurice Delafosse, **Les Noirs de l'Afrique**, avec 4, cartes, édition, définitive, Payot, Paris,1941.
- Meek.C.K. **The Northern Tribes of Nigeria، Vol2**, London,1969.
- Monteil، Vincent، L'islam **noir une religion à la conquête de L'Afrique,** troisième ,Edition ,Paris ,VI.1980.
- Urvoy.Y. **Histoire population du Soudan central colonies du** Niger، libraire ،Larose، Paris، 1936.
-Abdulla. Smith**. The Islamic Révolution of the 19h** Century، J، H، S، N, 2,1961.
-Bovill, E, W, The Golden trade of the Moors, oxford university London
-Coleman's James, **Nigeria**-Background to Nationalisme, los, **Angeles 1963.**
-Cuoq, J, Recueil des sources Arabes concernant L'AF Occidentale du VIIIe '(Bilàd Al-Sudan) Ed, de C.N.R.S 2e Paris,1985. .
-Delafosse, M, Haut, S-N, Tome1
-Delafosse,M**,Haut Sénégal_Niger Les** -
peuples, les langues,L'histoire,les,civilistaions,Emille Larose,Libraire,paris,1912,Tome2.
-Dr Collomb**, les populations du haut Niger, leur mœurs et leur histoire Imprimerie, Pitrat Aine Lyon, France.**
-Franklin, Blitz, **The Polities, and Administration of Nigérian Gouvernment,** London,1965, p27.
-Guy, Camille**, L'Afrique Occidentale Ferançaise**, paris,1929.
-Cornevin, R, « « Fulani », Encyclopaedia of Islam, New, edition, Leiden, E. JBrill,1965, V2,
- Collis Robert**, Nigeria in Conflit,** London, 1970
-Harry Williams، **Nigeria Free**، London,1962,
-Hiskett .M, The historical background to naturalization of Arabic loan words in Hausa, African Language, Studies, VI,1965,
-Jones, G-I:" Dual Organization in Ibo Social Structure" **Africa**,**vol, 19,N°2,April,1949**,
-Kani, A, M**, The Rise, andInfluence of, Scholars, in, Hausaland Before,1804**, kano, studes, V2, n°2, Bayero, University, kano, Nigeria,1981,- - L, F, A, N, B, N°29,1953.

-Mahmoud, kati, Tarkh el fetach, Traduction, Haudas et, Dalafosse, M, Editions, Leroux, éditeur, Paris,
-Margaret، Peil، **Nigérian، Politics (The People' s View)**، London,1976
-Maurice Delafosse, **Les Noirs de l'Afrique**, avec 4, cartes, édition, définitive, Payot, Paris,1941.
-Maurice Delafosse**, « Hat-Sénégal-Niger**,»,**(Soudan français**) et ,Larose, 3v,T,II,1972.
-Maurice Delafosse, **« L es Relation du Maroc avec le soudan à travers les Ages »** Hesperis, T, IV,1924.
-Deschamps, H, **Histoire, Générale de L'Afrique Noire**, Paris,1971, Tome II, p,12 **(4**) De Lanoye**, F, Niger et les explorations de L'Afrique Centrale depuis Mungo-Park Jusqu' au docteur Barth**, Paris,1860.
-Michael Crowder, Ashrot History, of Nigeria, Londan,1962.
-Palmer H.R. The Kano Chronicle SudaneseMemoirs, Vol II, London, Frank casse, Co, ltd,1967.
-Perouse de Montclos Marc-Antoine، «La violence ethnique à l'épreuve fait: le cas Nigeria in.،
-Robert, Cornevin, **Histoire de L'Afrique, (l'Afrique précoloniale :1500-1900)** Tome, I, Payot, Paris,1966
-Robinson, Ronald, **Africa and the Victorians,** (N Y,1961
Rouch, Jean, « **Contribution à,L' histoire des songhay,** »Dakar, Mémoire,
-Schwarz, Frederick, A, O, Nigeria**-The treibes the Nation or the Race the Politics of Independence ,London**,1965.
-Sir Alan Burns: History of Nigeria، London,1978.
-Trimingham, J, speacer ,**A**. **History of Islam in West Africa, Oxford** university 1970, Press
-Urvoy, Y, **Histoire, De L'Empir de, Borno**, Mémoires de L'institut Français, D'Afrique Noire, Paris, Libraie Larose,1949.
-Zerbo Joseph**, Histoire de L'Afrique Noire D Hier à demain, Paris**,1972.

ثالثا - المجلات باللغة العربية:

- كوثر عبد الرسول، " عثمان دن فوديو"، **مجلة نهضة افريقية**، العدد الثاني، السنة،1957م

- حورية توفيق مجاهد، " تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد والوسائل"، **مجلة قراءات افريقية**، العدد السادس، سبتمبر،2010م.
- علي يعقوب،" جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية والعربية (غرب إفريقيا أنموذج)"،

- يوسف الفضل حسن " سلطنة الفونج الاسلامية دورها في تاريخ سوادي النيل" مجلة دراسات الافريقية- العدد الثاني والعشرون، ديسمبر 1999م.

- إبراهيم طرخان، «الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، **مجلة ام درمان الإسلامية**، العدد الثاني،1969م.
- أبو الحسين علي ابن الحسين المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج2، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1973م-
- احمد العراقي السر سيد، " انتشار اللغة العربية في بلاد افريقية عبر التاريخ" **مجلة دراسات افريقية**، العدد الأول، ابريل،1985م.
- احمد اليأس حسين، " طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية في جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية في القرن السادس الهجري العاشر الميلادي" **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد الثاني، شهر ابريل 1986م.

- أحمد محمد كاني،" غرب إفريقيا والعلاقات العربية الإفريقية، **مجلة مستقبل العالم الإسلامي** السنة الأولى، العدد، الرابع، 1991م

- إسماعيل احمد، " حركتا الشيخ عثمان بن محمد بن فودي، (1754م-1817م)، ومحمد احمد بن عبد الله المهدي(1844م-1885م)، وأثرهما" **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد الثاني، ابريل،1986م.

- حسن مكي، " بين دان فودي والمهدي والأفغاني"، **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد السابع، يونيو،1991م.

- دم بمبا، " الهجرة في واقع الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا"، **مجلة قراءات**، يناير-مارس، العدد السابع،2011م.
- عبد الفتاح محمد الغنيمي، "أثر اللغة العربية في الشعب الفولاني والهوسا"، **مجلة الفيصل**، العدد ،98، السنة السادسة، ديسمبر،1982م.
- عبد القادر زبادية " السودان الغربي وممالكه الإسلامية الكبرى"(نظرة عامة)، **مجلة التاريخ**، النصف الثاني من سنة 1980م، الجزائر،1980م

- عبد الملك عودة، "الحركة الوطنية في نيجريا" **مجلة الاقتصاد والسياسة والتجارة**، القاهرة، العدد الأول، يناير-يونيو،1957م.

- عبد الملك عودة،" الحرب الأهلية في نيجيريا"، **مجلة السياسة الدولية**، العدد 2، نيسان – تموز، القاهرة، 1970م
- عبده بدوي، " دول إسلامية في إفريقيا" **مجلة منبر الإسلام**، العدد السادس، 1963م.
- عثمان سيد احمد إسماعيل، " حركتا الشيخ عثمان بن محمد فودي ومحمد احمد بن عبد الله المهدي وأثارهما" **مجلة دراسات افريقية**، الخرطوم، العدد الثاني، ابريل،1986م.

- على بوترعة، " الوجود الحضاري العربي الإسلامي في غرب_إفريقي، **مجلة كان التاريخية**، السنة السادسة، العدد التاسع عشر، مارس،2013م.

- علي يعقوب، " دولة مالي الإسلامية (1230م-1430)، **مجلة قراءات افريقية**، العدد العشرون، ابريل- يونيو،2014م.
- عمر موسى محمد الثاني،" الشيخ عثمان بن فودي والطريق لاستعادة الهوية"، **مجلة قراءات افريقية**، المنتدى الإسلامي، لندن، العدد الأول، أكتوبر، 2004م.

- عيسى عبد الله، "مكانة الإسلام في مملكة سنغاي خلال القرن 16م"، **مجلة قراءات افريقية**، العدد،32، يناير- مارس، 2010م.

- والأمين أبو منقة وسليمان، " الصلة بين الفولانيين وبين قدماء المصريين وقدماء بلاد النوبة"، **مجلة دراسات افريقية**، العدد44 .
- يعقوب علي،" الثقافة الإسلامية في مملكة برنو الإسلامية، مجلة **فراءات الإفريقية**، العدد الخامس، يونيو، 2010م

-. سليمان خاطر، " إفريقيا الإسلامية" **مجلة الدراسات الإفريقية**، القاهرة، العدد الخامس، 1972م.

مجلة قراءات، العدد الثالث، ديسمبر،2008م.

رابعا: المجلات باللغة الاجنبية:

- Malami.Hussaini Usman « Financing Islamic, Education in Muslim Minority States, the Case of Nigeria » journal Institute of Muslim Minority Affairs London.1414AH/1994AD, vol,14, N°1-2.

- Questions Diplomatiques et, Coloniales, "Les Anglais dans la Nigeria "**Revue de politique** extérieure, Sixiéme, Anné-1902, Tome, XIII, Janvier-juin, Paris,

-Adeleye R.A, « Power and Diplomacy in Northern Nigeria, (1804-1906) » IN Revue française d'histoire d'outre-mer, tome,59, N°214,1er, trimestre,1972.

-Maurice Delafosse,"Les ,Relations du Maroc, avec le Soudan à travers les Âges",**Rabat, Hesperis**,1924.
-Niane, Temsir djibril**, « Mise en place des populations de la haute guinée « in Revue éthiopique, N°2 avril, 1960**

-Nwabara, Samuel.N. « The fulani conquest and rule of the Hausa kingdom of Northern, Nigeria (1804-1900) »**. In journal de la société des Africanistes, tome,33 facicule,2, 1963,pp,234-235.**

-Soper.R. S, « The Stone, Age in Northern Nigeria », **Journal of african History, III,2**,1965

- خامسا: الرسائل الجامعية:

- محمد السنوسي العمراوي، **نظام الحكم والإدارة، بمملكة صنغي في عهد الاساكي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،2011م.

- عبد الكريم قرين، **الحركة الوطنية في نيجيريا(1922-1960م)، رسالة** دكتوراه غير منشوراه، اشراف الدكتور حفظ الله بوبكر، جامعة الجزائر،2018-2019م.

- الأمين محمد عوض الله، **العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي سنعي**، رسالة ماجستيرمنشورة، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1968م.

-- محمد عوض الله الأمين، **العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي**، رسالة ماجستير في الآداب، القاهرة ،1976م، رسالة منشورة، دار المجمع العلمي بجدة،1979م.

فهـــــــــــــرس المحتـــــــــــوى

التعريف بالمادة	2-1
مقدمة	3-2
1. المحور الاول: المجال الجغرافي و البشري لإفريقيا جنوب الصحراء واقسام سكانها	7-4
اولا: :بلاد السودان بين الدلالة التاريخية و الفضاء الجغرافي	11-7
1 مفهوم السودان واقاسمه:(الاقاليم المكونة له)	6
2 ـ الخصائص الطبيعية لبلاد السودان الغربي:	12-8
3 ـ المكونات البشرية لبلاد السودان(السلالات و ، اللغات و الاديان)	26-13
المحور الثاني: ممالك السودان الغربي:	26
1 ـ مملكة غانا – ومملكة التكرور	32-26
2 ـ مملكة مالي	39-32
3 ـ مملكة سنغاي:	46-39
المحور الثالث: ممالك السودان السودان الشرقي.	47
1 مملكة الفونج	48-47
2 مملكة الفور كردفان	48
3 ـ مملكة النوبة ممالك اخرى صغيرة:	49
4 ـ خلاصة	49
المحور الرابع: ممالك السودان الاوسط(مملكة كانم برنو، وممالك الهوسا)	50
مملكة كانم برنو	53-50
ـ ممالك الهوسا	63-53
1 ـ ممالك الهوسا، كانو و جوبير وكاستينا	62-54
2 ـ مملكة اليوربا	65-62
المحور الخامس: انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء	106-62
1 – تمهيد	67-62
2 – دور القوافل التجارية عن طريق الرحالة	75-67
دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في غرب افريقيا	86-75
1 – القادرية	76
2 – التجانية	77
3 – السنوسية	79-78
10 ـ دور الفقهاء و الدعاة في نشر الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء	86-79
1 ـ الدعاة والفقهاء	81-79
2 ـ احمد بابا التنمبكتي	81
3 ـ عبد الكريم المغيلي	85-81
4 ـ هجرة البربر ودورها في نشر الإسلام في غرب افريقيا	86

الحركات الاسلامية الحديثة (الشيخ عثمان دان فوي)	86-106
الاوضاع السياسية قبل ظهور شخصية عثمان دان فودي	86
ظهور الشيخ عثمان دان فودي	86-87
فكرة الجهاد لدى الشيخ عثمان دان فودي	87-88
1 ـ تبلور الوعي و الدعوة للجهاد	88-89
2 ـ حياته	89
3 ـ التوجه نحو العلم و التأليف	90-93
مراحل تأسيس الدولة	93-94
1 ـ المرحلة الأولى (1774م -1803م)	94
2 ـ المرحلة الثانية ((1804م -1810):	94-95
و المرحلة الثالثة((1804م -1817م): الجهاد و بداية تأسيس الدولة	96-100
1 التنظيم السياسي و الديني لدولة الشيخ عثمان دان فودي	100-103
2 ـ النظام المالي و الاقتصادي في دولة الشيخ عثمان دان فودي	103-105
نهاية الشيخ وبداية مقاومة ابنائه لاستعمار البريطاني في شمال نيجيريا اليوم	105-106
خلاصة:	106
قائمة المادة العلمية المعتمدة:	106-116
فهرس المحتوى	116-117